العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2019/07/07
04 ذو القعدة 1440
السنة 42 العدد 11400
Sunday 07/07/2019
42nd Year, Issue 11400

جولات الحوار سلاح الحوثيين

ص7

بدر العساكر تنموي يؤمن بالعلم بالقرب من ولي العهد السعودي

ص8

ثقافة الهامش العربي

ص10-14

إقالة محافظ البنك المركزي تفاقم أزمة الليرة التركية

أردوغان يتخلّص من تشيتن كايا بدلا من إقالة صهره البيرق

أنقرة - عزل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، السبت، محافظ البنك المركزي مراد تشيتن كايا بسبب فشل السياسات النقدية في مواجهة التباطؤ الاقتصادي، في وقت يحذر فيه خبراء اقتصاديون من أن هذه المغامرة قد تكون الأخطر في مسيرة انهيار الليرة التركية. وأظهر مرسوم رئاسي نُشر بالجريدة الرسمية إقالة محافظ البنك المركزي مراد تشيتن كايا الذي كان قد عين في أبريل 2016، وتعيين نائبه مراد أويسال بدلا منه.

ولم يُذكر سبب رسمي لعزل المحافظ ولكن الأسواق تكهنت على مدار الأسابيع الأخيرة بحدوث ذلك بسبب إحجام تشيتن كايا عن خفض أسعار الفائدة.

وقال الخبراء إن اختيار فجر السبت لإعلان التعيين هدفه منح الأسواق يومين لامتصاص الصدمة والعودة، الاثنين، بحقيقة جديدة، محذرين من أن أكثر ما يثير قلق البنوك المحلية والعالمية أن يصبح البنك المركزي أداة سياسية في يد أردوغان وغير مستقل كما هو الحال في الدول المتقدمة.

ولم تكن إقالة مراد تشيتن كايا مفاجئة بل كانت مبيتة منذ فترة لأن المحافظ المقال كان مصرّا على اعتماد منطق اقتصادي سليم في التعامل مع أسعار الفائدة وهو ما لا يريده أردوغان صاحب واحدة من أغرب النظريات الاقتصادية في العالم عن أن تخفيض أسعار الفائدة يؤدي إلى تراجع التضخم.

ووصف المحلل المالي في مجموعة بلوراي لإدارة الأصول، تيموثي آش، قرار أردوغان بتعيين مراد أويسال محافظا للبنك بأنه "قرار أحمق" لأنه يأتي بشخص غير مؤهل وسمعته ملوثة لإدارة البنك المركزي في وقت يبدو فيه البنك بأمس الحاجة لاتخاذ قرارات مستقلة.

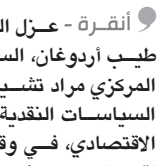

تيموثي آش
أردوغان يأتي بشخص سمعته ملوثة لإدارة البنك المركزي

وقال مسؤول حكومي بارز لرويترز "الرئيس أردوغان لم يكن سعيدا بشأن أسعار الفائدة وعبر عن عدم رضاه في كل فرصة. وقرار البنك، في يونيو، الإبقاء على أسعار الفائدة ثابتة فاقم المشكلة مع تشيتن كايا".

وأضاف المسؤول الذي طلب عدم نشر اسمه "لا يزال أردوغان عازما على تحسين الاقتصاد ولهذا السبب أخذ قرار عزل تشيتن كايا".

وقال مصدران حكوميان آخران إن الخلافات بين الحكومة والمحافظ بشأن السياسة النقدية تفاقمت في الأشهر القليلة الماضية.

وذكر أحد المصدرين أن "الخلاف في الرأي بين المحافظ تشيتن كايا والوزراء المسؤولين عن الاقتصاد تفاقم في الفترة الأخيرة".

ورفع تشيتن كايا أسعار الفائدة بواقع 750 نقطة أساس إجمالا في العام الماضي لدعم الليرة الضعيفة لتصل الفائدة إلى 24 بالمئة بحلول سبتمبر، وثبتت عند هذا المستوى حتى الآن.

وانكمش الاقتصاد التركي بشدة للربع الثاني على التوالي في مطلع 2019 فيما نالت أزمة العملة وارتفاع معدل التضخم وأسعار الفائدة من الإنتاج الكلي بشكل كبير.

وانتقد حزب الشعب الجمهوري المعارض إقالة تشيتن كايا، واتهم المتحدث باسم الحزب فايق أوزتراك أردوغان بالتدخل في استقلالية البنك المركزي.

وكتب على تويتر "الذين قاموا بذلك فقدوا حق القول 'ثقوا باقتصادنا'. إن البنك المركزي التركي رهينة بأيدي القصر. نقطة على السطر".

وبنى حزب العدالة والتنمية بزعامة أردوغان، نجاحه على النمو القوي لتركيا، وتباهى مؤيدوه بارتفاع مستوى المعيشة خلال السنوات الست عشرة من حكم زعيمهم، أولا كرئيس للوزراء ثم كرئيس، غير أن تراجع الاقتصاد ساهم في خسارة الحزب انتخابات محلية في إسطنبول وأنقرة مؤخرا، في نكسة كبيرة للحزب الذي يتولى السلطة منذ 2002.

وقال أوغور غورسيس كاتب المقالات الاقتصادية إن محافظ البنك المركزي أقيل بهدف خفض الفائدة.

مراد تشيتن كايا.. متحد جديد لأردوغان

وكتب على تويتر "كما سبق وتكهنت، فإن أنقرة تسلك بسرعة توجها مغامرا بعد خسارة الانتخابات".

وأضاف أن "هدف إزاحة محافظ البنك المركزي واضح: طبع الأوراق النقدية وخفض (معدل) الفائدة، لكن المحافظ لا يمكن إقالته إلا لأسباب محددة في القانون. والمرسوم الرئاسي ليس فوق القانون".

ولفت مراقبون إلى أنّ التوقعات كانت بإقالة صهر الرئيس التركي بيرات البيرق وزير الخزانة والمالية، لكن يبدو أن المصالح الشخصية والعائلية كانت أقوى رغم تخبط سياسات البيرق وتسببه بتفاقم الأزمة الاقتصادية للبلاد، فكان رأس المحافظ هو الثمن.

وانتقد البيرق، وهو وزير المالية والخزانة، البنك المركزي مرارا لإبقائه أسعار الفائدة مرتفعة.

وقال مصدر آخر "طالبه الرئيس ووزير المالية بالاستقالة ولكنه ذكرهما باستقلالية البنك ورفض تقديم استقالته".

باسيل يعدّل خطابه لامتصاص الاحتقان في طرابلس

بيروت – سعى وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل، خلال زيارته إلى مدينة طرابلس ذات الأغلبية السنية، إلى إطفاء الحرائق التي أشعلها في الأيام الماضية، والتي زادت من منسوب التوتر الطائفي على أكثر من واجهة.

وغيّر وزير الخارجية اللبناني، وهو في الآن نفسه رئيس التيار الوطني الحرّ، من خطابه وبدا ميالا للتهدئة وعدم استفزاز الخصوم. وأعلن، السبت، رفضه انقسام لبنان وتحوله إلى "كنتونات".

وقال باسيل، خلال زيارة إلى مدينة طرابلس "إننا لا نقبل أن يقسم لبنان أو أن يصبح كنتونات، واللبنانيّون يجولون بالمكان الذي يريدونه، واللبناني لا ينزوي في منطقة أو قضاء ومساحته في كل العالم".

وأضاف "نحن لا نعتدي على أحد في طرابلس لم نصعد إلى الجبل من أجل المعارك ولم نشارك في أي حرب".

وكانت زيارة الوزير باسيل مقررة، الأحد، ولكن جرى تقديمها إلى السبت نتيجة ما حف بها من احتقان ساهم فيه هو بدرجة أولى.

وأثارت زيارة باسيل إلى طرابلس معقل القوى السنية المعارضة موجة من ردود الفعل الغاضبة والرافضة، حيث اعتبر البعض هذه الخطوة ضربا من الاستفزاز للمدينة وأهلها، خصوصا بعد الغضب العام بسبب حديثه المنفي لاحقا عن "السنّية السياسية التي سلبت حقوق المسيحيين".

ومهّد باسيل لتلك الزيارة بتحدّ مباشر لأهل المدينة وذلك عبر توجيهه كلاما غير لائق إلى ابنة طرابلس وزيرة الداخلية ريّا الحسن وذلك قبل اجتماع لمجلس الدفاع الأعلى، الاثنين الماضي، للبحث في ذيول حادث مقتل مرافقي الوزير صالح الغريب. فقد فاجأ باسيل الوزيرة الحسن بقوله لها "انتبهي على حالك" فردّت عليه "أنا وزيرة الداخلية فوق السطح. هل أنت تهددني". وأضافت أنّها "لا تسمح له بذلك".

وقوبل كلام باسيل بموجة من الغضب لدى أطراف سنية من طرابلس، وحملة واسعة على مواقع التواصل. وبلغ الأمر بالوزير السابق أشرف ريفي إلى تشبيه زيارة رئيس الوطني الحرّ بزيارة شارون إلى المسجد الأقصى.

وقال ريفي في تدوينة له على تويتر مخاطبا باسيل "زيارتك اللقيطة شعبيا كزيارة شارون للمسجد الأقصى، لكن الفارق أيضا كبير، فالجيش جيشنا والقوى الأمنية قوانا".

وبدا كلام باسيل محسوبا بدقة، وفيه نوع من التراجع التكتيكي لإرضاء سكان طرابلس الذين استقبلوه بالاحتجاج فيما كان عدد أنصاره محدودا. وحرص وزير الخارجية اللبناني على امتصاص التأويلات السلبية لتصريحات سابقة له سواء ما تعلق بالمدينة أو بهجومه على قياداتها السياسية مثل اتهام "السنية السياسية بأنها جاءت على جثة المارونية السياسية" في إشارة إلى اتفاق الطائف الذي وقع في العام 1989 لينهي عقودا من حرب أهلية دامية.

وأعلن باسيل، أمس، أن "الإرهاب لا دين أو طائفة له، ولا يسمى على أي دين أو منطقة لبنانية، وطرابلس ظهرت على أنها نابذة ورافضة للإرهاب لأن هذا تاريخها وحاضرها ومستقبلها، ونحن لا نقبل بفرض أمر واقع مناطقي علينا تحت مسمى الخصوصية".

كما حرص على إظهار أنه يدعم رئيس الحكومة سعد الحريري، حين قال "من يتهمنا بالمس بصلاحيات رئيس الحكومة هو أول من مس بهذه الصلاحيات، وليس باسيل من يقبل بذلك بل يريده قويا ونقف إلى جانبه".

وأضاف "نحن بكل فخر نقول إننا موجودون في كل لبنان وسنتواصل مع الجميع في كل لبنان، وسنواجه التشويش بالتلاقي والعمل"، مضيفاً "لسنا نحن من اغتال رئيس حكومة لبنان في طرابلس، ونحن لم نشارك بالحرب الأهلية كما أننا لسنا طائفيين".

وأكد أننا "لا نقبل إلا بمنطقة اقتصادية في طرابلس ولها أولوية، لأننا من قال إننا نريد المدينة منصة لإعادة إعمار سوريا".

وترافقت زيارة باسيل إلى طرابلس مع إجراءات أمنية مشددة، وتنفيذ عدد من الأشخاص اعتصاما على بعد أمتار من معرض رشيد كرامي الدولي في طرابلس، الموقع الذي جمع الوزير باسيل بمناصري التيار الوطني الحر، حيث أعرب المعتصمون عن رفضهم لهذه الزيارة.

واستبق الرئيس اللبناني، ميشال عون، زيارة صهره إلى طرابلس بالتأكيد على أن ما حدث في "عاليه" (جنوب شرق بيروت) "ليس عارضا ويجب ألا يتكرر". وشدد على أن "حرية التنقل في المناطق يجب أن تبقى مصانة".

مصر تتعايش مع مغامرة رفع الدعم عن الوقود دون صخب سياسي وشعبي

غموض حول فاعلية البدائل في التعويض لفائدة المستفيدين من دعم الدولة

محمد حماد

القاهرة - قررت مصر تحرير سعر الطاقة ليتماشى مع الأسعار العالمية رغم المحاذير التي ترافق هذا القرار الصعب لأنه يؤدي آليا إلى رفع الدعم عن أهم المجالات الحياتية للمصريين. وبدت الطبقة السياسية والشارع كما لو أنهما كانا يتوقعان هذه الخطوة التي مرت دون صخب سياسي أو إعلامي.

ولم تستغل المعارضة هذه الخطوة لاستهداف النظام الحاكم، كما جرى في مرات سابقة، ما أدى إلى تأجيلها خوفا من الغضب الشعبي. كما أن شريحة كبيرة من المصريين تجاوبت مع الخطوة للخلاص من كابوس رفع أسعار الوقود الذي بات يطاردهم، مساء الخميس، بسبب مناورات حكومية حول إطلاق ساعة الصفر لتحرير الوقود.

واعتاد المصريون على مدى أربع سنوات اتجاه الحكومة لرفع أسعار المحروقات، ليلة الخميس، على اعتبار أن اليومين التاليين (الجمعة والسبت) إجازة رسمية، وتقل فيهما حركة المواطنين في الشوارع، وتتراجع فيهما احتمالات التظاهر.

يقول حسن عبدالعال، موظف في شركة الكهرباء لـ"العرب"، "ما باليد حيلة وقد تعبنا من الحديث عن الرفع المستمر للدعم عن الوقود، ولنتحمل الزيادة الأخيرة وننتظر الرخاء الذي وعدتنا به الحكومة من خلال مشروعاتها الكبرى".

واعتمدت القاهرة في تنفيذ مخططها على مجموعة من العوامل التي ساهمت في كبح حالة الرفض الشعبي المتوقع، أهمها المخاوف والذكريات المؤلمة لحالة الانفلات الأمني التي شهدتها البلاد في أعقاب ثورة 25 يناير 2011، وما تبعها من خراب طال مؤسسات عديدة، وشل مفاصل الاقتصاد، فضلا عن التوترات التي تشهدها بعض دول المنطقة، والخوف من امتداد شبحها إلى مصر.

وعززت هذه الأحداث موقف الحكومة ومنحتها جرأة في عدم التلكؤ لتنفيذ وصايا صندوق النقد، ودفعت المصريين إلى قبول تجرع الدواء المرّ أملا في تحسن أوضاعهم مستقبلا.

وقال قدري أبوإسماعيل، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الإسكندرية، إن القرارات الصعبة التي تتخذها الحكومة سيكون مردودها جيدا لاحقا على المواطن، الذي أصبحت لديه "حصانة ورد فعل هادئ واعتاد على رفع الأسعار من دون تذمر".

وأوضح لـ"العرب" أن "الغالبية على يقين بأن الدعم وتقدم الاقتصاد لا يمكن أن يلتقيا، وبلدهم يسير وفق أسس تهدف إلى الأمن والاستقرار، ما يدفعهم إلى استيعاب أي قرارات سياسية أو اقتصادية صعبة".

وغلّفت الحكومة هذه الخطوة المؤلمة بشعارات تعد بانتعاش اقتصادي، بدءا من موافقة صندوق النقد الدولي على تمويل برنامج الإصلاح الاقتصادي، وما تمثله تلك الخطوة من ثقة مؤسسة دولية بحجم الصندوق في اقتصاد مصر.

وتعد موافقة الصندوق مؤشرا إيجابيا على أن الاقتصاد المصري قادر على التعافي، والوفاء بالتزامات تصل إلى نحو 12 مليار دولار قيمة قرض مساندة إصلاح اقتصاد البلاد.

وزاد من ذلك تبني خطط للحماية الاجتماعية، مثل برنامج "تكافل وكرامة" الذي يقدم دعما شهريا لغير القادرين، ومساندتهم في تعليم أبنائهم، فضلا عن مساهمة البنك الدولي في تمويله على اعتبار أنه برنامج يستهدف المعوزين بطريقة تضمن أبعادا تنموية، وكلها من العوامل التي امتصت الغضب الشعبي مبكرا، بعد أن شملت مظلته نحو تسعة ملايين فقير.

وعزز التوسع في منظومة دعم السلع التموينية بسد حاجة شريحة كبيرة من المواطنين، بما زاد من حالة الرضاء، فالمستفيدون من تلك المنظومة تجاوز عددهم 69 مليون مواطن، ورصدت لهذه المنظومة ميزانية تقدر بحوالي 5.4 مليار دولار، بجانب تخصيص دعم لرغيف الخبز عبر بطاقات ذكية.

إيران والتصالح مع لغة الأرقام
خيرالله خيرالله
ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

دعم تركيا لحكومة السراج يعيق تطهير طرابلس من الإرهاب

أردوغان يستنجد ببوتين للتغطية على عزلة الموقف التركي في ليبيا

انحياز الرئيس التركي لحكومة الوفاق الليبية وإعلانه صراحة دعمه العسكري لها من شأنه أن يعرقل جهود الجيش الليبي في تطهير طرابلس من الإرهاب، كما يعمق الانقسام بين الفرقاء الليبيين، ويطيل أمد الحرب الأهلية التي تشهدها البلاد منذ 2011.

عين أردوغان على ثروات ليبيا

إسطنبول - أجج الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الخلافات بين الفرقاء الليبيين من خلال التدخل العسكري المباشر إلى جانب حكومة الوفاق والميليشيات المسلحة التي تتخفى وراءها، وقد بلغ هذا التدخل حدّ إرسال طائرات مسيرة وكسر الحظر المفروض على توريد الأسلحة إلى ليبيا، وهو ما اعترف به أردوغان مؤخرا.

ولتجديد دعمه استقبل الرئيس التركي، الجمعة، رئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني الليبية، فائز السراج، في إسطنبول، في خطوة تؤكد تحركات أردوغان لحماية نفوذ إخوان ليبيا الذي بدأ يتراجع على وقع انتصارات ميدانية للجيش الليبي في معركته ضد الإرهاب.

وأوضحت الرئاسة التركية في بيان أن أردوغان أجرى مباحثات مع السراج في قصر "دولمة بهتشة" بإسطنبول، وبحثا آخر التطورات التي تشهدها ليبيا إلى جانب قضايا إقليمية أخرى، دون المزيد من التفاصيل.

وأضافت الرئاسة التركية أن الرئيس التركي أبلغ السراج أن حكومة الوفاق الليبية تحظى بدعم أنقرة في محاولتها لضمان السلام والاستقرار في ليبيا، فيما دعا إلى وقف الحملة العسكرية التي تشنها قوات رجل ليبيا القوي المشير خليفة حفتر، وهو ما يفضح بدوره انحيازه لطرف على حساب آخر في المشهد الليبي.

ويرفض الجيش الليبي دعم أنقرة للميليشيات والمجموعات الإرهابية من خلال إمدادها بالأسلحة في تجاوز صارخ لقرار حظر التسليح الدولي المفروض على ليبيا.

وللتغطية على العزلة التي يعيشها الموقف التركي، سعى أردوغان إلى الاستنجاد بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي يحث على تفكيك حكم الميليشيات في طرابلس. وقالت موسكو إن بوتين تباحث مع أردوغان هاتفيا بشأن عدد من القضايا الإقليمية وعلى رأسها الأزمة في ليبيا، والعلاقات الثنائية. وشددا على ضرورة وقف إطلاق النار، والعودة إلى الحوار.

> تقارير إعلامية أشارت إلى أنّ السلطات التركية كثفت من عمليات تجميع العناصر الإرهابية الفارة من المعارك في سوريا، خاصة أفراد تنظيم «جبهة النصرة» لنقلهم إلى ليبيا

ولفت المكتب الصحافي للكرملين في بيان، السبت، أن الاتصال كان بمبادرة تركية.

ويتزامن الاتصال مع إعراب الرئيس الروسي، الخميس، عن قلقه من تدفق المتطرفين على ليبيا من محافظة إدلب السورية. وأشار بوتين، في مؤتمر صحافي في روما بعد أن أجرى محادثات مع رئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي، إن موسكو تأمل أن توافق الأطراف المتحاربة في ليبيا على وقف إطلاق النار وإجراء محادثات والدخول في عملية سياسية لحل مشكلات البلاد".

وأشارت تقارير إعلامية خلال الآونة الأخيرة أنّ السلطات التركية كثفت من عمليات تجميع العناصر الإرهابية الفارة من المعارك في سوريا، خاصة أفراد تنظيم "جبهة النصرة"؛ حيث شرعت في نقلهم جوا إلى الأراضي الليبية لدعم الميليشيات المسلحة المنتشرة في العاصمة طرابلس. كما تتحدث التقارير عن ضغوط يمارسها تيار الإسلام السياسي على رئيس حكومة الوفاق فائز السراج لإنشاء قاعدة عسكرية تركية في طرابلس.

ويحاول الرئيس التركي أن يغطي تجاوزاته في ليبيا بمهاجمة المشير خليفة حفتر. ووصف أردوغان حفتر بـ"القرصان"، وذلك في تصريحات نشرت، الخميس، على وقع ارتفاع منسوب التوتر العسكري في ليبيا.

ويعكس اختصار أردوغان للصراع في حفتر محاولة للتغطية على جرائمه في ليبيا المتمثلة أساسا في دعم المجموعات المتطرفة والميليشيات، ما من شأنه تغذية النزاع المسلح وإطالة أمد الحرب الأهلية التي تشهدها البلاد منذ 2011.

وبدوره وصف وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو حفتر بأنه "لا يمتلك حسا إنسانيا ويستهدف الشعب الليبي بلا رحمة"، محذرا إياه من مغبة "اختطاف" المواطنين الأتراك مرة أخرى.

وجاءت تصريحات أردوغان وأوغلو بعد أنباء عن إيقاف الجيش الليبي لستة بحارة أتراك في إطار التصعيد الذي أعلنه الجيش الليبي ضد المصالح التركية، وهو ما نفاه الناطق باسم القيادة العامة أحمد المسماري.

ويبدو واضحا من خلال هذه التصريحات أن أردوغان يحاول إخراج الصراع الليبي التركي الذي احتدم خلال الأيام الماضية عقب تصعيد من الجيش الليبي، عن إطاره الحقيقي المتمثل في رفض الجيش الليبي لدعم أنقرة للميليشيات والمجموعات الإرهابية.

وفي نهاية الأسبوع الماضي، اتهم المتحدث باسم قوات الجيش الوطني الليبي في شرق ليبيا، اللواء أحمد المسماري، تركيا بتقديم الدعم لحكومة الوفاق بكل المقدرات.

وكشف المسماري أن القيادة العامة قررت وقف كل الرحلات الليبية من وإلى تركيا وعلى كل الشركات الشروع في التنفيذ. وأرجع المسماري اتخاذ هذه الإجراءات بسبب ما وصفه "تدخل أردوغان السافر في ليبيا وعلى الشعب التركي ثنيه عن هذه التصرفات الرعناء".

ويرى مراقبون أن ليبيا تدخل في حسابات أنقرة باعتبارها حلا محتملا لعزلتها في شرق البحر المتوسط. ويشير الكاتب التركي براق تويغان إلى أن تركيا قد استُدرجت إلى الصراع بسبب تقاربها الأيديولوجي من عناصر جماعة الإخوان المسلمين البارزة داخل حكومة الوفاق الوطني. فما من أحد ينكر تأثير جماعة الإخوان المسلمين على العلاقات التركية مع دول مثل سوريا والسودان وفلسطين ومصر.

وقد أسفر دعم تركيا المستمر لحكومة الوفاق الوطني وميليشياتها عن وصول الطرفين إلى حد الاعتماد المتبادل على بعضهما البعض؛ فالإسلاميون يحتاجون إلى دعم أنقرة للدفاع عن أنفسهم في مواجهة الجيش الوطني الليبي، بينما تحتاج تركيا إلى الإسلاميين إن كانت تبحث عن نفوذ في البلاد مستقبلا.

من ناحية أخرى، ثمة غنائم اقتصادية واضحة تبحث عنها تركيا في ليبيا، البلد الذي يملك بعضا من أغنى موارد النفط والغاز في أفريقيا، ويمكنه في ظل قلة عدد سكانه أن يصدر تلك الاحتياطيات الهيدروكربونية بالكامل تقريبا. ويراهن أردوغان على أن التركيبة القبلية للبلاد وافتقارها إلى المؤسسات الديمقراطية سيجعلان من بسط الهيمنة هناك أمرا سهلا نسبيا، ولعله يعول على نيل جزء كبير من الغنائم إذا ساعد حكومة الوفاق، غير أن هذا الطموح التركي مستبعد في ظل مقاومة الجيش الليبي لهذا الدور التخريبي التي تلعبه أنقرة التي تقدم المساعدة العسكرية لحكومة السراج، فيما تقوم حليفتها قطر بتمويلها.

المعارضة الجزائرية تطالب برحيل الحكومة

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر - ساد إجماع لدى المشاركين في المنتدى الوطني للحوار، المنظم من طرف تكتل قوى التغيير، على خيار الحوار كسبيل وحيد للخروج من الأزمة السياسية التي تتخبط فيها البلاد منذ خمسة أشهر، لكن الوثيقة التي توجت اللقاء وضعت العديد من الشروط، يأتي على رأسها رحيل حكومة نورالدين بدوي، الأمر الذي يترجم الفجوة العميقة بين السلطة والمعارضة في الجزائر.

ونفى رئيس حزب "عهد 54" محمد فوزي رباعين، أن يكون تكتل قوى التغيير، موالاة سياسية جديدة للنظام، ردا على الاتهامات التي طالت التكتل حول انخراطه المبكّر في لعبة السلطة لفبركة حوار سياسي يستهدف إعادة إنتاج النظام بوجوه وآليات جديدة.

ودعا المتحدث في الكلمة التي ألقاها في الندوة، كافة الأطراف الأخرى إلى الالتحاق بمسعى الحوار الوطني، من أجل الخروج من المأزق الذي تتخبط فيه البلاد، والمساهمة في العبور بالجزائر إلى مرحلة تتوافق مع طموحات ومطالب الشارع، وذلك في إشارة إلى بعض الأحزاب والشخصيات التي قررت مقاطعة الندوة.

وكان قطب "البديل الديمقراطي" المكون من عدة أحزاب علمانية، قد قرر عدم تلبية دعوة الحضور بدعوى عدم الاقتناع بخيار الحوار مع السلطة القائمة، كما سجلت الندوة غياب العديد من الشخصيات الحزبية والمستقلة، على غرار أحمد طالب الإبراهيمي، ومولود حمروش ومصطفى بوشاشي وأحمد بن بيتور، الأمر الذي عزز الشكوك مبكرا حول جدوى مخرجات الندوة.

واتهم رئيس حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية محسن بلعباس، (أحد أطراف تكتل البديل الديمقراطي)، تكتل قوى التغيير بالانحراف عن عقيدة قطب "مزافران" المعارض، وبالاصطفاف خلف توجهات قيادة أركان الجيش، من أجل تنظيم انتخابات رئاسية في أقرب الآجال.

وصرح على هامش لقاء حزبي، بأن "القوى السياسية المجتمعة ضمن أشغال منتدى الحوار الوطني، ليست معارضة وإنما هي موالاة، لأنها تطرح نفس مقترحات نائب وزير الدفاع الجنرال قايد صالح".

وشدد رئيس الحزب المناوئ للقيادة العسكرية، على أن "التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، بأنه صاحب خط سياسي واضح لا يمكن الحياد عنه، وهناك بعض القوى التي كانت تتقاسم معه نفس التصورات، حين قلنا إنّه يجب أن نذهب لانتخابات ديمقراطية وحل ديمقراطي، ولكنها اليوم غيرت موقفها، والشيء الذي نراه اليوم هو أن تلك الأحزاب أصبحت لا تتكلم عن الحريات ولا عن الحل الديمقراطي، وأصبحت ترى أن الأحسن لها أن تصطف وراء الجيش".

وهو تلميح إلى بعض الأحزاب السياسية والشخصيات المستقلة، التي كانت ضمن ما كان يعرف بتنسيقية الحريات والانتقال الديمقراطي، وعلى رأسها الأحزاب الإخوانية، كحركة مجتمع السلم وجبهة العدالة والتنمية.

ولم يستبعد المتحدث، أن تكون المخاوف من تسليط سيف القضاء على بعض الشخصيات السياسية، على غرار ما تعرضت له زعيمة حزب العمال لويزة حنون، والمناضل التاريخي لخضر بورقعة، هي السبب الخفي وراء اصطفاف أصحابها وراء الإملاءات التي طرحتها سلطة الأمر الواقع.

وكشفت الوثيقة الأولية للندوة التي تحوز "العرب" على نسخة منها، أن الأطراف المشاركة في الندوة رحبت بدعوة رئيس الدولة المؤقت لإطلاق حوار سياسي شامل، يتوج بتنظيم انتخابات رئاسية في أقرب الآجال، من أجل استكمال مسار الإصلاحات.

وعبرت عن استعداد أصحابها لتقديم تنازلات تتعلق بالمرحلة الانتقالية وبالحلول الدستورية، واستبدلتها بمصطلح "المرحلة التمهيدية لتنظيم الانتخابات"، لكنها في المقابل وضعت شروطها بشأن الهيئة المشرفة على الحوار وبالقوى السياسية التي كانت جزءا من الأزمة السياسية، في إشارة لما يعرف بأحزاب الموالاة التي كانت تروج لترشيح بوتفليقة للعهدة الرئاسية الخامسة.

> الأطراف المشاركة في الندوة رحبت بدعوة رئيس الدولة المؤقت لإطلاق حوار سياسي شامل، يتوّج بتنظيم انتخابات رئاسية في أقرب الآجال

وعلى رأس الشروط التي عبر عنها عدد معتبر من الحاضرين في الندوة، كمحمد فوزي رباعين، عبدالله جاب الله، عبدالرزاق مقري، ونورالدين بحبوح، ضرورة إطلاق سراح سجناء الرأي، في إشارة إلى العشرات من الشبان الموقوفين وضابط جيش التحرير لخضر بورقعة، فضلا عن رفع الرقابة والتضييق على الإعلام.

وجاءت ندوة تكتل قوى التغيير، غداة مسيرة شعبية استثنائية، وصفت بـ"جمعة الاستقلال"، نظرا لتزامنها مع الذكرى السابعة والخمسين للاستقلال الوطني المصادف للخامس من يوليو، عبر فيها المحتجون عن رفض الانتخابات والحوار مع النظام.

وشددت الجموع المليونية على رحيل السلطة لتحقيق التغيير الشامل، وهو ما سيرهن حظوظ مخرجات الندوة المذكورة، قياسا برفضها الشعبي المنتظر، وبتحولها إلى مساهمة في إنقاذ السلطة لا غير، مما يهدد مستقبلها السياسي ويضعها في نفس الخانة مع أحزاب السلطة السابقة.

وصرح منسق الندوة الدبلوماسي السابق عبدالعزيز رحابي، في كلمته الافتتاحية، بأن "المنتدى الوطني للحوار، فضاء للجميع للتعارف وتبادل الآراء من أجل تحول ديمقراطي حقيقي، وأن هدف الحوار الشامل هو الخروج من الوضع الحالي بأساليب سلمية وتوافقية ترقى لمطالب الحراك الشعبي".

وذهب بعض المتدخلين على غرار رئيس الحكومة السابق ورئيس حزب طلائع الحريات علي بن فليس، ورئيس حزب جبهة العدالة والتنمية عبدالله جاب الله، إلى أن "الدعوة التي وجهها رئيس الدولة المؤقت للحوار الشامل، تبقى غير كافية قياسا بالظروف التي تحيط بالحوار نفسه، وبالغموض الذي يلفّ هوية اللجنة التي تدير الحوار".

وساد إجماع داخل الندوة، على ضرورة تضمين الوثيقة النهائية التي سترفع لرئاسة الدولة، على مطلب تنحية حكومة نورالدين بدوي، لارتباط تعيينها بنظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، وبسوابق التزوير والتلاعب بإرادة الناخبين لدى رئيسها وهو وزير الداخلية السابق، الذي وجه الاستحقاقات الانتخابية السابقة لصالح أطراف معينة، بتوظيف الإدارة في التلاعب بصناديق الاقتراع.

في جمعة الاستقلال: الجزائريون يرفضون الحوار مع النظام

انتشال جثث مهاجرين قبالة سواحل تونس

تونس - أعلن رئيس منظمة الهلال الأحمر بولاية مدنين جنوب تونس، السبت، عن ارتفاع عدد جثث الغرقى من قارب المهاجرين الذي انطلق، الاثنين الماضي، من زوارة الليبية إلى 13. وأشار رئيس المنظمة المنجي سليم في تصريحات صحافية إن الوحدات البحرية انتشلت حتى اليوم 13 جثة والرقم مرشح للزيادة.

وأكد سليم انتشال ثلاث جثث نقلت إلى ميناء بن قردان (جنوب) في حين نقلت تسع جثث إلى ميناء جزيرة جربة (جنوب). وبين 13 جثة، امرأتان والبقية رجال تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين عاما.

وعثرت قوات الحرس الوطني، الجمعة، على جثة امرأة قذفتها أمواج البحر إلى اليابسة في منطقة جرجيس.

وأعلن مسؤول في منظمة الهجرة الدولية، الخميس، أنّ أكثر من ثمانين مهاجرا باتوا في عداد المفقودين بعد إبحارهم من ليبيا، الاثنين، وغرق القارب الذي يقلّهم. وتقوم قوات الحرس الوطني بإنقاذ العديد من المهاجرين في البحر لكن لا تتولى دفنهم. وتتواصل عمليات البحث عن باقي المهاجرين قبالة السواحل الجنوبية لتونس.

وستنقل الجثث إلى مستشفى مدينة قابس لإجراء تحاليل الحمض النووي على أن تدفن مطلع الأسبوع القادم.

وقال أحد الناجين المالي سليمان كوليبالي الذي يجد صعوبة في تذكر ما جرى "أمضينا يومين معلّقين بالأخشاب". وأضاف "كنّا نحو ثمانين (...) من غينيا وساحل العاج ومالي وبوركينا فاسو". وتابع "كان بيننا أربع نساء، واحدة حامل، وأخرى تحمل رضيعها". وتمّ إنقاذ العشرات من المهاجرين قبالة السواحل الجنوبية التونسية بعد إبحارهم من السواحل الليبية باتجاه إيطاليا خلال الأسابيع الماضية.

ومنتصف يونيو، سُمح لخمسة وسبعين مهاجرا علقوا لأكثر من أسبوعين قبالة السواحل التونسية إثر إنقاذهم بدخول ميناء جرجيس، بعدما وافق عدد كبير منهم على العودة طوعا إلى بلدانهم.

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

ردود فعل دولية مرحبة بالاتفاق بين الفرقاء في السودان

دعوات إقليمية ودولية للالتزام بتطبيق بنود الاتفاق في أسرع وقت

حصد الاتفاق السياسي، الذي وقعه كل من المجلس العسكري الانتقالي وائتلاف "قوى الحرية والتغيير" الذي يقود الحراك الاحتجاجي في السودان، ترحيبا كبيرا من دول عربية وقوى إقليمية ودولية أعربت كلها عن دعمها للاتفاق الذي يرسم ملامح المرحلة الانتقالية في البلاد. كما ينهي الاتفاق الموقع في الخرطوم أزمة سياسية زادت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية سوءا، وقد اعتبرته العديد من القوى الدولية خطوة إيجابية على مسار إرساء الأمن والاستقرار والتقدم نحو تحقيق مطالب وتطلعات السودانيين.

السودان على المسار الصحيح

الخرطوم - تواصلت ردود الفعل الإقليمية والدولية المرحبة بالاتفاق السياسي بين "قوى الحرية والتغيير"؛ قادة الحراك في السودان والمجلس العسكري الانتقالي.

ورحبت الولايات المتحدة، السبت، بالاتفاق الذي توصل إليه المجلس العسكري الحاكم في السودان وتحالف قوى المعارضة والجماعات الاحتجاجية ووصفته بأنه "خطوة هامة للأمام".

وقالت وزارة الخارجية الأميركية، في بيان، إن المبعوث الخاص للسودان دونالد بوث سيعود إلى المنطقة قريبا.

وتابعت "نتطلع إلى الاستئناف الفوري لإمكانية الدخول على الإنترنت وتأسيس المجلس التشريعي الجديد والمحاسبة على أعمال القمع العنيف للاحتجاجات السلمية والمضي قدما نحو إجراء انتخابات حرة ونزيهة".

وقال الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، عبداللطيف الزياني، إنه يرحب بـ"الاتفاق الذي تم التوصل إليه الجمعة بين المجلس العسكري، وقوى الحرية والتغيير، بشأن ترتيبات المرحلة الانتقالية بالسودان".

> **الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش يحث على تنفيذ الاتفاق في الوقت المناسب وبشكل شامل وشفاف ويرحب بالتزام الطرفين بإجراء تحقيق مستقل في أعمال العنف ضد المتظاهرين**

ووصف الزياني، في بيان أصدره السبت، الاتفاق بأنه "خطوة إيجابية ومهمة، لتجاوز الظروف الحالية والانطلاق إلى مرحلة جديدة يسودها الأمن والسلام".

ورحبت الإمارات العربية المتحدة، الجمعة، بالاتفاق معربة عن "تطلعها إلى أن تشكل هذه الخطوة الإيجابية والمهمة" بداية لمرحلة جديدة يسودها الأمن والاستقرار، بما يلبي تطلعات الأشقاء في السودان.

وأكدت وزارة الخارجية والتعاون الدولي في الإمارات "على ثبات موقف الإمارات الداعم للسودان وشعبه الشقيق في كل ما يحقق أمنه واستقراره وازدهاره، وعلى دعمها لكل الإجراءات التي تحفظ أمن واستقرار السودان".

فيما أعلنت السعودية، في بيان صدر مساء الجمعة، ترحيبها بالاتفاق السوداني متطلعة إلى أن "تشكل هذه الخطوة المهمة بداية لمرحلة جديدة يسودها الأمن والاستقرار".

وفي توقيت مماثل، وصف الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، يوسف العثيمين، في بيان، اتفاق الخرطوم بـ"الخطوة الإيجابية".

وشدد العثيمين، على "أهمية تمسك الطرفين بهذا الاتفاق التاريخي، وسرعة تنفيذه"، مؤكدا استعداد المنظمة لتسخير إمكاناتها لدعم الأمن والتنمية في السودان.

من جانبه، رحب الأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبوالغيط بالاتفاق وأثنى على الروح الإيجابية البناءة والمرونة التي تحلى بها المجلس العسكري وقيادات قوى إعلان الحرية والتغيير وكافة الحركات السياسية والمدنية، والتي أفضت إلى الوصول إلى هذا التوافق السوداني المهم لتمكين السودان من عبور الصعاب التي تواجهها.

وفي المنامة، رحبت وزارة خارجية مملكة البحرين بالاتفاق الذي تم التوصل إليه بشأن ترتيبات المرحلة الانتقالية في السودان، وقالت إنه "يعد خطوة مهمة وموفقة لتحقيق طموحات الشعب السوداني في الأمن والسلام والاستقرار والحفاظ على مؤسسات الدولة ووحدتها". وأضاف البيان "تجدد وزارة الخارجية التأكيد على موقف مملكة البحرين الثابت المتضامن دوما مع جمهورية السودان وشعبها الشقيق، ودعمها لكل الإجراءات التي تسهم في التغلب على تحديات هذه المرحلة الصعبة، وبما يحفظ لجمهورية السودان الشقيقة سيادتها وأمنها واستقرارها".

ورحبت مصر بالإعلان عن التوصل إلى اتفاق بين المجلس العسكري الانتقالي في السودان وقوى إعلان الحرية والتغيير.

وذكر بيان صادر عن مكتب المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية أن مصر تعتبر أن هذا الاتفاق يمثل خطوة مهمة على طريق تحقيق الأمن والاستقرار والسلام في البلاد، معربة عن "دعمها الكامل لخيارات الشعب السوداني الشقيق بكامل أطيافه من أجل تحقيق آماله في الأمن والاستقرار والرخاء".

ورحب رئيس البرلمان العربي، مشعل بن فهم السلمي، بالاتفاق بين المجلس العسكري الانتقالي و"قوى الحرية والتغيير" حول تشكيل المجلس السيادي في السودان.

وقال السلمي، في بيان، "إن البرلمان العربي يقف مع السودان لتجاوز المرحلة الدقيقة التي يمر بها تحقيقا لتطلعات الشعب السوداني الشقيق في تحقيق الأمن والاستقرار والعيش الكريم".

بدوره، أكد الأردن في بيان لوزارة الخارجية على "أهمية الحفاظ على أمن السودان واستقراره وتلبية طموحات شعبه الشقيق".

وأعرب عن وقوفه إلى جانب السودان وهو "يعمل على تجاوز تحديات المرحلة لبناء المستقبل الديمقراطي الآمن المنجز الذي يتطلع إليه الشعب الشقيق".

وفي السياق ذاته، أكدت تونس في بيان للخارجية على "أهمية هذا الاتفاق باعتباره خطوة مهمة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ السودان".

والجمعة، رحبت دول عديدة أخرى بالاتفاق- الموقع بين المجلس العسكري والمعارضة التي تقود الاحتجاج- من بينها تركيا وبريطانيا وإثيوبيا وقطر وفلسطين واليمن.

ودوليا، وصف الاتحاد الأوروبي اتفاق الخرطوم بـ"التقدم الكبير". وجاء ذلك في بيان صادر السبت، عن مكتب الممثلة العليا للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية فيديريكا موغريني.

وأكد الاتحاد الأوروبي على أهمية تطبيق كافة الأطراف، للاتفاق الذي تم التوصل إليه بـ"حسن نية"، داعيا لتشكيل الحكومة المدنية -التي من شأنها بناء السلام وتحقيق التنمية الاقتصادية- بأسرع وقت.

كما أكد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش دعم الاتفاق والتزام المنتظم الأممي بالمساعدة في العملية الانتقالية. ورحب غوتيريش بالاتفاق معربا عن ارتياحه له حاثا على تنفيذه "في الوقت المناسب وبشكل شامل وشفاف" ورحب بالتزام الطرفين بإجراء تحقيق مستقل في أعمال العنف ضد المتظاهرين المسالمين، ومن بينها الأحداث التي وقعت في 3 يونيو الماضي.

وشعبيا كان الاتفاق السياسي بارقة أمل للسودانيين المتطلعين إلى الديمقراطية وتحسن أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. وخرج العديد منهم الجمعة للاحتفال حاملين الأعلام وينشدون الأغاني ويرقصون على إيقاعها مملوئين ببهجة استعادة الأمل في تحقيق الديمقراطية بالسودان.

وفي شرق الخرطوم في حي بري الشعبي أحد مراكز انطلاق الاحتجاجات، تلقى الناس الخبر بفرح أعربوا عنه بالغناء وقرع الطبول، خلال تجمع ضم المئات من الأشخاص في أواخر النهار.

وقالت حنان (51 عاما) التي حضرت برفقة ابنتها وحفيدتها وجيرانها "لقد واجهنا هنا تجارب صعبة منذ بدء الحراك. لاحقت قوات الأمن العديد من شبابنا وضربتهم".

وقتل أكثر من مئة متظاهر وفق حركة الاحتجاج منذ انطلاق الحراك في 19 ديسمبر الماضي احتجاجا على قرار الحكومة رفع سعر الخبز ثلاثة أضعاف.

ورأت إسراء (18 عاما) التي قدمت للمشاركة أيضا في الاحتفالات في حي بري "إنها نهاية حقبة البشير: تجب معاقبته وهو يستحق أن يلقى نفس مصير شهدائنا".

ووقف سكان هذا الحي في ضواحي الخرطوم دقيقة صمت، رافعين شعار النصر، تكريما لمن قتلوا في التظاهرات، بينهم من لقي مصرعه في 3 يونيو خلال التفريق الوحشي للاعتصام أمام مقر الجيش في الخرطوم.

مرتدية الثوب الأبيض التقليدي الذي "يمثل السلام"، أشارت هبة (18 عاما) إلى ندبة على يدها.

وأوضحت "أصبت بضربة وتعرضت للغاز المسيل للدموع خلال تظاهرة"، مؤكدة أن مقابل الثمن الذي دفع فإن الشعب السوداني لا يمكن أن يقبل إلا "بحكومة مدنية مئة بالمئة".

ومحاطا بمجموعة أطفال، يرسم محمد (19 عاما) العلم السوداني على وجناتهم.

ويرى هذا الفنان الشاب "يجب أن يحب الصغار بلدهم وأن يكون لديهم وعي سياسي عندما يكبرون". وأضاف "يوما ما، سيعود السودانيون الذين فروا للخارج إلى البلاد. وسيصبح هذا البلد جميلا".وكان المجلس العسكري الانتقالي وقوى الحرية والتغيير قد أعلنا، صباح الجمعة، التوصل إلى اتفاق لتقاسم السلطة خلال فترة انتقالية تقود إلى انتخابات.

ويتضمن الاتفاق، الذي تم التوصل إليه بوساطة إثيوبيا والاتحاد الأفريقي، إقامة مجلس سيادي يقود المرحلة الانتقالية في السودان لمدة 3 سنوات و3 أشهر، ويتكون من 5 عسكريين و5 مدنيين، إضافة إلى عضو مدني يتوافق عليه الطرفان، ليصبح المجموع 11 عضوا.

وسيرأس المجلس في البداية أحد العسكريين لمدة 21 شهرا، على أن يحل مكانه لاحقا أحد المدنيين لمدة 18 شهرا، أي حتى نهاية المرحلة الانتقالية.

كما اتفق الطرفان أيضا على تشكيل "حكومة مدنية سميت حكومة كفاءات وطنية مستقلة برئاسة رئيس وزراء"، وعلى "إقامة تحقيق دقيق شفاف وطني مستقل لمختلف الأحداث العنيفة التي عاشتها البلاد في الأسابيع الأخيرة".

واتفقا أيضا على "إرجاء إقامة المجلس التشريعي والبت النهائي في تفصيلات تشكيله، حالما يتم قيام المجلس السيادي والحكومة المدنية".

ويشهد السودان تطورات متسارعة ضمن صراع على السلطة منذ أن عزل الجيش عمر حسن البشير من الرئاسة (1989 – 2019) في 11 أبريل الماضي، تحت وطأة احتجاجات بدأت أواخر 2018 تنديدا بتردي الأوضاع الاقتصادية.

قيمة الجنيه السوداني ترتفع أمام الدولار عقب الاتفاق السياسي

الخرطوم - ارتفعت قيمة الجنيه السوداني أمام الدولار، السبت، في تداولات الأسواق الموازية، عقب الاتفاق بين المجلس العسكري الانتقالي وقوى الحرية والتغيير الذي تم توقيعه الجمعة.

وأكد متعاملون مع الأسواق الموازية ارتفاع قيمة الجنيه مقابل الدولار، حيث سجل سعر شراء الدولار السبت 59 جنيها مقارنة بـ70 جنيها قبل الاتفاق.

وأوضح عدد منهم، للأناضول، أن سعر بيع الدولار سجل 64 جنيها مقابل 73 الأربعاء الماضي قبل توصل الطرفين إلى اتفاق. وقالوا إن "هنالك حالة من الارتباك في تداولات أسعار العملات الأجنبية بعد الاتفاق، نتج عنها إحجام المتعاملين عن البيع والاكتفاء بشراء المبالغ المعروضة".

سفير المغرب في الإمارات يعزي حاكم الشارقة

أبوظبي - قام سفير المغرب لدى أبوظبي محمد آيت أوعلي الجمعة بزيارة إمارة الشارقة حيث قدم التعازي للشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الإمارة.

وكان العاهل المغربي الملك محمد السادس قد بعث ببرقية تعزية إلى الشيخ سلطان بن محمد القاسمي.

وكان ديوان حاكم الشارقة أعلن، في وقت سابق، عن وفاة الشيخ خالد بن سلطان بن محمد القاسمي الاثنين في العاصمة البريطانية لندن.

وأمر رئيس الإمارات الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان "بتنكيس الأعلام في الدولة وإعلان الحداد لمدة ثلاثة أيام".

والشيخ خالد كان في أواخر الثلاثينات من عمره، وهو المؤسس والمدير الإبداعي لدار "قاسمي" للأزياء.

مقتل مدنيين في قصف جوي شمال غرب سوريا

دمشق – قتل عشرون مدنيا بينهم سبعة أطفال غالبيتهم جراء قصف جوي لقوات الجيش السوري على مناطق عدة في شمال غرب البلاد، وفق ما أحصى المرصد السوري لحقوق الإنسان، السبت.

وتتعرض منطقة إدلب ومناطق محاذية، تسيطر عليها هيئة تحرير الشام (النصرة سابقا) وتؤوي نحو ثلاثة ملايين نسمة، لتصعيد في القصف منذ أكثر من شهرين، يترافق مع معارك عنيفة تتركز في ريف حماة الشمالي. وتؤكد دمشق أنها تستهدف من عملياتها في شمال غرب البلاد الجماعات الجهادية المدعومة من أنقرة والتي تنشط في تلك المنطقة.

وأفاد المرصد عن مقتل سبعة مدنيين، السبت، ثلاثة منهم رجل وزوجته وابنته جراء ضربات جوية روسية على بلدة مورك في ريف حماة الشمالي.

وجاءت هذه الحصيلة بعد مقتل 13 مدنيا آخرين بينهم سبعة أطفال، وفق المرصد، جراء قصف للقوات السورية، مساء الجمعة، على قرية محمبل في إدلب.

والجمعة، ناقش وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف وممثل الأمم المتحدة لشؤون سوريا جير بيدرسن، في موسكو، تطورات الأوضاع في إدلب في ظل استمرار التوتر في منطقة "خفض التصعيد" شمال البلاد.

وقتل منذ نهاية أبريل جراء الغارات السورية والروسية 859 من الفصائل الجهادية والمقاتلة و723 من قوات النظام والمسلحين الموالين لها، بحسب المرصد.

وألحق القصف والغارات منذ نهاية أبريل، وفق الأمم المتحدة، أضرارا بـ25 مرفقا طبيا على الأقل و45 مدرسة في ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي.

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

إيران والتصالح مع لغة الأرقام

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هناك حسابات أميركية وأخرى إيرانية. من الواضح أنّ ليس في واشنطن من يريد الدخول في صدام عسكري مباشر مع إيران. هذا لا يعني بالضرورة أن الحرب الأميركية على "الجمهورية الإسلامية" ستتوقّف. هذه الحرب مستمرّة وهي اقتصادية قبل أيّ شيء آخر، خصوصا أن الإدارة الأميركية تعرف تماما أن المطلوب إيرانيا مواجهة عسكرية محدودة تعلن بعدها إيران أنّها حققت انتصارا على "الشيطان الأكبر".

تحاول إيران تكرار تجربة صيف العام 2006 في لبنان. في نهاية الحرب بين إسرائيل و"حزب الله"، أعلن الحزب بعد موافقته على كلّ كلمة وحرف في قرار مجلس الأمن الرقم 1701، أنّه حقّق "انتصارا إلهيا" على إسرائيل، في حين أن الانتصار الحقيقي كان انتصارا للحزب على لبنان واللبنانيين وذلك في سياق سعيه إلى تغطية جريمة اغتيال رفيق الحريري ورفاقه. تريد إيران بكلّ بساطة تكرار تجربة حرب صيف 2006 ولكن على نطاق أوسع هذه المرّة.

من سوء حظّ "الجمهورية الإسلامية" أنّ ليس في واشنطن من هو مستعدّ للسقوط في الفخّ الإيراني. هناك في المقابل من هو مستعدّ للضغط على إيران في المكان الذي يؤلمها أكثر من غيره. هذا المكان هو الاقتصاد والعقوبات التي تزداد يوما بعد يوم والتي بدأت تظهر مفاعيلها بكلّ وضوح في بلد يعيش أكثر من نصف سكّانه تحت خط الفقر.

تخوض إيران الحرب على أميركا انطلاقا من حسابات خاصة بها تعتمد بشكل خاص على أوراقها الإقليمية. تسعى إيران إلى استخدام هذه الأوراق كي تقول إنّها لاعب إقليمي وإن على الإدارة الأميركية التفاوض معها من هذا المنطلق. لعلّ أكثر ما يزعج إيران رفض الأميركيين الاعتراف بوجود هذه الأوراق وصلاحيتها.

من وجهة نظر واشنطن يظلّ الاقتصاد البداية والنهاية. كلّ ما عدا ذلك تفاصيل، بما في ذلك الورقة العراقية التي تمسك بها إيران أكثر من أيّ وقت. يدلّ على ذلك الاعتداء على السفارة البحرينية في بغداد وما تلاه من تجاهل كامل لملاحقة المعتدين عليها وكأنّ هؤلاء يرمزون إلى حقيقة توازن القوى في الداخل العراقي الذي يقاوم الهيمنة الإيرانية.

يبدو أن هذه المقاومة لم تأت بعد بأي ثمار تذكر، خصوصا بعدما تبيّن أن كلام رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي عن ضمّ ميليشيات "الحشد الشعبي" إلى الجيش النظامي لا يعني في الواقع شيئا بالنسبة إلى التخلّص من هذه الميليشيات.

هناك حسابات أميركية مختلفة عن الحسابات الإيرانية. تقوم هذه الحسابات على عدم التجاوب مع الاستفزازات الإيرانية. استخدمت إيران كلّ ما لديها من وسائل كي تردّ أميركا على استفزازاتها. لم يضغط الرئيس دونالد ترامب على الزناد بعد إسقاط إيران لطائرة تجسس أميركية تعمل من دون طيّار في سماء مضيق هرمز. ليس معروفا إلى الآن هل كانت هذه الطائرة في الأجواء الإيرانية أم لا. لكنّ المعروف أنّها الطائرة الأكثر تطورا في مجال التجسس وثمنها نحو 120 مليون دولار وذلك من دون احتساب كلفة برنامج تطويرها الذي يمكن أن يرفع ثمن الطائرة الواحدة من هذا النوع إلى ما يقارب 180 مليون دولار.

كان إسقاط الطائرة صفعة حقيقية للإدارة الأميركية. إلى ذلك، تبيّن أن إيران تمتلك صواريخ أرض – جو متطورة، بما يعطي فكرة عن عمق العلاقة بين موسكو وطهران...

لم تترك إيران سلاحا إلّا واستخدمته من أجل استفزاز الولايات المتحدة وحلفاءها في المنطقة. اعتدت على ناقلات نفط في الخليج وأرسلت طائرات من دون طيّار انطلقت من الأراضي العراقية لتضرب منشآت نفطية في المملكة العربية السعودية. لم يقصّر الحوثيون في خدمة إيران. تأكّد مع مرور الأيّام أن الحوثيين في اليمن، أي "أنصارالله" ليسوا سوى أداة إيرانية تستخدم في خدمة المشروع التوسّعي الإيراني...

كان الردّ الأميركي في كلّ وقت المزيد من العقوبات على إيران. لعل العقوبة الأكبر كانت تمزيق ترامب للاتفاق في شأن الملفّ النووي الإيراني. نزع خروج أميركا من الاتفاق ورقة التوت التي كانت تلجأ إليها "الجمهورية الإسلامية" من أجل التغطية على نياتها الحقيقية في المنطقة. وفر لها الاتفاق المليارات من الدولارات التي استخدمتها في تمويل ميليشياتها المذهبية في العراق وسوريا ولبنان واليمن وفلسطين. امتلكت إدارة باراك أوباما ما يكفي من الغباء كي تنطلي عليها المناورة الإيرانية التي اسمها الملفّ النووي.

من سوء حظّ «الجمهورية الإسلامية» أنّ ليس في واشنطن من هو مستعدّ للسقوط في الفخّ الإيراني. هناك في المقابل من هو مستعدّ للضغط على إيران في المكان الذي يؤلمها أكثر من غيره. هذا المكان هو الاقتصاد والعقوبات التي تزداد يوما بعد يوم والتي بدأت تظهر مفاعيلها بكلّ وضوح في بلد يعيش أكثر من نصف سكّانه تحت خط الفقر

حسنا، قررت إيران الآن تجاهل القيود التي فرضها عليها الاتفاق في شأن ملفّها النووي. ما الذي سيعنيه ذلك؟ حتّى لو حصلت إيران على القنبلة النوويّة لن يؤدي ذلك إلى تغيير يذكر على الصعيد الإقليمي باستثناء أن دولا أخرى في المنطقة، مثل السعودية ومصر وتركيا، ستسعى بدورها إلى امتلاك السلاح النووي.

ليست المسألة، ولم تكن يوما، مسألة ملفّ نووي إيراني. هناك سلوك إيراني ليس مقبولا. أساء هذا السلوك إلى إيران نفسها وإلى كلّ دولة من دول المنطقة. هناك للمرّة الأولى إدارة أميركية تعرف ما الذي يؤلم إيران. لذلك كان الردّ على ضرب ناقلات النفط في الخليج احتجاز الناقلة التي تنقل نفطا إيرانيا إلى النظام السوري في جبل طارق. لا تضغط الإدارة الأميركية على إيران فقط، بل تضغط أيضا على أدواتها، بما في ذلك أداتها اللبنانية وأداتها السورية الممثلة في النظام الذي على رأسه بشّار الأسد.

يبقى سؤال أخير: إلى أي حدّ ستذهب إيران في التصعيد من أجل الانتهاء من العقوبات الأميركية؟ هل تردّ على احتجاز الناقلة في جبل طارق باحتجاز ناقلة بريطانية في الخليج؟

الثابت أنّ إيران تعاني من العقوبات. الثابت أيضا أنّها لا تعرف أنّ هناك مخرجا من هذه العقوبات. اسم هذا المخرج الاعتراف بأنّ العالم تغيّر وأنّ أي رهان على أوروبا من أجل التخلّص من العقوبات هو رهان على سراب ليس إلّا. لم تعد أوروبا قوّة ذات وزن سياسي، خصوصا أن كلّ دولة في القارة تعاني من مشاكل خاصة بها حولتها إلى أسيرة لتلك المشاكل... أمّا الصين التي تراهن عليها "الجمهورية الإسلامية" من أجل تصدير بعض النفط، فهي مهتمّة قبل كلّ شيء بإيجاد طريقة لإنهاء الحرب التجارية مع الولايات المتحدة. فوق ذلك، أن أيّ كمّية نفط ستستوردها الصين من إيران لن يكون لها تأثير يذكر على تحسّن الاقتصاد الإيراني. كلّ ما في الأمر أن هناك عالما جديدا بحسابات مختلفة ترفض إيران الاعتراف بوجوده. يعمل هذا العالم استنادا إلى لغة الأرقام التي ترفض "الجمهورية الإسلامية" التصالح معها. تقول لغة الأرقام إن إيران لم تعد تصدّر من نفط سوى نصف ما كانت تصدّره قبل سنّة، وربّما أقلّ من ذلك بكثير.

الفساد العراقي بين الأمس واليوم

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

يُكثر العراقيون اليوم من العودة إلى كتاب حنا بطاطو، أو ديوان الرصافي، أو مؤلفات علي الوردي، أو شعر بدر شاكر السياب، أو أخبار الملك فيصل الأول، أو نوادر نوري السعيد، أو منلوجات عزيز علي، أو إلى كتب المذكرات التي كتبها رؤساء وزارات أو وزراء أو قادة عسكريون من العهود (البائدة)، وما أكثرها في تاريخ العراق الطويل.

وذلك هربا من الغمّ الذي أجاد صُنعه ونشره وتعميمه قادة العراق الديمقراطي الجديد، منذ أن أجلسهم المحتل الأول ثم المحتل الثاني على ظهر الشعب العراقي وأطلق أيديهم في أمواله وكرامته، وسيادة وطنه، وهيبة رئاسة جمهوريته، ورئاسة وزرائه، ورئاسة برلمانه، وقيادة جيشه وأمنه وحرس حدوده. فهم اليوم، مثلهم كمثل المريض المتألم المحتاج إلى مسكنات، يعودون إلى سجلات العهود الماضية، ويقلبون متروكاتها بحثا عن قصص وحكايات، صحيحة كانت أو ملفقة، عن النزاهة والأمانة والوطنية والشرف والكرامة.

والحقيقة أن تلك العهود السالفة، الملكية منها والجمهورية، لم تكن خالية من الفساد والخيانة والتجسس. وفي مذكراته يروي لنا عبدالعزيز القصاب، رئيس الوزراء والوزير ومراقب حسابات الدولة، في أيام الحكم العثماني، وفي زمن الانتداب البريطاني، وفي عهد الاستقلال، حكايات عديدة عن اختلاس ورشوة وتجسس وعمالة. ولو قيست حكاياتُه عن سرقة أو عن استغلال وظيفة أو عن تجسس بما هو جار حاليا لثبت أن تلك العهود، برغم كل عيوبها ونواقصها، كانت ملائكية، وأن قادتها كانوا ملائكة، دون ريب.

الحكاية الأولى

سافر الباشا عبدالمحسن السعدون، ذات ليلة، وهو رئيس وزراء ووزير داخلية بالوكالة، من أحد الأقضية عائدا إلى بغداد، فلم يجد له مكانا في مقصورات الدرجة الأولى، فدخل مقصورة من الدرجة الثانية، وحين وجد رجلا وزوجته قد سبقاه إليها، وكانا نائمين، لم يشأ إزعاجَهما، فصعد إلى الفراش العلوي، بصمت وهدوء.

وبعد فترة أفاق الزوج، وراح يثرثر مع زوجته عن بطولاته وشطاراته في التلاعب بأموال الدائرة الحكومية التي يعمل مديرا لحساباتها، وعن أعمال إجرامية أخرى، وعن سذاجة المسؤولين فيها وعجزهم عن اكتشاف ألاعيبه، والباشا يسمع وهو ساكت. وعند وصول القطار إلى بغداد نزل عبدالمحسن السعدون وغادر المحطة، ولكن بعد أن استقصى من مكتب بيع التذاكر وتعرف على هوية الزوج.

وبعد أيام دخل ذلك المختلسُ نفسُه إلى مكتب وزير الداخلية غاضبا محتجا على طرده من الوظيفة. ولكنه حين شاهد الباشا عبدالمحسن السعدون عرف أن وزير الداخلية الذي يقف أمامه الآن هو شريكه في قطار تلك الليلة. فخجل، وراح يتوسل ويطلب منه الصفح والغفران. فأعفاه الوزير من الطرد، ولكن بشرط أن يعيد لخزينة الدولة جميع سرقاته، وعلى الفور.

الحكاية الثانية

بعد أن استقالت حكومة جميل المدفعي عيّنه رئيسُ الوزراء الجديد ياسين الهاشمي في سنة 1937 مراقبا عاما لمديرية حسابات الدولة التي تقابلها عندنا اليوم هيئة النزاهة في (عراقنا الديمقراطي الجديد).

يقول، لقد كشفنا كثيرا من المخالفات في حسابات الوزارات، وكنا نلفت أنظار الوزراء إليها، دون جدوى، ثم نلجأ لمجلس الوزراء، ونقدم تقاريرنا لمجلس النواب لإطلاعه على المخالفات واتخاذ ما يلزم بشأنها، ولكن لا الحكومة ولا رئاسة مجلس الأمة، ولا أي سلطة عليا قد اتخذت أي إجراء رادع بحق المسيئين في جميع القضايا التي عرضناها عليها.

الحكاية الثالثة

في أعقاب انتفاضة الشعب العراقي ضد معاهدة (بورت سموث) التي وقعها رئيس الوزراء صالح جبر مع الإنكليز في عام 1948 اجتمع الوصي على العرش الأمير عبدالإله بعدد من رجال السياسة لمناقشة الأوضاع المتفجرة تلك. وحرص الوصي على أن يكون الاجتماع سريا للغاية، وشدد على دائرة التشريفات وعلى المدعوين بعدم تسريب أي شيء مما يناقش فيه.

وفي اليوم التالي زاره السفير البريطاني غاضبا وأخبره بتفاصيل الاجتماع، وبكل ما قاله كل واحد من المجتمعين، بدقة، وكأنه كان قد حضره بنفسه. وتساءل الوصي قائلا، إذن ماذا نفعل؟ أهكذا يكون حفظ الأسرار لدى أعلى المستويات؟

ترى ماذا كان سيقول عبدالعزيز القصاب لو امتد به العمر ورأى ما رأينا ونرى، وسمع ما سمعنا ونسمع؟

فالموظف الذي عاقبه رئيس الوزراء، وزير الداخلية، عبدالمحسن السعودن، كان يختلس دنانير معدودة، أما اختلاس اليوم فبالملايين وبأنصاف المليارات وبالمليارات. وليت المختلسين الجدد يحتفظون بمسروقاتهم في وطنهم المسروق، ويستثمرونها في مشاريع تسكت عنهم شعبهم الخانع الصبور، وتعين مئات الآلاف من العاطلين على الهم والغم وفوران الدم.

والجاسوس الذي أغضب الوصي وأثار عجبه واستغرابه فقد كان مجهولا مدسوسا عليه من دولة صديقة أو شقيقة.

أما تجسس اليوم فهو علني. بل هو شرف يباهي به الجاسوس، ويكافأ عليه بوزارة أو بزعامة حزب أو قيادة كتلة نيابية أو ميليشيا، وقد يعيّن وزيرا للداخلية أو الدفاع أو مديرا للمخابرات، ثم يصبح، في أسابيع، من أرباب المقامات العليا، ومن أصحاب المصارف والشركات والقصور والمزارع، ويزوره رئيسُ جمهورية ورئيس وزراء وزعيم تيار (وطني) طلبا للمشورة، وتعزيزا للصداقة والمودة والاحترام.

وزارة الداخلية ووزارة الدفاع والمخابرات وقيادات الجيش وكتائب الحشد الشعبي تملكها وتديرها دولة أجنبية، نهارا جهارا. ووزارة المالية والبنك المركزي ووزارات التربية والتعليم العالي والخارجية والنفط والتجارة ومؤسسات الاستثمار والمصارف كلُها تعمل لخدمة كل من هب ودب خارج الحدود

وزارة الداخلية، اليوم، بقضها وقضيضها، ووزارة الدفاع والمخابرات وقيادات الجيش وكتائب الحشد الشعبي تملكها وتديرها دولة أجنبية، نهارا جهارا. ووزارة المالية والبنك المركزي ووزارات التربية والتعليم العالي والخارجية والنفط والتجارة ومؤسسات الاستثمار والمصارف كلُها تعمل لخدمة كل من هب ودب خارج الحدود، علنا وبلا خوف ولا حياء.

أما النزيه، في يومنا هذا، وفي عراقنا هذا، فإنه الشاذ والمنحرف والغبي الذي لا يعاند التيار، ولا يساير القطيع، فيحق عليه القول وتحل عليه اللعنة ويكون من الخاسرين. وسلموا لي على المجلس الأعلى لمكافحة الفساد، وعلى رئيسه الشهم الهمام، عادل عبدالمهدي، وعلى أعوانه المجاهدين الكرام.

تحرك تركي لحماية مصالح أنقرة في المعادلة السورية

رانيا مصطفى

تتحرك تركيا سريعا لاستباق حصول تفاهمات أمنية ثلاثية؛ روسية- أميركية- إسرائيلية، تخرجها من المعادلة السورية؛ فإذا كانت محاصرة إيران، وتحجيم نفوذها في سوريا، هو أولوية بالنسبة لأميركا وإسرائيل والعرب، فإن تقليص دور تركيا هو ثاني الأهداف، وهو يلتقي مع الطموحات الروسية في استعادة السيطرة على مناطق شمال غرب سوريا، من يد المعارضة المسلحة الأقرب إلى تركيا.

دعت تركيا تحالف أستانة الثلاثي؛ تركيا وروسيا وإيران، إلى عقد جلسة جديدة في إسطنبول خلال شهر يوليو الجاري، ودعا الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، خلال زيارته إلى الصين، لحضور قمة مجموعة العشرين في أوساكا اليابانية، إلى عقد قمة رباعية جديدة بمشاركة وروسيا وفرنسا وألمانيا، بعد الاجتماع الأول الذي عقد في إسطنبول في أكتوبر 2018.

عدم الاتفاق الروسي الأميركي الإسرائيلي، يعطي وقتا إلى تركيا لترتيب اتفاقات تضمن مصالحها وأمنها في سوريا، فقد باتت تريد، حسب تصريحات أردوغان، ضم إدلب إلى مناطق نفوذها كما منطقة «غصن الزيتون» في عفرين وريفها، ومنطقة «درع الفرات» الممتدة على حدودها

وغير ذلك هناك القمة الثنائية بين بوتين وأردوغان، على هامش قمة مجموعة العشرين الأسبوع الماضي، والتي تم فيها بحث الوضع في شمالي غربي سوريا، والبحث عن تفاهمات جديدة لإيقاف الحرب في إدلب.

ومنذ شهر ابريل الماضي، ظهرت معالم تقارب أميركي- تركي بخصوص الوضع في سوريا، حيث عقدت اللجان العسكرية التركية والأميركية لقاءات مكثفة بهذا الخصوص، اقتربت من الوصول إلى اتفاق أعلن عنه جيمس جيفري، المبعوث الأميركي إلى سوريا، يتعلق بالمنطقة الأمنية شمالي شرقي سوريا، ثم تأكد التفاهم بعد القمة الثنائية لترامب وأردوغان، على هامش قمة مجموعة العشرين في اليابان، من خلال التصريحات الإيجابية للرئيس الأميركي دونالد ترامب تجاه تركيا.

وانعكست مؤشرات هذا التقارب التركي- الأميركي سريعا على تحسن في قيمة الليرة التركية بمقدار 13 نقطة.

استفادت تركيا من الموقف الأوروبي الداعم لاتفاق المنطقة منزوعة السلاح في إدلب، في سوتشي في 17 سبتمبر 2018، والمتمثل باجتماع إسطنبول الرباعي، ومن الدعم الأميركي الذي تمثل حينها بتحذير روسيا والنظام السوري، من استخدام الأسلحة المحرمة دوليا، والذي تطور إلى تحذير شديد اللهجة من شن أي هجوم على إدلب. في خطوة من إدارة ترامب للضغط على روسيا، بعد أن ألغي اللقاء الثنائي للرئيسين بوتين وترامب والمقرر عقده على هامش قمة مجموعة العشرين في الأرجنتين العام الماضي.

لكن حصل تراخ أميركي بعض الشيء، حيال إمكانية شن هجوم محدود على إدلب، من قوات النظام السوري، بغطاء جوي روسي، والذي بدأ بالفعل في 25 أبريل الماضي، وذلك بعد التقارب الأميركي الروسي، والذي كانت بدايته مع زيارة مايك بومبيو، وزير الخارجية، برفقة جون بولتون مستشار الأمن القومي إلى روسيا، ولقاء فلاديمير بوتين، وذلك بعد شعور الإدارة الأميركية بتورطها بشأن التصعيد مع إيران، وهناك تسريبات عن نقاشات حول توافقات أميركية- روسية حينها حول تحجيم النفوذ الإيراني في سوريا.

وبالتالي أخذت روسيا وقتها في حربها على إدلب، وفي إجراء ما تحتاجه من تغييرات عسكرية ضمن فرق النظام المهاجمة وقياداتها، دون أن تتمكن من تحقيق تقدم يخدمها، ومع المزيد من الخسائر في قوات النظام، التي بدت هزيلة أمام فصائل المعارضة، رغم الغطاء الجوي الروسي الذي تحظى به. وبالتالي استنفذت روسيا خيارها بالاعتماد على جيش النظام، وهي الآن تقامر بالاستعانة بمليشيات إيران مجددا، خاصة حزب الله اللبناني، الذي يحشد بالقرب من جبل الزاوية جنوب إدلب، وسهل الغاب شمال حماهة

العودة الروسية إلى التحالف الميداني مع إيران في معركة إدلب، يعني أن التوصل إلى اتفاق مع الولايات المتحدة وإسرائيل لا يزال بعيدا، أو أن روسيا، التي تتقن سياسة الابتزاز، تستغل المطلب الأميركي- الإسرائيلي الملحّ بخروج الميليشيات الإيرانية، وذلك بتقوية هذه الميليشيات، من أجل تضخيم الورقة الإيرانية، وعزز ذلك امتعاضها من الضربات الإسرائيلية الأخيرة، وهي الأعنف منذ 3 سنوات، على المواقع الإيرانية في ريف دمشق وحمص، وذلك للمساومة على مطالب أكبر تتعلق بالانسحاب الأميركي من شرق الفرات، وتركه للنظام، وبالسماح بالتطبيع العربي مع نظام الأسد وعودته إلى جامعة الدول العربية، وبتمويل عربي لمشاريع الإعمار، حتى يتسنى لموسكو حصد نتائج تدخلها العسكري في سوريا منذ خريف 2015. فيما تراهن موسكو على وساطة إسرائيل مع واشنطن للقبول بالمطالب الروسية.

عدم الاتفاق الروسي الأميركي الإسرائيلي، يعطي وقتا لتركيا لترتيب اتفاقات تضمن مصالحها وأمنها في سوريا، فقد باتت تريد، حسب تصريحات أردوغان، ضم إدلب إلى مناطق نفوذها كما في منطقة "غصن الزيتون" في عفرين وريفها، ومنطقة "درع الفرات" الممتدة على حدودها من جرابلس حتى إعزاز في ريف حلب الشمالي؛ باعتبار منطقة إدلب قريبة من حدودها، وهي تراهن على قدرتها على ضبط الفصائل، إذا ما تم التوصل إلى توافق جديد مع روسيا، لحماية القواعد الروسية القريبة من أي هجمات. وفي الوقت نفسه، ما زالت تركيا لا تطرح أي حلول بشأن المعضلة الجهادية، وحل هيئة تحرير الشام وتطويعها ضمن الفصائل المعتدلة، بانتظار تفاهم مع روسيا، يحتاج إلى دعم أميركي وأوروبي، يخص مصير إدلب، ومجمل الحل في سوريا.

في هذا الوقت الصعب، تتعرض حكومة أردوغان إلى ضغوط داخلية هائلة تهدد بقاءها في الحكم، بعد خسارة حزب العدالة والتنمية مدينة إسطنبول في الانتخابات البلدية الأخيرة، الأمر الذي أعطى حظوظا لحزب الشعب الجمهوري المعارض، الذي فاز بالانتخابات البلدية في المدن الكبرى بعد 15 سنة من الإخفاقات السياسية، هذا عدا التسريبات الصحافية عن حصول انشقاقات في حزب العدالة والتنمية نفسه. وبالتالي يسعى أردوغان إلى توافقات سريعة مع كل من أميركا وروسيا، بشأن حسم ملفات شرقي الفرات، وإدلب، لتأمين عودة السوريين اللاجئين في إسطنبول، والبالغ عددهم 3 ملايين و663 ألفا، منهم 600 ألف في إسطنبول وحدها، ويشكلون نسبة 4.6 في المئة من إجمالي الشعب التركي، حسب إحصاءات رسمية تركية؛ خاصة مع تصاعد تيارات عنصرية تركية مؤخرا ضد التواجد السوري في تركيا.

تركيا ترسخ وجودها في إدلب

من ليبيا إلى تكساس.. مآس تبرز معاناة المهاجرين

لوري هينانت وجايمي كيتن

جنيف - يجد المهاجرون الذين كانوا يحاولون الوصول إلى أوروبا عبر المعابر البحرية الليبية أنفسهم محاصرين في مراكز احتجاز مزرية في طرابلس. وعلى بعد آلاف الكيلومترات، يلفظ نهر ريو غراندي، الذي يمتد من جنوب غرب كولورادو في الولايات المتحدة إلى خليج المكسيك، جثث المهاجرين القادمين من بلدان مثل المكسيك كولومبيا والسلفادور في اتجاه أميركا.

يغرق المهاجرون في مياه البحر المتوسط والمحيط الهادئ والأنهار التي لا يمكنهم حتى تسميتها، وتختفي جثثهم في الأعماق. كما يسقط البعض من الطائرات بعد اختبائهم وراء عجلاتها. ونذكر الحادثة الأخيرة المتمثلة في سقوط رجل من طائرة تابعة للخطوط الجوية الكينية كانت قادمة من نيروبي إلى مطار هيثرو في لندن.

مع خياراتهم الضيقة في البر والبحر، غالبا ما تنظر البلدان إلى المهاجرين الذين يأملون في الوصول إليها على أنهم "صداع سياسي"، كما تتجاهلهم البلدان التي يفرون منها. ويبقى هؤلاء الأشخاص معلقين بين جنة البلدان التي يحلمون بالعيش فيها، وجحيم بلدانهم الأصلية الهاربين منها والبلدان المعتقلين فيها.

وحوّلت المآسي الأخيرة الانتباه إلى المخاطر التي يواجهها المهاجرون والقيود السياسية التي تتسبب فيها.

وذكرت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة في تقريرها السنوي الذي صدر في شهر يونيو الماضي، أن 71 مليون شخص نزحوا قسريا في جميع أنحاء العالم سنة 2018، وهي أعلى نسبة مسجلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ما زال الكثير من هؤلاء النازحين يتنقلون بحثا عن الاستقرار، فيما لا يزال البعض الآخر محاصرا، مثل الآلاف من المهاجرين المعتقلين الموجودين في ليبيا. وقتل مؤخرا 44 مهاجرا منهم وأصيب حوالي 80، إثر غارة جوية ضربت مركز احتجاز في ضاحية تاجوراء.

واعترض خفر السواحل الليبي معظم الموجودين في تاجوراء وغيرها من مراكز الاعتقال الليبية، وقد أصبح هو القوة الحدودية للاتحاد الأوروبي الذي يعاني من انقسامات في حكوماته حول أزمة الهجرة. وعلى الرغم من المحادثات التي نظمتها أوروبا والولايات المتحدة بهدف البحث عن حل يخفف من حدة هذه المعضلة، تبقى تركيا وباكستان وأوغندا أهم ثلاث دول تستقبل اللاجئين. وتأتي ألمانيا في المرتبة الخامسة.

نقلت وكالة أسوشيتد برس تجربة شاب يبلغ من العمر 20 عاما، هرب من الحرب القائمة في بلاده في أفريقيا جنوب الصحراء قبل عامين. ونجا من الغارات الجوية وتبادل إطلاق النار بين أفراد الميليشيات الذين كانوا يحاولون إبقاء المهاجرين داخل المركز، وتعذيب العصابات التي تبحث عن الفدية، والغرق في البحر. وهو الآن ينام خارج مركز احتجاز تاجوراء مع المئات من المهاجرين الآخرين، أين ينتظر فرصة ثانية للهرب عبر البحر.

وقال المتحدث، الذي لم تفصح الوكالة عن اسمه لأن المقاتلين الذين أطلقوا النار عليه ما زالوا يحرسون المكان، "واجهت الموت في ليبيا عدة مرات من قبل. أنا مستعد لمواجهة الموت مرة أخرى. فقدت أخوتي في الحرب ببلدي".

بعد أيام قليلة من الغارة الجوية، غرق قاربان يحملان المهاجرين قرب السواحل الليبية، وفقد حوالي 140 شخصا. وأسعفت سفن الإنقاذ مجموعة أخرى من المهجرين، ثم منعتهم إيطاليا من دخول مياهها الإقليمية في اتجاه جزيرة لامبيدوزا.

ولم تقف الحوادث عند هذا الحد. فقد كان أحدهم مستلقيا للاستمتاع بالشمس في حديقة بمنطقة كلابام اللندنية عندما سقطت جثة أحد المهاجرين من طائرة متجهة من نيروبي إلى مطار هيثرو في لندن بجانبه. في اليوم التالي، اجتمع المشيعون في السلفادور لدفن رجل وابنته الصغيرة بعد أن غرقا وهما يحاولان عبور نهر ريو غراندي إلى تكساس.

سنة 2015، شهد العالم أزمة لاجئين كبرى مع تدفق السوريين والعراقيين والأفغان إلى أوروبا، ومؤخرا عادت محنة المهاجرين إلى الصفحات الأولى للتذكير بتواصل هذه الأزمة.

أصبحت الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك نقطة ساخنة وسط طموحات دونالد ترامب المتمثلة في بناء جدار يمنع المهاجرين من العبور إلى الأراضي الأميركية. وبقي العديد من الأطفال عالقين في مراكز احتجاز في حالة مزرية. كما فصلوا عن عائلاتهم في سياسات يصفها النقاد بأنها غير إنسانية و"غير أميركية".

على نطاق أوسع، يقول المدافعون عن المهاجرين إن الموارد الكافية لمعالجة المشكلة لا تكفي في بلدان المهاجرين، أو البلدان التي يعبرون منها، أو البلدان التي يريدون الوصول إليها. ويقولون إن التعاون الدولي هو الذي يمكن أن يساعد في حل هذه الأزمة، وهو شرط يصعب تحقيقه في فترة تتزايد فيها المشاعر الشعبوية في العديد من بلدان العالم.

قال المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فيليبو غراندي، إن مكتبه يجري "حوارا" مع وزارة الأمن الداخلي الأميركية، و"إذا كان هناك أي مساعدة يمكننا تقديمها إلى الإدارة الأميركية، فإننا على استعداد لذلك".

ودعا إلى مناقشة إقليمية بين بلدان مثل الولايات المتحدة (وجهة العديد من المهاجرين)، والمكسيك (بلد العبور)، وبلدان المهاجرين الأصلية مثل السلفادور وهندوراس وغواتيمالا أين تنتشر العصابات ويغيب القانون. وقال للصحافيين في جنيف "لقد زرت هندوراس وغواتيمالا والسلفادور. يتسبب العنف الذي تمارسه العصابات وعجز الحكومات عن حماية مواطنيها في جزء من تدفقات المهاجرين". وذكّر بوجوب معالجة الأزمة بطريقة فعالة دون وصم أي طرف أو اتهامه.

المبادئ الإنسانية تغرق في بحر تعقيدات قضية المهاجرين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

السلطة الرابعة تبقي على أعينها داخل الإليزيه

الرئيس الفرنسي يتراجع عن قرار نقل غرفة الصحافيين

سعى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى وضع مسافة بين "الإليزيه" والسلطة الرابعة في بلاده والحدّ من دخول وسائل الإعلام إلى داخل مقر إدارة السلطة في البلاد، ما تسبب في تعقيد علاقته بوسائل الإعلام وألقى بظلاله على السياسة الفرنسية بشكل عام. ودفع ذلك الرئيس الفرنسي إلى التراجع عن قراره والإعلان على إبقاء غرفة الصحافيين كما هي داخل قصر الإليزيه في إطار سعيه لإصلاح علاقته المضطربة بوسائل الإعلام.

مواكبة لحظة بلحظة

باريس - أنهى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون جدلا حول طبيعة العلاقة بين القصر الرئاسي ووسائل الإعلام الفرنسية بعد قرار مثير للجدل اتخذ في بداية عهده قضى بالتحضير لنقل القاعة المخصصة للصحافيين إلى خارج فناء القصر.

ويعني هذا القرار أن الرئيس الفرنسي خسر المواجهة مع الصحافة في بلاده وأذعن للنصائح التي تلقاها بعدم إحداث قطيعة بين القصر والإعلام، والاستمرار في الحفاظ على العلاقات التقليدية التي لطالما نسجت بين الرئاسة الفرنسية ومنابر الإعلام في فرنسا.

وأعلن قصر الإليزيه، الجمعة، عن إبقاء هذه الغرفة داخل فناء القصر الرئاسي منهيا توترا في علاقة الإليزيه بالصحافة الفرنسية. وتنم تلك المبادرة التصالحية عن تغير جديد في استراتيجية ماكرون للتواصل بشكل عام والتي اتسمت في بداية ولايته بمحاولة تجنب الصحافيين.

وأعلن ماكرون هذه الخطوة في رسالة وجهها كبير مساعديه ألكسي كولير إلى رابطة صحافيي الرئاسة الفرنسية. ويعود إنشاء قاعة الصحافة الرئاسية إلى السنوات الأولى للجمهورية الخامسة، في عهد الجنرال شارل ديغول.

وأنشأت القاعة لأول مرة في مبنى ملحق، ثم تم نقلها إلى داخل القصر في عهد الرئيس الأسبق فاليري جيسكار ديستان، قبل أن تنقل في عام 1984 في عهد فرنسوا ميتران إلى الفناء الرئيسي، من أجل مزيد من الشفافية. وقد تم توسيع القاعة خلال رئاسة نيكولا ساركوزي.

وكانت وسائل إعلام فرنسية، من بينها صحيفتا لو موند وليبراسيون، استنكرت في ذلك الوقت القرار، وقالت إنه يقوض قواعد الشفافية والمحاسبة بما يثير تساؤلات بشأن ليبرالية ماكرون. وبرر الإليزيه هذا القرار آنذاك بالحاجة إلى تكريس هذه المساحة لتحويلها إلى قاعة اجتماعات جديدة للمستشارين، وفي الوقت نفسه، بالرغبة في "توفير ظروف عمل محسّنة" للصحافة.

غير أن الصحافة اعتبرت أن رئيس البلاد يودّ إبعاد الصحافيين عن مركز السلطة والقرار وتحويل القصر الرئاسي إلى "قلعة". وكرست الصحافة الأجنبية العديد من المقالات تعليقا على هذا القرار، مشيرة إلى أن دونالد ترامب حاول أيضا إغلاق قاعة الصحافة بالبيت الأبيض قبل التخلي عن ذلك بسبب غضب الصحافيين.

وعلى ما يبدو كان ماكرون يريد أن يكون مختلفا عن سلفه فرنسوا هولاند الذي كان شديد القرب من الصحافة، وأراد وضع مسافة بين "القصر" والسلطة الرابعة في بلاده. وتعود الأزمة إلى استياء أوساط الرئيس الفرنسي من التغطية التي اعتمدتها وسائل الإعلام الفرنسية للأزمات التي اعترضت مسيرة حكم ماكرون منذ انتخابه عام 2017، خصوصا تلك التي تعلقت باندلاع ظاهرة السترات الصفراء خلال الأشهر الأخيرة.

غير أن خبراء في الشؤون الفرنسية رأوا أن الجدل ما بين الإعلام والسلطة ليس جديدا، وأن معارك لافتة خيضت بين الطرفين خلال الجمهورية الخامسة الحالية، وصلت إلى حد أن الرئيس الفرنسي الراحل فرنسوا ميتران وصف بعض وسائل الإعلام بـ"الكلاب المسعورة". وجاء هذا الوصف على إثر انتحار رئيس الوزراء السابق بيار بيريغوفوا في مايو 1993 إثر حملة صحافية شككت في نزاهته.

وأشادت رابطة صحافيي الرئاسة الفرنسية بقرار الإليزيه الجديد و"رحبت بالنتيجة الإيجابية لهذه القضية، والتي تسببت في الكثير من القلق" بين الصحافيين. وخاطب الإليزيه الرابطة التي تضم وسائل الإعلام التي تغطي أخبار رئاسة الجمهورية مؤكدا أن إيمانويل ماكرون أصغى لـ"هذا القلق الشديد".

وجاء في الرسالة أن ماكرون "استمع للمخاوف العميقة" التي عبر عنها الصحافيون. وعبرت رابطة الصحافيين التي ترأسها صحافية رويترز، إليزابيث بينو، عن ترحيبها بالقرار.

وبعد عامين من التوتر، يسعى الرئيس الفرنسي إلى تهدئة العلاقات مع الصحافة، وذلك في سياق "تغيير الأسلوب" الذي تم الإعلان عنه للفصل الثاني من عهده في الإليزيه كواحد من القرارات المتخذة إثر "النقاش الوطني" الذي نُظم لمواجهة أزمة السترات الصفراء.

وكان ماكرون وافق، في أبريل الماضي، على عقد أول مؤتمر صحافي له في فرنسا، كما أبدى استعداده للمزيد من الإطلالات مع الصحافيين. غير أن توتر العلاقة بين الرئيس والصحافة يفصح أيضا عن شعور لدى السلطات الفرنسية بأن صحافة فرنسا لا تعبّر عن خيارات الحكومة الفرنسية، ما يزيد من توسّع المسافة ما بين استراتيجية الرئاسة وبقية التكتلات السياسية والنقابية والشعبية.

وتطرح بعض الأوساط أسئلة حول مدى استجابة الإعلام الفرنسي الموجه إلى الخارج، لاسيما إلى الشرق الأوسط (راديو مونت كارولو وفرنسا 24)، لمتطلبات السياسة الخارجية الفرنسية. وتقول هذه الأوساط إن الأداء الذي توفره هذه المنابر لا يعكس التحوّلات التي أدخلها ماكرون في السياسة الخارجية لبلاده في الملفات المتعلقة بالعالم العربي وتركيا وإيران.

أزمة ماكرون مع الصحافة المحلية قد يكون لها صدى قد يدفع الأذرع الإعلامية الفرنسية الموجهة إلى الخارج إلى أن تكون أكثر إنصاتا للخيارات الدبلوماسية التي يعبر عنها قصر الرئاسة كما وزارة الخارجية الفرنسية، خصوصا أن التطورات في الشرق الأوسط شديدة الحركة وتستلزم رشاقة عالية لفهم التحولات في المنطقة ولنقل المقاربات الفرنسية الرسمية لهذه التحولات.

> **قرار بقاء غرفة الصحافيين داخل قصر الإليزيه مبادرة تصالحية تنمّ عن تغير آخر في استراتيجية ماكرون للتواصل التي اتسمت في بداية ولايته بمحاولة تجنب الصحافيين**

بريطانيا تبكي ملكا زائلا

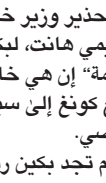

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

الوصاية يقبلها فقط الضعفاء، وتفرض على السفهاء، والصين ليست ضعيفة، وأثبتت أنها ليست سفيهة.

تحذير وزير خارجية بريطانيا، جيريمي هانت، لبكين من "عواقب وخيمة" إن هي خالفت اتفاق إعادة هونغ كونغ إلى سيادتها، نكأ جراح الماضي.

لم تجد بكين ردا أفضل من الرد الذي جاء على لسان الناطق باسم وزارة الخارجية جينغ شوانغ "يبدو أنه (هانت) يعيش في الخيال، بشأن المجد البائد للاستعمار البريطاني، ويلجأ إلى العادة السيئة في التحدث بفوقية عن شؤون دول أخرى".

بموجب اتفاق عام 1984، الموقع بين لندن وبكين، تتمتع هونغ كونغ بشبه استقلال حتى عام 2047. وكانت المستعمرة البريطانية السابقة قد شهدت تظاهرات، تزامنت مع عقد قمة الدول العشرين في أوساكا باليابان، طالبت بإلغاء مشروع قانون يسمح بتسليم المطلوبين إلى الصين.

المتظاهرون رأوا في المشروع انتهاكا لمبدأ "بلد واحد ونظامان"، الذي تمت بموجبه إعادة هونغ كونغ إلى الصين عام 1997.

وبغض النظر عما يقصده مشروع القانون بكلمة "مطلوب" –والتي قد تشير إلى جرائم أخلاقية، أو جنائية، أو اقتصادية، أو فساد، أو جرائم أمنية– تحاول بريطانيا الإيحاء بأن المطلوبين هم ناشطون من المجتمع المدني، أو ناشطون سياسيون، وذلك بالإصرار على استخدام تعابير تتعلق بحقوق الإنسان.

يبدو أن بريطانيا العظمى، التي غابت عنها الشمس، دون أن تدرك ذلك، نسيت الطريقة والظروف التي فرضت فيها وصايتها على هونغ كونغ، وأجزاء أخرى من الصين، ولكن المسؤولين في الصين لم ينسوا التاريخ "المذل".

خلال العام 1839 شهد العالم اندلاع حرب الأفيون الأولى، حينها تدخلت بريطانيا عسكريا ضد الصين، لتنتهي الحرب بجملة من الاتفاقيات المجحفة، وبموجب اتفاقية وقعت عام 1841، أجبرت الصين (المهزومة) على التخلي عن جزيرة هونغ كونغ لصالح بريطانيا، التي منحت أيضا حقوقا تجارية في الصين وفق معاهدة نانجينغ.

وبعد أقل من 15 عاما، اندلعت حرب الأفيون الثانية، وابتلعت إثرها بريطانيا أراضي إضافية، منها شبه جزيرة كولون، ضمت إلى جزيرة هونغ كونغ.

لم تنته متاعب الصين عند هذا الحدّ، لتلحق بها اليابان هزيمة أخرى بين عامي 1894 و1895، وتتكالب عليها القوى الكبرى، تنهش أجزاء منها، فحصل الألمان على خليج كياوتشاو لمدة 99 عاما، وحصل الروس على منطقة بورت آرثر لمدة 25 عاما.

الوليمة لم تفت فرنسا، التي انتزعت من الصين عقدا استأجرت بموجبه منطقة غوانغزوان الغنية بالفحم الحجري، لمدة 99 عاما.

المكاسب التي حصلت عليها الدول الثلاث، فتحت شهية بريطانيا للمزيد، فانتزعت في اتفاقية بكين الثانية، يونيو 1898، جزرا إضافية، بعقد إيجار دون مقابل، لتصبح جزءا من المستعمرة هونغ كونغ.

برفضها التدخل البريطاني في شؤون هونغ كونغ، وردها على تحذيرات وزير الخارجية هانت، تريد بكين أن ترد لبريطانيا دين الماضي، وتذيقها مرارة الهزيمة.

القانون يفرضه الأقوياء، والوصاية لا تصح إلا على الضعفاء.. والصين اليوم دولة قوية بكل المقاييس، لا تبدو عليها أي أعراض للضعف أو الوهن.

لقد أثبتت الصين خلال فترة قياسية، أنها قادرة على تسيير أمورها، دون حاجة لوصاية من مستعمريها السابقين.

تعاني بريطانيا اقتصاديا من "مرض مزمن طويل الأمد"، ووفقا لأرقام رسمية، فإن متوسط الأجور بالقيمة الحقيقية اليوم، ظل في نفس المستوى الذي كان عليه عام 2006. وهي مهددة بالتراجع من مركزها الخامس، في ترتيب اقتصاديات العالم، إلى المركز السابع، يتوقع الخبراء أن تحل الهند مكانها.

على العكس من هذه الصورة القاتمة، دعونا ننظر ماذا حدث في الصين..

تضاعف الاقتصاد الصيني 42 مرة بين عامي 1980 و2017، ويعيش في الصين حاليا أكبر عدد من أصحاب المليارات في العالم، يتصدرهم جاك ما مؤسس شركة "علي بابا".

بعد أربعة عقود على سياسة "الإصلاح والانفتاح" تحولت الصين إلى قوة اقتصادية كبرى، لا تسبقها سوى الولايات المتحدة.

بالتأكيد، صون حقوق الإنسان قضية مهمة، وهذا ما تفعله حكومة بكين بالضبط، تصون حقوق الإنسان، برفعها المذلة والمهانة عنه، وإنقاذه من الفاقة والعوز، والدليل توضحه الأرقام، وتوضحه زيارة إلى الصين، التي تحول ريفها من مستنقع لإنتاج الرز والأفيون، إلى مدن تضاهي بنيتها التحتية أكبر مدن العالم.

أسواق العالم اليوم غارقة بالمنتجات الصينية، كل شيء بات اليوم يصنع في الصين، وما كان لذلك أن يحدث لولا احترام الصين لحقوق الإنسان.

وعت الصين، التي ذاقت مرارة الفقر في الماضي، أن حقوق الإنسان حدودها ليس الورق والكلمات.. حقوق الإنسان: تعليم، وصحة، ومنزل، وعمل.. وهذا ما تفعله بكين، التي يحق لها أن تسخر من واعظيها.

جميعنا يتذكر يوم تباكى فيه الإعلام البريطاني على طيور النورس في الخليج العربي، التصق بأجنحتها القطران، الذي اتهم بتسريبه، عامدا، نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين. ورغم أن الصور كانت مفبركة، كما اتضح في ما بعد، إلا أن نفس الإعلام بخل عن التباكي على بلد شرد أهله ودمر بالكامل.

نيابة عن الصين، رجاء، لا تلقوا علينا محاضرات عن حقوق الإنسان.

انقلبت الأدوار

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

5 سنوات على اجتياح عمران

سقوط عمران بيد الحوثيين بداية حرب دمّرت اليمن

الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية تتعمّق

عنـد الحديث عن الحرب الدائرة في اليمن، يسـتحضر المتابعون يوم 21 سبتمبر 2014، تاريخ سيطرة الحوثيين على صنعاء، باعتباره تاريخ اندلاع حرب أهليـة حولت البلاد إلى جحيم ووضعته علـى حافة الانهيار. لكن، تسبق ذلك التاريخ تواريخ وأحداث أخرى لا يمكن إغفالها، من ذلك سيطرة الحوثيين على محافظة عمران الاسـتراتيجية، فـي 8 يوليو 2014، والتي كانت أول الخيط الذي قاد إلى صنعاء وأغرق اليمن في نزاع مدمر.

اليمن انهار تماما

صنعاء - ظنّ محمـد النجري، كغيره من سـكان عمران، أنّ سـيطرة المتمردين على المدينة قبل خمس سنوات لن تطول. لكن سـرعان ما تحول الهجوم إلى حرب امتدت إلى كافـة أرجاء اليمن لتغرقه في نزاع مدمّر دون أي حل يلوح في الأفق.

وعمـران، التي تبعد مسـافة 50 كلم شـمال العاصمـة صنعـاء، أول مدينـة سـقطت في أيـدي المتمردين الحوثيين في بداية حملة عسـكرية تمكنوا خلالها وخلال أشهر معدودة من بسط سيطرتهم على صنعاء ومناطق شاسـعة في شمال ووسـط وغرب أفقر دول شـبه الجزيرة العربية.

بيتر سالزبيري

الحـرب مزّقـت هويـة البـلاد وجغرافيتهـا والأيديولوجيات فيهـا بطـرق لـم يكـن مـن الممكن تصورها

وفـي مكان عملـه في مكتـب لوزارة التربيـة في عمران، ينتظـر النجري (40 عامـا) يوميا راتبا لـم يتلقاه منذ عامين بعدما قامت السلطات المعترف بها دوليا بنقل المصرف المركزي إلى عدن (جنوب)، عاصمتها المؤقتة حاليا.

وقال الموظف الحكومي "مرت خمس سـنوات على اندلاع الحرب، لكننا ندرك أنه ما زال أمامنا الكثير".

وأضاف "منذ انـدلاع الحرب وحتى اليوم، تـزداد أوضاعنا سـوءا (...) وقد وصلـت إلـى الحضيض. لقـد انهار كل شيء في حياتنا".

وبالنسـبة إلـى محمـد طـه (48 عامـا)، الصحافـي الذي قام بتغطية الأحـداث في مدينته منذ لحظة دخول الحوثيين إليها، فإن انتظار التوصل إلى اتفاق سلام لم يعد خيارا متاحا.

وأوضـح قائـلا "خمـس سنوات من الحرب كانت كافية لأن أرتّب وأطبّع حياتي وحياة أسـرتي عليهـا. نعـم، أثّرت علينـا فـي البدايـة، ولكننا تمكّنـا مـن التعايـش مـع آثارها. ما عـدت أهتم كثيرا باستمرارها أو نهايتها".

مشروع خطير

يشهد اليمن بعد خمس سنوات من انطلاق حملة المتمردين في أعقاب سيطرتهم على عمران في 8 يوليو 2014، أسوأ أزمة إنسانية في العالم، وفقا للأمم المتحدة، حيـث يواجه ملايين السـكان خطـر المجاعة. وقتـل آلاف المدنيين ومن بينهم مئـات الأطفال، وأصيب عشـرات الآلاف بجروح، وانهارت قطاعات الصحة والتربيـة والاقتصاد وغيرها، خصوصا في أعقاب تصاعد النزاع في مارس 2015 مع تدخل السـعودية علـى رأس تحالف عسـكري لوقف تمـدّد المتمرّدين المقرّبين من إيران.

وفي مدينة عمران، يجوب مسـلحون الأحياء ليل نهار سيرا أو على الدراجات الناريـة وفي السـيارات الرباعية الدفع وهـم يحملون علـى أكتافهم الأسـلحة الرشاشة.

وتنتشر شعارات التمرد على الأبنية الترابية اللون المبنية من الأحجار والطين في الحي التاريخي وسـط المدينة، وعلى سور حجري طويل يلف الحي بأكمله.

وكتب علـى الجدار أحد الشـعارات "المـوت لأميركا، الموت لإسـرائيل، اللعنة علـى اليهود، النصـر للإسـلام". وقال مسـؤولان فـي الحكومـة المعتـرف بها دوليا إنّه عندما سـقطت عمـران بأيدي الحوثيـين، لم يكن أحد يـدرك "خطورة" مشروع التمرد.

وتعتبر محافظة عمـران من المناطق التاريخية في اليمن، وتضم معالم أثرية بينها جسـر شـهارة الذي بني قبل أكثر من 100 عـام ويربط بين جبلين، ومديرية ردية آخر المناطق التي كان يسكنها يهود يمنيون.

وموقـع عمـران اسـتراتيجي إذ أنّ المحافظة تقع بين صعدة معقل المتمردين في شـمال اليمن، والعاصمـة. كما أنّها موطن قبيلة حاشـد التي لطالما اعتبرت الدعامة الأقوى للحكم في صنعاء.

بلد ممزّق

حاصر الحوثيون عمران لشـهرين، قبـل أن ينتصروا على قـوات الجيش، المنقسـم، ويضعوا أيديهم على المدينة، ثـم ينطلقوا نحـو صنعاء ليسـيطروا عليهـا فـي سـبتمبر مـن العـام ذاته ويتمدّدوا بعد ذلك في اليمن.

ويسيطر الحوثيون اليوم على صنعاء وغالبية مدن الشمال والغرب والوسط من بينها الحديدة المطلّة على البحر الأحمر، معتمدين على خبراتهم في القتال في المناطق الجبلية والأسلحة التي استولوا عليها من الجيش، بينما تتعمّق الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية في هذا البلد.

وقال بيتر سالزبيري، الخبير في الشؤون اليمنية في مجموعة الأزمات الدولية، إنّ الحرب "مزّقت هوية البلاد وجغرافيتها والأيديولوجيات فيها بطرق لم يكن من الممكن تصورها". ورأى أنّ اليمن "يحتاج إلى أكثر من خمس سنوات لإعادته إلى ما كان عليه في 2014".

وشـارك المتمـردّون، إلـى جانـب الحكومة اليمنية، فـي محادثات عديدة برعاية الأمم المتحدة، آخرها في السويد في ديسـمبر الماضي، لم تؤد إلى وضع حد للحرب المدّمرة.

وأوقعـت الحـرب حوالي 10 آلاف قتيل وأكثر من 56 ألف جريح منـذ 2015 بحسـب منظمة الصحة العالمية.

وبحسب فابريزيو كاربوني، المدير الإقليمـي لمنطقة الشـرق الأوسـط لدى اللجنـة الدوليـة للصليـب الأحمر في جنيف، فـإن اليمن "لم يعـد على حافة الانهيار (...) لقد انهار تماما".

لجان الوساطة وجولات الحوار سلاح الحوثيين السري

صالح البيضاني
صحافي يمني

عدن - فـي يوليـو 2014 دخل النزاع في اليمـن مرحلة جديدة، بعد سـيطرة الميليشـيات الحوثية القادمة من صعدة على مركز محافظة عمران (50 كم شـمال صنعـاء) وكسـر آخـر خطـوط الدفاع الجيوسياسـية والعسـكرية التي كانت تفصلهم عن صنعاء التي اجتاحوها بعد دخول عمران بحوالي شهرين فقط.

فـي طريقهـم الشـاق مـن جبـال صعدة إلى القصـر الجمهوري بصنعاء استخدم الحوثيون الكثير من التكتيكات والاسـتراتيجيات التـي سـاعدتهم في تحقيـق حلمهم. إلـى جانب التحشـيد القبلـي والدوافـع السـلالية والعرقية والمذهبية والتاريخية التي استحضرها الحوثيون، كان هناك سلاح سري أجادوا استخدامه بحرفية وهو سلاح الوسطاء الذين كانوا يسـبقون الحوثيين إلى أي منطقة يعتزمون إخضاعها لسلطتهم.

ويمتد استخدام الحوثيين للوسطاء القبليين والاجتماعيـين إلى فترة مبكرة حيث كانت لجان الوسـاطات بين الدولة اليمنيـة والمتمردين الحوثيـين خلال حـروب صعدة السـت التـي امتدت من العام 2004 إلـى العام 2010 بمثابة طوق النجاة الذي كان ينتشـلهم في اللحظات الأخيرة قبيل أي حسـم عسـكري يوشك على اجتثاثهم عسكريا.

كمـا وظـف الحوثيون فـي مراحل لاحقـة فترات الحـوار السياسـي التي تخللت الصراع العسكري في الاستعداد لجولات جديدة من الحرب مستغلين حالة الاسـترخاء التي كان يدخل فيها الطرف الآخر المخدوع عادة بجولات السلام التي يسـتخدمها الحوثيـون لإعـادة ترتيب صفوفهم وكانت عـادة ما تنتهي بجولة جديدة وأكثر عنفا وقسوة من الحرب.

كتائب مسلحة

كشـفت الأحـداث المتلاحقـة فـي التاريخ اليمني السياسـي المعاصر عن استخدام الجماعة الحوثية للوساطات كسلاح سري لتحقيق مآربها والوصول لأهدافها السياسية والعسكرية، ومقابل كل بضع كتائب مسـلحة كان الحوثيون يحشـدون كتيبة من الوسطاء القبليين والشـخصيات الاجتماعيـة التي كانت تظهر الحيـاد، لكنها كانـت في الخفاء تعمـل لصالح الأجنـدة الحوثية. وبرع الحوثيـون إلى حد كبير في اسـتخدام الوسـاطات لإجهاض أي حشد عسكري أو رغبـة فـي الحسـم من قبـل الدولة اليمنية في حروب صعدة الست.

وبوتيرة متصاعـدة كانت الحروب تتوقف عند كل منعطف حاسـم. وتحوّل أشـهر رؤسـاء لجان الوسـاطة خلال حروب صعدة بعد سـيطرة الميليشيات الحوثية على صنعاء في سـبتمبر 2014 إلى قادة بارزين فـي الجماعة الحوثية أو مسـؤولين ورجـال أعمـال ضمـن دائـرة النفوذ والمصالـح الحوثية ومن أشـهر هؤلاء على سـبيل المثـال تاجر السـلاح الشـهير فـارس منّـاع، الذي عيّنـه الحوثيون محافظـا لصعدة بعد إكمـال سـيطرتهم عليها قبـل تعيينه وزيـرا للدولـة فـي حكومـة الانقلاب، ومن الوجوه التـي عرفت أيضا بكونها أعضـاء في لجـان الوسـاطة الشـيخ القبلي دغسـان أحمد دغسـان والشيخ ناصر قرشـة وكلاهما أصبحا في وقت لاحق قيادات حوثية.

ولعب الشيخ حسين عبدالله الأحمر نجل شيخ قبيلة حاشـد دورا بارزا في الوسـاطات بين الدولة والحوثيين وبين الحوثيـين وفصائل اجتماعيـة أخرى دخلت معهم في نزاع مثل سـلفيي دماج على سـبيل المثال، قبـل أن يتحول هو نفسـه إلى هدف حوثـي عندما هاجمت الميليشـيات الحوثية مسـقط رأسه في قريـة الخمـري بمحافظـة عمـران في فبراير 2014، النزاع الذي انتهى بتفجير الحوثيين لمنزل الأحمر.

وتمحور دور لجان الوسـاطة التي كانت تشـكلها الدولة اليمنية بين عامي 2004 و2010، حول تخفيف الضغط على الميليشـيات الحوثية وإيقـاف المعارك في اللحظات التي يوشـك فيها الجيش اليمني على حسـم المعركة، إضافة إلى خلخلـة صفـوف القـوى الاجتماعيـة المناوئـة للحوثيـين وجرهـا إلى مربع الحياد السـلبي وإضعاف تماسـها في وجه المتمردين.

وبالرغم من النتائـج الكارثية التي كانت تفضـي إليها الوسـاطات، إلا أن الدولـة اليمنيـة لـم تتوقـف يوما عن القبول بهذه الخديعة السياسـية التي تسـببت في نهايـة المطـاف بتقويض الدولـة واجتيـاح الحوثيـين لصنعاء ودخولهـم القصر الرئاسـي والانطلاق بعد ذلك نحو محافظات أخرى.

الوساطة القاتلة

سـاهمت لجـان الوسـاطة فـي اسـتدامة النزاع بـين الدولـة اليمنية والمتمردين الحوثيين خـلال الحروب: الثانيـة والثالثـة والرابعـة في صعدة التـي امتدت مـن 2005 إلـى 2007 غير أن دخول قطر على خـط الأزمة اليمنية وإعلانها عن وسـاطة لحـل النزاع بين الدولة والحوثيين في أواخر العام 2007 شـكل منعطفا خطيرا في مسار الحرب اليمنية، حيث عملت الوسـاطة القطرية علـى تغييـر موازيـن القـوة وخارطة الاصطفافات القبلية والعسـكرية داخل المجتمع الصعـدي، عبر تحركات رئيس لجنـة الوسـاطة القطرية سـيف مقدم أبوالعينين الذي أقام في صعدة لشهور وعمل علـى اسـتمالة شـيوخ القبائل وكبـار الضبـاط العسـكريين لصالـح الحوثيين تحت لافتة السلام.

واسـتطاع مقـدم أبوالعينين إفراغ المجتمـع فـي صعدة من حالـة الرفض للمشـروع الحوثي، وأنهى حالة العزل الاجتماعي التي كان الحوثيون يعانون منهـا، إضافة إلى الـدور الذي لعبه في ضـخ الأموال لخزينـة الحوثيين المالية والمسـاهمة في تزويدهم بالسـلاح عبر وسـطاء آخرين من بينهـم رئيس لجنة الوساطة السابق فارس مناع.

وظهرت النتائج الكارثية للوسـاطة القطريـة فـي حـرب صعدة الخامسـة التي اشتعلت في مارس 2008. وتحولت فيهـا موازين القـوى لصالح الحوثيين الذين امتـد نفوذهم إلـى منطقة حرف سفيان في محافظة عمران، وفي الحرب السادسة بدا الأمر أكثر سوءا بعد عجز الجيش الحكومي عـن تحقيق أي تقدم علـى الرغم مـن دخول قـوات الحرس الجمهوري المعركة لأول مرة.

حوارات الحرب

أعلـن الحوثيون مطلـع العام 2013 عن قبولهم بالمشاركة في مؤتمر الحوار الوطني الشامل الذي رعته الأمم المتحدة ومبعوثهـا الخـاص إلى اليمـن آنذاك جمال بنعمـر، لكنهم وضعوا شـروطا سـرعان ما قبلت بهـا الحكومة اليمنية وفي مقدمتها الاعتذار العلني عن حروب صعدة السـت وتسـليم جثمان مؤسس الجماعة حسين بدرالدين الحوثي الذي قتل في الحرب الأولى.

وانطلقـت في مارس 2013 مسـيرة الحوار الـذي كان اليمنيون يؤملون أن يكـون نهاية لحقبة الصراع السياسـي والعسـكري، لكـن الحوثيين اسـتغلوا مرحلـة الحوار لإحكام سـيطرتهم على محافظة صعـدة وإنهاء وجـود الدولة فيها بشكل كامل.

وشـرعوا فـي تصفيـة خصومهم العقائديـن وفـي مقدمتهم السـلفيون فـي منطقتي دماج وكتاف، بالتزامن مع تعزيـز وجودهم فـي العاصمة صنعاء ومختلف المدن التي رسموا مبكرا خطط إسقاطها كما أظهرت وثائق تم تسريبها بعد ذلك.

انتهـى الحـوار اليمني فـي يناير 2014 لكـن الحوثيـين انسـحبوا فـي الجلسـة الأخيرة له وبـدأوا في تنفيذ مخططهم الذي أعدوا التجهيز له خلال فترة الحـوار. وكانـت محافظة عمران هدفهم الأول، حيث أحكموا سـيطرتهم عليها وشـرعوا فـي نهب معسـكرات الدولـة ومؤسسـاتها فـي الوقت الذي كانت لجان الوسـاطة لا تـزال تتحدث عـن بنود اتفاق مزعـوم يجري التفاهم حولـه بـين الحكومة والحوثيـين، غير أن طمـوح الحوثيين لم يتوقف عند هذا الحـد فقد كانـت أعينهم علـى صنعاء التـي اجتاحوها في 21 سـبتمبر 2014 على وقع اتفاق السـلم والشـراكة الذي وقعـوه مع الحكومـة اليمنيـة برعاية الأمم المتحدة، بينمـا كانوا يكملون في الوقت نفسه سـيطرتهم على مؤسسات الدولة ومعسكراتها في العاصمة.

السلام كتكتيك حربي

تكرسـت صـورة بشـعة لمفهـوم الوساطة والسلام في قاموس الحوثيين لـدى النخـب السياسـية والاجتماعية اليمنيـة. كانـت ميليشـيات الحوثـي تسـتخدم لجـان الوسـاطة كحصـان طروادة في اجتيـاح المناطق. كما كانت المفاوضـات تنتهـي بجـولات عنيفـة وشرسـة مـن الحـرب، كان الحوثيون يعـدون العدة لها أثناء جلوس ممثليهم على طاولات الحوار.

وإلـى جانـب اسـتخدامهم لفترات السـلام فـي إعـادة ترتيـب أوراقهـم السياسـية واسـتعداداتهم العسكرية، عمدت الميليشـيات الحوثية إلى اللجوء لخيـار التفـاوض والحـوار للهـروب مـن مآزقهـم الداخليـة وانكسـاراتهم العسـكرية، وهـو الأمـر الـذي تجدد فـي جـولات المشـاورات التـي رعتها الأمم المتحـدة فـي سويسـرا والكويت واستمرت لشهور وأنقذت الحوثيين كما يقول خبراء من هزائم عسـكرية وشيكة كانوا على وشك الوقوع فيها.

وأكـد الحوثيون على اسـتخدامهم مفهـوم السـلام كتكتيك حربـي عندما وقعـوا علـى اتفاقيات سـتوكهولم في ديسمبر 2018 عندما كانت قوات المقاومة المشتركة قاب قوسـين من تحرير ميناء الحديدة الاسـتراتيجي آخر منفذ بحري للميليشـيات الحوثية يمدّها بالسـلاح القادم من إيران.

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

تنموي يؤمن بالعلم بالقرب من ولي العهد السعودي

بدر العساكر

وجه حيوي من الصف القيادي الجديد

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

مع بروز دور ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في واجهة الحدث السعودي، برز معه نجوم في مواقع القيادة والإدارة والتأثير، يشكلون الصف الجديد في المشهد السعودي، ويعبرون بخلفياتهم العملية وأعمارهم الشابة وأفكارهم المختلفة عن هوية المرحلة الجديدة والاستثنائية التي تتمتع بها السعودية اليوم.

جيل قيادي جديد، بروح مختلفة، يجمع حيوية الشباب وفعالية الأفكار وثراء التجربة وقوة المضمون الذي يؤمن به ويعمل على أساسه، أسماء معاصرة أصبحت محل ثقة السعوديين ومحط أنظارهم وانتباههم وهم يشيدون تفاصيل رحلة البلد إلى غاياتها البعيدة.

من بين أولئك بدر بن محمد العساكر الذي عرف في الفترة الأخيرة، بنشاطه الاجتماعي وحضوره المؤثر والفاعل في الأوساط الإدارية والثقافية والفنية المختلفة، فضلاً عن نشاطه على حسابه في تويتر الذي اعتاد عبر تغريداته على تعزيز القيم الوطنية والاحتفاء ببعض الرموز السعودية على اختلاف اهتماماتها واشتغالاتها.

إيمانه بضرورة ومحورية دور القطاع غير الربحي في تسريع عملية الإنتاج والإنجاز في الحقول المختلفة، يجسد العساكر من خلاله هوية الصف القيادي الجديد في السعودية، وطبع النشاط البشري المحلي بالحيوية، وتخفيف العبء على الدولة لتنفرد بالمهام الاستراتيجية للبلد

أسهم العساكر، بشكل كبير، في إيصال شكاوى ومناشدات المواطنين لولي العهد، من خلال جميع الوسائل، ولعل أبرزها حسابه على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر"، حيث أصبحت الإشارة إلى الحساب بمثابة برقية عاجلة للمكتب الخاص للأمير محمد بن سلمان، ووجد الكثير من المواطنين تفاعلًا مع مناشداتهم وشكاويهم.

العساكر معروف كشخصية ملهمة، تعزز روح المبادرة والقيادة لدى شباب الأعمال من خلال دعمهم ورعايتهم وتبنّي مشاركاتهم وأفكارهم للوصول بها حقيقة على أرض الواقع. وقد عهد عنه هذا منذ توليه لإدارة المكتب الخاص لولي العهد السعودي للشؤون الخاصة بمرتبة وزير في يوليو عام 2017، وكذلك الأمانة العامة لكل من "جائزة الملك سلمان لشباب الأعمال"، و"مركز الملك سلمان للشباب".

يشغل العساكر أيضاً عضوية "مجلس الغرف السعودية"، وعضوية لجنة شباب الأعمال المنبثقة عن "مركز تنمية المنشآت الصغيرة والمتوسطة" في "غرفة الشرقية"، ومركز تنمية المنشآت الصغيرة والمتوسطة في "الغرفة التجارية الصناعية بالرياض". وهو نائب المدير العام في "مؤسسة العساكر" في الرياض مع أخيه عبدالمجيد العساكر، التي تأسست عام 1980 وتعمل في مجال توزيع وتسويق الأجهزة المنزلية والكهربائية ولها 10 فروع في مدينة الرياض. وكان قد نال عضوية مجلس إدارة "مدارس الرياض"، وعمل نائباً للرئيس التنفيذي لـ"اتحاد الصالحية للتمور والحلويات"، وشغل منصب الأمين العام لـ"مؤسسة مسك الخيرية".

● "مسك" التي يدير العساكر مبادراتها تعبّر بوضوح عن وعي المرحلة السعودية الجديدة، منذ تولي ولي العهد وطاقمه من الكفاءات الوطنية مهامهم.

مؤمن بالشباب

خريج "جامعة الملك سعود" يعمل رئيسا لمجلس إدارة مركز المبادرات في مؤسسة محمد بن سلمان بن عبدالعزيز الخيرية "مسك" التي تهدف إلى "تمكين المجتمع من التعلم والتطور والتقدّم في مجالات الأعمال والمجالات الأدبية والثقافية والعلوم الاجتماعية والتكنولوجية، عبر إنشاء حاضنات لتطوير وإنشاء وجذب مؤسسات عالية المستوى، وتوفير بيئة تنظيمية جاذبة".

● دور هام يعود الفضل فيه للعساكر مؤخراً، تمثل في إيصال شكاوى المواطنين لولي العهد السعودي، من خلال جميع الوسائل، أبرزها حسابه على "تويتر".

تعبّر "مسك" بوضوح عن وعي وأفق المرحلة الجديدة للسعودية، وتقدم بتجربتها المميزة صورة شبه كاملة عن الخلفية التي تحرك منظومة العمل التي عرفتها السعودية منذ تولي الأمير محمد وطاقمه من الكفاءات الوطنية الشابة مهامهم.

متخصص في التربية الفنية، وتذوقه للفنون وصنوف الثقافة عموما ظهر جليا في تركيز المؤسسة التي يديرها "مسك" والمبادرات التي يتبناها لدعم الفن والفنانين وعموم الموهوبين. لكنه رائد أعمال ناجح مارس التجارة في إطار المؤسسة العائلية ذات الاهتمامات التجارية، فبعد تخرجه في الجامعة عمل مع أخيه في مؤسسة العساكر للأجهزة الكهربائية. وسافر في رحلة مع رجال أعمال إلى اليابان والصين شهدت تأسيس مجلس الأعمال السعودي الصيني، وبعد العودة اتفق مع مجموعة من الشباب على تأسيس لجنة شباب الأعمال بالغرفة التجارية في الرياض.

في تلك الرحلة كان العساكر بملامحه الشابة الغضّة، يقف في زاوية صورة التقطت بعفوية، صامتا يستمع إلى حديث لمجموعة من كبار رجال الأعمال السعوديين، ممن استطاع أن يبني إمبراطوريات المال والتأثير في بواكير نهضة السعودية، لم تكن تلك الصورة إلا مشهدا عابرا لتناسل هذه العجينة من خبرة قدامى ناجحي الصحراء مع وثبة شبابها المتطلع إلى صفوف القيادة والإدارة للمرحلة الجديدة.

وترقى في لجنة شباب الأعمال التابعة لغرفة الرياض، وكلف من القيادة بتولي جائزة رواد شباب الأعمال فاظهر شخصية قيادية وروحاً عملية وثابة، وساهم في تطوير الجائزة وتفعيل دورها التحفيزي، وهناك التقى لأول مرة بالأمير محمد بن سلمان عام 2006، إذ كان نشاطه في مهمته لافتا ولا يمكن تجاهله.

ملامح السعودية الجديدة

يجتمع العساكر اليوم مع الشخصية الأكثر حضورا وتأثيرا في المنطقة، يترجم أفكاره ويدأب في تنفيذ واجباته، ويلتقي معه في كثير من الأفكار التي تركز على الشباب والتعليم وجرأة الابتكار.

يقول عن ولي العهد إنه "مرح وبسيط، لا تعرف هل هو رئيسك أم صديقك. هو كلاهما صراحة. يقضي الكثير من ساعات يومه في العمل ولا شيء سواه، لكنه يحب المشاركة وتفويض المهام ومنح الصلاحيات بما يخفف من الأعباء عليه ويضاعف من ثقة المحيطين به".

ويؤكد العساكر أن الشباب هم الطاقة الحقيقية لأي كيان، وفي السعودية 70 بالمئة من الشعب شباب. وهو منطوق ما يؤمن به من ضرورة التركيز على الأجيال الشابة والاهتمام بتعليمها وتدريبها وصقلها على النحو الذي ينهض بهم أفراداً وينعكس على مردود المجتمع والوطن، وقد خدمت أكثر من 9 آلاف طالب سعودي عبر برامجها التدريبية الخارجية.

وبلور العساكر وفرق عمله المنتشرة في كل المؤسسات والكيانات التي يرأسها ويشرف عليها، هذه الأفكار العابرة إلى حقائق قارّة، سيما عبر مؤسسة مسك الذي تستحوذ على خلاصة وقته وتركيزه وقلبه، وقد انتقلت بفضل إنجازاتها من مؤسسة ذات عبء تمويلي إلى كيان رائد ومنتج برأس مال بلغ 3 مليارات، تفيد في تعليم الشباب وتنمية مهاراتهم وتغذية الدولة والمجتمع بالكفاءات الجاهزة والمستعدة للوفاء بمتطلبات المسؤوليات المختلفة التي يتولونها.

لعله بإيمانه بضرورة ومحورية دور القطاع غير الربحي في تسريع عملية الإنتاج والإنجاز في القطاعات المختلفة، يجسد هوية الصف القيادي الجديد في السعودية، وطبع النشاط البشري المحلي بالحيوية، وتخفيف العبء على الدولة لتنفرد بالمهام الاستراتيجية للبلد.

يوجد في السعودية أقل من 1000 مؤسسة وجمعية خيرية وهو عدد ضعيف جداً بالقياس إلى حجم مساحة المملكة، بأمل أن يتنامى هذا العدد وفق رؤية السعودية 2030 التي تركز عليه وتهتم بتفعيله وتوسيع دوره وحضوره في واقع البلاد، بما يسهم في تنمية المجتمع وتوظيف الشباب ودعم الناتج المحلي.

وتهتم "مسك" بتقديم برامج تهدف إلى تأهيل القادة في القطاع غير الربحي بالشراكة مع عدة جهات دولية، وتبتعثهم الآن لهذا الغرض، كما تحثّ على مشاركة المرأة السعودية في القطاع غير الربحي التي جرى تعزيزها مؤخراً بشكل واضح وملموس وفي إطار التقاليد الاجتماعية العامة، وأصبح لها دوراً فاعلاً في القطاع، وتوافرت لها فرص واعدة، ومراكز قيادية عالية، فضلا عن التركيز على مفهوم العمل التطوعي كثقافة. بذلك تركز "مسك" على مسؤولياتها لتعزيز الدور الريادي في تغيير حياة الشباب داخلياً وخارجياً.

ومنذ تأسيسها الفعلي عام 2009 وهي مستمرة برسالتها في تنمية المجتمع، وتركيزها على التحفيز والتشجيع، ونهتم بالإبداع، وتقديم المبادرات المتنوعة؛ لضمان الاستدامة، وهذا ما يحقق نمو العقل البشري.

وقد بدأت بالفعل قبل 5 سنوات بإرسال 20 طالبا للدراسة في محافل جامعية عالمية مثل هارفارد، ليختلطوا ببيئات جامعية مختلفة، قبل أن يتعاظم هذا الرقم ويضم تخصصات مختلفة ويفيد قوائم جديدة من الشباب المتطلع والمستعد للمستقبل.

المهارة رأس المال

الكم الكبير من المبادرات التي تنطلق على الأرض السعودية يراد منها أن تسهم وتسهب في صناعة جيل المرحلة الجديدة في البلاد، والعساكر محفوف بهذه المهام المختلفة، يوزع بينها أبعاض وقته وطاقته، ينخرط فيها شباب متمتعون بكفاءاته العالية، ومقبلون على الفرص الواعدة التي تلمع في سماء التحولات الحديثة.

في كل الرحلات الخارجية التي يقوم بها الأمير محمد بن سلمان، ينشغل العساكر بزيارة الجامعات العريقة، والمعاهد العلمية والأكاديميات المتخصصة، يبرم معها العقود والشراكات، في سبيل استقطابها أو إيفاد الشباب السعودي إليها، نظرة خاطفة على حسابه الشخصي أو صفحة أخباره نشاطه، تكشف عن حجم الآفاق التعليمية والتدريبية التي يشق إليها العساكر الطريق ويمهّد نحوها السبل المشرعة للقاصدين، يؤسس لمنصات التعليم المختلفة على يد الماهرين من عقول العالم الشاسع وعلى ضوء تجاربه الناس أجمعين.

يعتقد حسب ما يدلي به في كل مرة، أن المهارة دقيقة التخصص هي الأمل الذي يود لو أن قطاعات الشباب اهتمت به واشتغلت عليه، لأنه الوسيلة النافذة والمفتاح العريض لفكّ مغاليق المستقبل الواعد وانبثاق نور الطريق نحو المجد، يكرر ناصحاً الشباب أن النجاة من مصائر العاطلين هو التعليم والتدريب والتحسن المستمر.

وجّه العساكر، ذات لقاء، نصيحة غالية للشباب، حين قال "كن نفسك وركز على هدفك لتقدم شيئًا لهذا الوطن الغالي". وتابع إن التعليم هو العنصر الأهم في صياغة مستقبل الشباب، وللشباب أقول "بإمكانك أن تعلّم نفسك، وإذا أردت أن تصنع شيئًا مختلفًا؛ ركز على ما تحب ولا تنتظر النتائج القريبة".

● السعودية ورغم حجمها الاقتصادي الكبير ومساحتها تضم أقل من 1000 مؤسسة وجمعية خيرية وهو عدد ضعيف جداً، ويأمل السعوديون أن يتنامى هذا العدد بما يسهم في تنمية المجتمع.

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

تجربة الرسم بعيني المعلم والفنان معاً

رفيق الكامل

الطليعي العائد إلى تقاليد العاطفة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

قبل سنوات ذكرت اسمه أمام إحدى الفنانات التونسيات فشهقتْ إعجابا بذائقتي الجمالية. اكتشفتُ في ما بعد أنه كان قد درّس تلك الفنانة يوم كانت طالبة فن. قالت عنه "يمكنه أن يكون معلما فنانا، وفي الوقت نفسه فنانا- معلما".

هو في حاليه، الشخص ذاته، الحريص على تقاليد الحرفة من غير أن يكون تقليديا. الخيالي الذي تتنفس أعماله هواء واقعيا. العميق في ثقافته الفنية من غير أن تقف تلك الثقافة في طريق شعوره بخفة الكائنات والأشكال التي يرسمها.

كما لو أن أحدا لم يسبقه إلى التجريد، كان تجريديا بعمق. في المقابل فإنه اعتمد الأسلوب التشخيصي، كما لو أنه كان تشخيصيا دائما. أما حين لجأ إلى تقنية اللصق (الكولاج)، فإنه كان يبحث عن ظل فنان سواه. فنان يرسم بيديه ليرى العالم بطريقة مختلفة عن الطريقة التي اعتاد أن يراه من خلالها.

الكامل حريص على تقاليد الحرفة من غير أن يكون تقليديا. خيالي تتنفس أعماله هواء واقعيا. عميق في ثقافته الفنية من غير أن تقف تلك الثقافة في طريق شعوره بخفة الكائنات والأشكال التي يرسمها، وهو يقيم اليوم في عزلته ويتأمل حياته كما لو أنها نوع من الذكرى جزءا من الذكرى

تنقل بين التجريد والتشخيص وكان يخطط لولادة رسم جديد في تونس. رسم لن يكون خاضعا لشروط جماعة مدرسة تونس، غير أنه لم ينكر القيمة الفنية والتاريخية لأعمال عدد من أفراد تلك الجماعة التي صارت اليوم في ذمة التاريخ.

من غير هدم

رفيق الكامل كان طليعيا ولم يكن متمرّدا بطريقة استفزازية تنطوي على شيء من الاستعراض الذي كان ضروريا في لحظة ما من لحظات التحول.

حين ظهر كان النقيض لنجيب بلخوجة، ابن جيله ورفيقه في الدعوة إلى التحديث والخروج بالرسم في تونس من عصر المفاهيم الاستشراقية التي ركزت على مشاهد الحياة اليومية.

وإذا ما كان بلخوجة ثوريا صاخبا في تعامله مع القيم الفنية التي كرستها جماعة "مدرسة تونس"، فإن الكامل قد رفض تلك القيم من غير أن ينفي اعترافه بالقيمة الفنية التي انطوت عليها أعمال عدد من أفراد تلك الجماعة. أولئك الفنانون كانوا من وجهة نظره قد أسدوا فضلا كبيرا على التاريخ الفني من جهة التأسيس وإرساء التقاليد الفنية.

رفيق الكامل هو نموذج الفنان المتمرّد الذي ينظر بعين الاحترام إلى تجارب الفنانين الذين سبقوه.

«ارتسام» وهي نقطة التحوّل

ولد الكامل في تونس عام 1944. عام 1967 تخرّج من مدرسة الفنون الجميلة بتونس. بعدها التحق بالمدرسة العليا للفنون الزخرفية بباريس وتخرّج منها عام 1970. أثناء وجوده في باريس التحق بورشة الفنان الفرنسي ديبيار. بعد عودته إلى باريس عمل مدرسا للفن في المعهد التكنولوجي للفن والهندسة المعمارية والتعمير حتى عام 2005.

عام 1973 أسس مع محمود السهيلي ورضا عبدالله وعدد آخر من الفنانين قاعة "ارتسام" وأقام معرضين شخصيين فيها عام 1976 وعام 1981. وكان الفنان قد أقام معرضا عام 1967 برواق يحيى. كما أقام الكامل معارض في باريس وميونيخ ومدن عالمية أخرى. صدر عنه كتاب بعنوان "رفيق الكامل" كتبه زبير الأصرم.

تجربة "ارتسام" يمكنها أن تلخص حكاية التمرد الطليعي على "مدرسة تونس" التي كان الفنان عبدالعزيز القرجي يقودها يومها. لقد تجمع عدد من الفنانين الشباب وقرروا أن يعلنوا الانقلاب على الوصاية التي كانت تمارسها مدرسة تونس وهي وصاية رسمية بحيث كانت كل الطرق مسدودة. لم يكن العرض ممكنا خارج تلك الوصاية. وهو ما دفع الفنانين الذين رفضوا تلك الوصاية إلى ابتكار فضاء جديد يقع خارج الفضاءات التي تتحكم بها مدرسة تونس. فكانت قاعة "ارتسام" بمثابة مشهد فني نقيض للمشهد الفني السائد. من خلاله نجح أولئك في عرض تجاربهم الفنية الجديدة.

لقد مثلت قاعة "ارتسام" بعروضها الفنية نقطة تحوّل في الحياة التشكيلية التونسية. بحيث صارت مقياسا لما قبلها وما بعدها. وقبل أن يعتزل الحياة العامة ليقيم في مرسمه بضاحية المرسى القريبة من العاصمة كان الكامل قد ترك أثرا عميقا في الحياة الفنية، سواء من خلال عروضه الفنية أو من خلال قيامه بتدريس الفن.

أبقى الكامل الأبواب مفتوحة على مدرسة تونس ولم يغلقها كما فعل الفنان نجيب بلخوجة. يومها وجد في احترامه لموهبة الزبير التركي ذريعة لما فعل، وكان محقا. غير أن ما كان يفكر فيه، وهو التجريدي، شيء يقع خارج دائرة ذلك الاحترام. كان الكامل يخفي ميلا داخليا إلى القيم الجمالية التي عملت مدرسة تونس على تكريسها.

الرسام الذي بدأ حياته الفنية معجبا بتجربة بابلو بيكاسو ولم يقلده، بل كان يتحاشاه دائما وكان يمعن في التماهي مع معطيات الفن الغربي، كانت لديه رغبة في أن يكون فنانا محليا. رسام مشاهد محلية. وهو ما أنجزه حين تحرر من شبكة العلاقات التي كانت تربطه بالفنانين المتمردين. لقد عاد إلى فرديته فصار يرى فنه في سياق سيرته الشخصية.

قد يكون صادما أن الكامل، وهو الذي عُرف بتجريده الرائع، رسم كما لو أنه كان يحاول إحياء التقاليد الفنية التي كرستها مدرسة تونس. تلك محاولة لا تعيد الاعتبار إلى مدرسة تونس التي لا حقتها الشبهات فحسب، بل إنها أيضا تنطوي على اعتراف نزيه بأن الثورة على تلك الجماعة قد حطمت الأصنام، ولم يعد هناك شيء مقدّس، غير أن هناك قيما جمالية كانت لا تزال محطّ احترام.

رفيق الكامل كان جريئا في ذلك الإعلان المبطن.

الجرأة في إعلانه المبطن

لم تكن مدرسة تونس يومها لتخيف أحدا. لقد انتهت وصايتها. غير أن رفيق الكامل كان منصفا لها من خلال عودته إلى نزعته الحقيقية. هل خان نفسه حين غادر المبادئ التي أقيمت على أساسها قاعة "ارتسام"؟ أعتقد أن حرية الفنان أكبر من أن تضعف أمام الخيانة.

ذكرتني بعض أعمال الكامل برسوم عمار فرحات. وهو ما دفعني إلى التفكير في أنه كان قد خطط بطريقة واعية لكي يكون جزءا من نسيج الفن الاجتماعي الذي كان سائدا قبل الانقلاب على مدرسة تونس. لقد رسم المدينة كما لو أنه يعدها بمستقبل مختلف. لم يكن رساما أصوليا غير أنه في الوقت نفسه كان ينظر إلى حرفة مَن سبقوه بشيء من عظيم الإجلال.

أحيانا ينظر البعض من المتابعين للفن في تونس إلى رسوم الكامل الواقعية بشيء من الحسرة، بسبب شعورهم بأنهم خسروا رساما كبيرا. غير أن الفنان وهو القابض على جمرة تحولاته يدرك جيدا أن ما فعله إنما يشكل جزءا من تركيبته الوجودية. يحق له أن يكون تونسيا بالطريقة التي يراها مناسبة له.

إنه اليوم في عزلته يتأمل حياته كما لو أنها نوع من الذكرى. لذلك صار يرسم ما يراه مناسبا ليكون جزءا من الذكرى. وهو إذ يضع خياله في خدمة مشاهد مستعادة فإنه يفتح أمامنا كتاب سيرته. وهي سيرة رسام شعر دائما بأهمية أن يكون للحرفة خيال، وأن لا تقع الموهبة ضحية أوهام ثورية. لقد صنع الكامل درسه الأكاديمي مازجا طليعيته باعترافه بضرورة أن يتمّ احترام القيم الفنية التي ثار عليها. إنه يحترم تلك القيم من غير أن يقدّسها. وهو ما دفعه إلى العودة إليها بخفة. هناك شيء ما في تلك القيم يشدّه إلى تونسه التي يحب أن يراها بعينيه. درس رفيق الكامل يكمن في وفائه لتجربة الرسم بعينين تونسيتين.

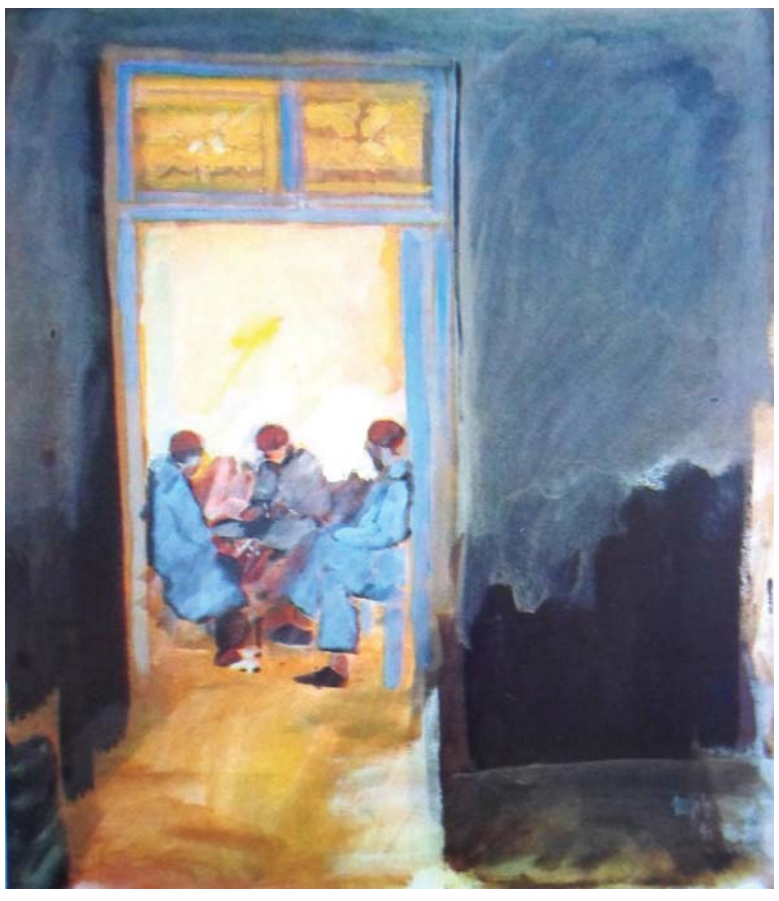

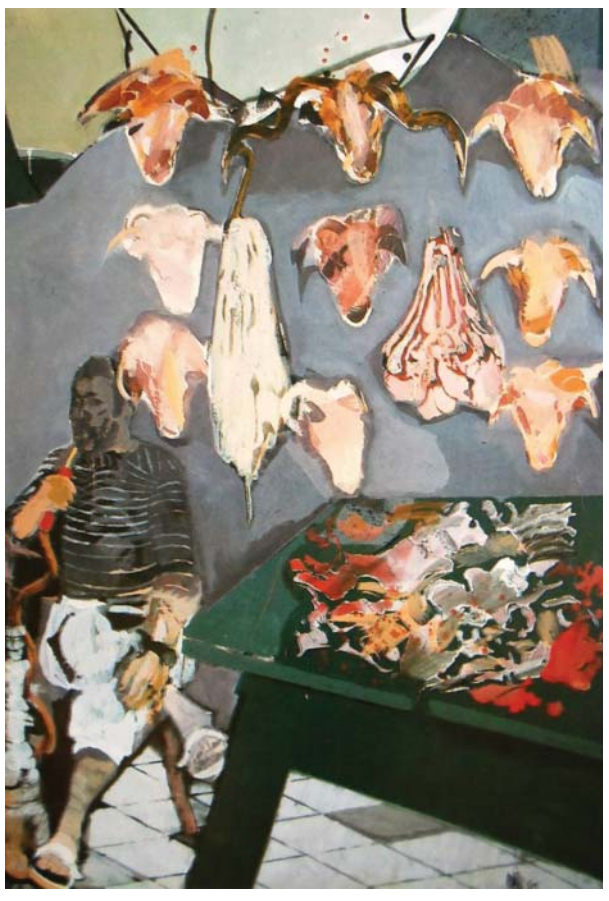

العرب الثقافي
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

ثقافة الهامش العربي

في هذا الملف مقالات واستطلاعات حول ظواهر ثقافية عربية برزت على هامش الثقافة الرسمية في غير بلد عربي خصوصا خلال العقد الأخير، لاسيما ما رافق منها اندلاع انتفاضات الربيع العربي التي بدأت في تونس مع نهاية 2010، مروراً بمصر وليبيا وسوريا واليمن وصولا إلى الموجة الثانية المتمثلة في الحراك الشعبي الواسع في كل من السودان والجزائر.

"ثقافة الهامش كما يقدمها هذا الملف عبّرت عن نفسها في فنون الأداء المسرحي والفني والشعري والفن التشكيلي وفن الخط والوشم واللافتات والغرافيتي وفن الراب، وغيرها من أشكال التعبير الصادرة عن الهامش في محاولاته الوصول إلى المركز والخروج من هامشيته إلى فضاء الحركة الصانعة للتاريخ. تكشف المقالات المنشورة هنا عن ثقافة الهامش بوصفها حراك ثقافي شبابي يعبر عن الروح الشابة في تطلعاتها المستقبلية من خلال ظواهر فنية وأدبية ذات بعد نقدين يطرح هموم وتطلعات الشباب العربي في غير عاصمةٍ ومدينة من جغرافيات العرب، في ظل لحظة عربية تشهد اضطرابا كبيراً، ينعكس على الشباب وطرائق تفكيرهم وتعبيرهم الفني والأدبي.

الهامش الذي طالما ترصّد المركز

ليست الهوامش شبابية أو حداثية أو تنويرية بالضرورة

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

لو كنت مكان أي سياسي أو مسؤول لكنت سأخشى الشبكات الاجتماعية. الشبكات الاجتماعية كما هو معلوم غيّرت كل شيء، ليس لأنها أصبحت البديل الإعلامي والتواصلي وتجاوزت التقليدي، بل أيضا لأنها للمرة الأولى في التاريخ وضعت وجوها لما اعتدنا أن يكونوا بلا وجوه: هؤلاء الناس الذين يتحركون على أطراف الهوامش ونعرف بوجودهم ولكننا لا نعرف من هم. الشبكات الاجتماعية حوّلت هذه الحشود وقضاياهم إلى شيء معلوم، بوجه وصور.

أناس الهوامش، إن جاز التعبير، كانوا معنا دائما. محتجون في المدن أو ثوار في خارجها أو قطّاع طرق أو صعاليك. التاريخ حافل بهم. ولكنهم في العموم بلا أسماء أو وجوه. مجرد حشود بقضية.

> لا يقل الحائط الذي يستقطب رسامي الغرافيتي أهمية عن قدرة فنان أو ناشط على تحميل فيديو على موقع يوتيوب

بعضهم كان محظوظا لكي يسجل التاريخ أفعاله، وأن يتمكن من الوصول شخصيا إلى الشهرة أو السلطة أو النفوذ. المؤرخ البريطاني الأشهر أريك هوبسباوم لم يتوقف عن الكتابة عنهم باعتبارهم محركا تاريخيا مهملا لم يأخذ حقه لا في القيمة ولا في الاعتبار. الكثير من هذه الهوامش تحركت لتصبح هي المحور بطريقة لم يكن معاصروها يتخيّلونها.

بعض قطّاع الطرق والمتمردين انتهوا يحكمون بلدانهم. لعل هذا صار مثالا كلاسيكيا لصيغة الثورات، ونتيجة توفر التنظيم لديهم وتراجع قدرات الدول في مواجهتهم لأسباب مختلفة. لكن ما غير الكلاسيكي هو أن نشهد أنماطا هامشية استطاعت أن تحفر وجودها في عالم اليوم بطريقة يصعب تفسيرها طالما استمر اعتبارها كهوامش.

خذ مثلا المافيا. تعامل العالم مع المافيات على أنها وجه من أوجه الجريمة. تقصّد إهمالها باعتبارها هامشا دون أن يلاحظ أنها من بشر بوجوه غير معروفة للآخرين، لكنهم يعرفون بعضهم البعض جيدا. الموضوع أكبر من تجارة الممنوعات أو الجريمة المنظمة أو دفع الإتاوات. هناك شبكة اجتماعية إنسانية تحكم ذلك العالم، تشبه ربما مجموعة من تلك التي نكونها اليوم على فيسبوك أو تويتر. الدول تنهار هنا وهناك، لكن المافيات حية ترزق وتزداد قوة باستخدام الأدوات المالية والتقنية الحديثة. لهذا العالم قيمه الخاصة وثقافته وتراتبياته واقتصاده. هذا الهامش اليوم لا يقل قوة في بعض الأوجه عن المركز.

هوامش الموسيقى لا يقلون خطرا. ذهب الكثير من الأفارقة مرغمين إلى العالم الجديد. ذهبوا كعبيد مغلولين. أخذوا معهم بعض أغانيهم. كانوا يرددونها في حقول التبغ والقطن الأميركية. ثم اقتادهم أسيادهم البيض إلى الكنائس ليهديهم الرب. صارت الدندنات غناء كنسيا مختلفا عن النمط الأوروبي، ثم خرج هذا الغناء من الكنيسة ليتحرر من البعد الديني وليروي قصص الحب والعنصرية والمعاناة. ولد الجاز في عمق الجنوب الأميركي، أرض العبودية والعنصرية، ليعبّر عن أهله. ثم تطورت أوجه هذا الغناء الهامشي المتمرد إلى البلوز والريغي لنجد موسيقى الروك والبوب الغربية الحديثة أقرب إلى الإيقاع الأفريقي والأذين الأسود من مقطوعات عصر الباروك الأوروبي والسمفونيات. الهامش الأسود الغنائي في قلب الفنون الأدائية الآن.

تمرّد الهوامش مستمر وسيبقى. المنصات التي تعبّر عن هذه الهوامش تتغير لكن الروح باقية. لا يقل الحائط الذي يستقطب رسامي الغرافيتي أهمية عن قدرة فنان أو ناشط على تحميل فيديو على موقع يوتيوب. الفرق ربما في قدرة الوصول وطبيعتها. أنت تمر بجانب الغرافيتي وتشاهده أو يرسل أحدهم صورته لك. أما الفيلم أو الأغنية المحملة على يوتيوب، فتشق طريقها بالمشاركة أو الاستطلاع، أو حين يقرر الذكاء الاصطناعي الذي يراقب ماذا تشاهد أو إلى ماذا تستمع، أن يقترحها عليك. في القلب من كل هذا هو كسر الاحتكار الذي يمارسه المركز، سواء أكان سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا، لصالح الهامش. هو كسر للاحتكار بأبعاد اجتماعية ومفهومية كبيرة نتلمّس تداعياتها السياسية ونستغل وقعها الاقتصادي.

الهوامش أيضا ليست بالضرورة شبابية أو حداثية أو تنويرية. الشاهد نعيشه يوميا في تقدم قوى الظلام من الهامش إلى احتلال المركز في حيوات المجتمعات، تحت مسميات الأيديولوجيا والدين والعرف. الغرافيتي في شوارع مدن عربية كثيرة الآن ليس لوحة تمرد شبابية دائما، بل صورة لخرافات أو رسائل سياسية أو دينية صارمة. هذا النوع من صعود الهوامش خطر يهدّد المركز والأطراف على حد سواء.

الغضب هو محرك للهامش لكي يستعيد حقوقه أو ما يتصور أنها حقوقه. واليوم، مثل الأمس، هو يمتلك أدوات كثيرة. قد تكون هذه الأدوات أكثر سلمية، لكنها قادرة على إحداث التغيرات العميقة التي من الصعب أن نتصور أن بالإمكان تجاوزها.

الشبكات الاجتماعية غيّرت كل شيء

الشاشة بديلاً من لوحة القماش

ياسر كرجوسلي
كاتب سوري

واحدة من الظواهر الفنيّة التي ترافقت مع التطور التكنولوجي الهائل مرتبطة بالشاشات وتطبيقات عرض الصور وتعديلها، وأشهرها الأنستغرام، الذي شكّل مساحة افتراضيّة لا فقط لاستعرض الذات، بل لاستعراض المنتجات البصريّة، بوصف حساب الأنستغرام مساحة للتسويق الذاتي وإنتاج أشكال فنيّة مُخصصة لكي تستعرض على الشاشة فقط، وكأننا أمام صالات عرض بديلة يستفيد منها لا فقط "الفنان" بل أيضاً شركات الإعلان والتسويق، كون هناك البعض ممن يمتلكون ملايين المتابعين والفاعلين الذي يتاح لكل واحد منهم أن يترك أثره/ تعليقه على ما يراه.

هذه المساحة البصريّة الجماهيريّة التي يتحكم الفرد بصورة كاملة بما تحويه تسللت للمتاحف العالميّة ومساحات العرض العامة، بوصف ما يظهر ذو جماليات خاصة إطارها البرنامج ذاته، ينتجها الأفراد ذاتياً في الكثير من الأحيان، وهذا وما نراه في معرض أقامه الفنان الأميركي ريتشارد برينس بعنوان "بورتريهات جديدة"، إذ قام بجمع عدد من صور الأنستغرام التي التقطها أشخاص عشوائيون لأنفسهم، وعرضها في معرض فرايز في نيويورك، وأثار حوله الكثير من الانتقادات إذ اتهم بأنه لصّ وهناك من يسعى لمقاضاته ممن عرضت صورهم.

ما يثير الاهتمام هو المفارقات التي يثيرها عرض هذه الصور حول ملكيتها ومقدار الجهد الفنيّ الذي بذله الفنّان لتكوينها، إلا أن تأثير تقنية الظهور على الشاشة، امتد إلى داخل القطاع الفني، وأصبح شرعياً نوعا ما، كتقنية السيلفي تبناها مثلاً الصيني أي وي ويو وأنتج واحدة من أشهر "السيلفيات" مازجاً التقنيّة الجديدة مع الاعتراف الفنيّ.

ساهم الأنستغرام والمساحة التي يوفرها بإعادة تعريف القواعد الفنيّة، وجعل اللعب أمام الشاشة احتمالاً جمالياً جديداً، يخالف ما هو تقليديّ وشرعيّ، ولا نتحدث هنا فقط عن الأنستغرام كمساحة للعرض، بل أيضاً كإطار ذو خصائص تؤثر في الصورة أو اللوحة والعلاقات الداخليّة بين عناصرها.

هذه الظاهرة المرتبطة بالأنستغرام نادرة الوجود في العالم العربي، خصوصاً أن فنانيها أو بصورة أدق، ممارسيها، لا ينالون الاعتراف الكامل، بل ينظر إلى أعمالهم بوصفها هاوية أو مبتذلة، إلا أن هناك بعض التجارب المثيرة للاهتمام، والتي توظف الأنستغرام كوسيلة للتعبير الفنيّ، كالمهندسة المدنيّة دانا داوود التي تمارس هذا النشاط "الجماليّ" منذ حوالي العام، ناشرة "لوحاتها" على الأنستغرام، وحين سؤالها عن هذه التجربة، تجيبنا أولاً بأنها حاولت أن تأخذ ما تنتجه من "فن" على محمل الجدّ، إلا أن العامل الأول مرتبط بمدى نشاطها على العالم الرقميّ، أي ببساطة عدد أصدقائها، وتقول إن "الفن" برأيها مرتبط بمجموعة من العوامل والممارسات التي تحتاج مشاركة الكثيرين كي "يظهر" العمل الفنيّ، إلى جانب التأثير الذي يمتلكه الفرد وتفاعله مع الآخرين، وذلك كي ينال شرعيّة ما، ولو ضمن العالم الرقمي، وفي ذات الوقت ترى أن "قيمة" ما تنتجه، مُرتبط بشخصها أو حياتها الرقميّة، كونها تنشر على حسابها الشخصيّ، ما يجعله نظرياً انعكاساً لما تشعر به ولوضعيتها الاجتماعيّة، وهنا ترى أنّ ما تنتجه في الكثير من الأحيان منفيّ.

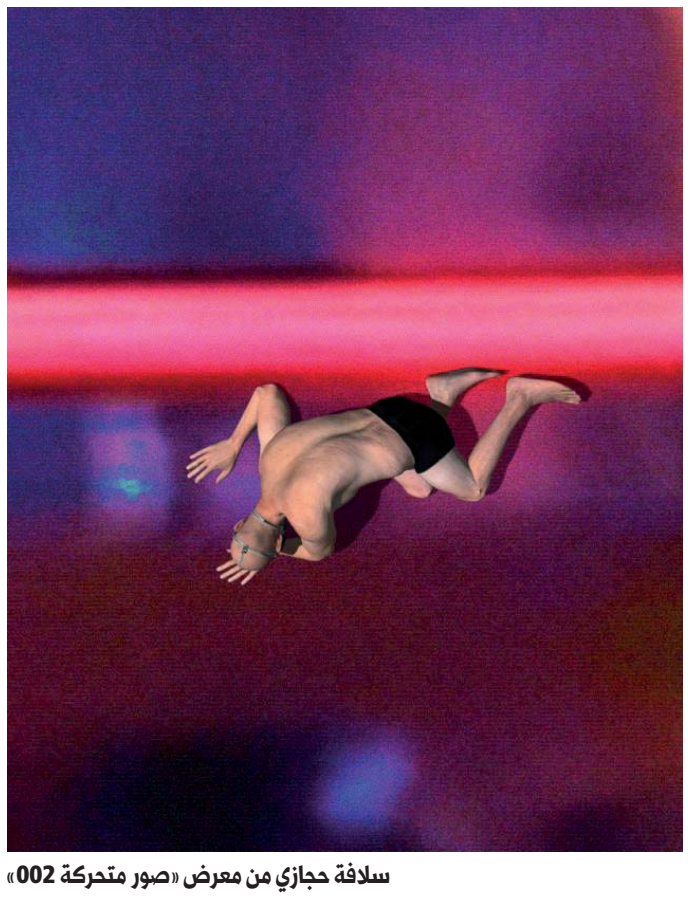

سلافة حجازي من معرض «صور متحركة 002»

ولا يعتبر فناً في الكثير من الأحيان، خصوصاً أن الأعمال الفنيّة ضمن مساحة الأنستغرام لن تصل إلى الكثيرين، أي أنها ليست مساحة مناسبة لبدأ مسيرة فنيّة من نوع ما، في حين أنّها مساحة ملائمة للترويج للفنانين المعروفين وذوي الشرعيّة، لتكون أشبه بتقنيّة تسويقيّة، تساعدها بخلق الوهم بأنّ الفنّان متّصل مع الجمهور وقريب منهم ، بل ويتفاعل مع آرائهم ،وهذا ما لا ينطبق مع حالتها كونها مهمّشة ولا تمتلك الاعتراف الفنيّ، والآراء التي تصلها هي من أصدقائها الذين يكتفون بالتشجيع، إلا أن القليلين وجدوا أعمالها "مؤثرة"، وهذا ما خلق لديها الانطباع بأهمية ما تقوم به، إلا أن الأنستغرام كمنصة قائمة على التصفح لا المشاهدة، يشتت انتباه المشاهد، إذ تكفي حركة بسيطة حتى يتلاشى "عملها" من أمام أعين المشاهد نحو صورة أخرى.

بالرغم من الصعوبات والخصائص التي يحتويها الأنستغرام نفسه كمنصة، هناك بعض العوامل الجمالية المرتبطة به كساحة للعبير، إذ ترى دانا أن المحاولات الدائمة لخلق "فن" للأنستغرام تجعل من الفرد نفسه مقيّدا بشروطه، فمثلاً لا يمكن نشر صور أو لوحات تحوي الكثير من التفاصيل، أيضاً هناك الميل لأن تكون الأعمال تصغيريّة، في ذات الوقت "جميلة"، أي تلفت الانتباه وقادرة على ترك أثر آني، خصوصاً أنها في ذات المساحة التي تظهر فيها صور عارضات الأزياء والمشاهير، وبالتالي لا بد من الانصياع لزمن التلقيّ وأسلوبه على الأنستغرام.

> ساهم الأنستغرام والمساحة التي يوفرها بإعادة تعريف القواعد الفنيّة، وجعل اللعب أمام الشاشة احتمالاً جمالياً جديداً، يخالف ما هو تقليديّ وشرعي

يشكل الأنستغرام أيضاً مساحة لتلقي الفنون الرقميّة، تلك التي لا يمكن أن نراها إلى على الشاشة، كما في حالة الفنانة الرقميّة السوريّة سلافة حجازي، التي يشكّل الأنستغرام مساحة لتقديم جزء أو لقطة واحدة من أعمالها المتحرّكة والتي تنتمي كليّا للشاشة، بحيث يكون الأنستغرام وسيطاً للاطّلاع على العمل الفنيّ ومفهومه دون تلقيه بشكل كامل، أو أحياناً مشاهدته بأكمله، وهذا ما لا توفره الوسائط التقليديّة للعرض أو حتى الصورة الثابتة سواء كانت رقميّة أو واقعيّة، وحتى الصور المطبوعة لا تشكّل كامل التجربة، كونها جزءا (frame) واحدا من إيقاع العمل الفنيّ ضمن الزمن.

فنون الهامش: الصراع مع الشكل القائم

عمار المأمون
كاتب سوري

يُتداول تعبير الهامش دائماً في السياقات السياسية والفنية والثقافيّة، هو حاضر ضمن أيّ محاولة لفهم ديناميكيّة القوى وصراعها، بوصفه تعبيراً عن أشكال من الموجودات التي لا تدخل بشكل كامل ضمن النظام القائم، الذي يسعى للحفاظ على "هامشيتها"، ونفيها مما هو عام ومشترك ومتداول والأهم شرعيّ.

الهامش يقدم حكايات كانت مخفية أو مخبأة ويتيح لها الظهور، هو تعبير علني عن الأصوات الخفيّة غير المرئيّة ، تلك التي لا تُكتب، بل تردّد سرّاً، وظهورها في أشكال الهامش الفنيّة أتاح لنا أن نرى المواضع المشطوبة

حقيقة، لا يمكن الآن في ظل عوالم ما بعد الحداثة تحديد الهامش والمركز بدقة، فالحدود بينهما مائعة في ظل تعدد المراكز، وتحوّل الهوامش إلى مراكز بشكل مستمر، إلى جانب تطوّر أساليب الاتصال التي جعلت ما هو خفي ومنفي، ظاهراً وعلنياً، إلا أن الشكل القائم في المنطقة العربيّة، ما زال يختزن داخله صراعاً سياسياً وجمالياً، وبالرغم من "حق الظهور" الذي وفّرته وسائل التواصل الاجتماعيّ وثورات الربيع العربيّ التي ساهمت بشهرة الكثيرين، ومازالت السلطات والمؤسسات الرسميّة والثقافيّة إلى جانب التقاليد والأعراف تقف بوجه الكثير من الأشكال الفنيّة، سواء كان ذلك بشكل مباشر عبر غياب تسهيلات الإنتاج والحرمان من الاستقبال في المساحات الرسميّة، أو عبر المواجهة المباشرة التي تتمثل بالمنع أو التهديد بالاعتقال الذي يطال الفنانين.

هذا الصراع والعنف المرتبط به يحيلنا إلى الهامش بوصفه خطراً و تهديداً للشكل القائم الذي يمتلك جماليات تختزن بداخلها الطاعة والتسامح والغفران والدعوة إلى الاستكانة، ولا نقصد فقط الحكايات التي تختزنها الأشكال الفنيّة الرسميّة، بل أيضاً أساليب التعبير والمكونات الداخليّة للعمل الفنيّ، وهنا يبرز الهامش بوصفه ميّالاً دوماً نحو التغيير والتخريب، هو يطرح التساؤلات على ما هو موجود ويشكك بقيمته، كما أنه لا يمهد لبناء جديد أو بديل، لكنه يطرح السؤال عن جدوى القائم، ويكشف علاقات القوة والهيمنة الناتجة عن المنع ومبرراته التي تجعل ما نراه ونستقبله بهذه الصورة، ما يجعل ممارسات الهامش انتهاكاً من نوع ما، ما يجعله خياراً من جهة ونتيجة لقوة خارجيّة من جهة أخرى.

الصراع الفني بين الهامش والمركز يبدأ مع الاعتراف الفنيّ، أو بصورة أدق عمليّة الـ"Artification" التي تتحول إثرها ظاهرة ما أو مُنتج ما إلى "فن"، تحميه المؤسسة وتحافظ على حقوق ملّاكه ومنتجيه وتتبنى جمالياته، وهنا تبرز قدرة السلطة على توظيف سطوتها لنفي شكل ما على حساب آخر، ولا نقصد فقط المؤسسات الوطنيّة والنقابات الفنيّة، بل أيضاً المتاحف وصالات العرض التي تمنح الاعتراف للمنتج الفنّي، أي أن الصراع مرتبط بأحقية الظهور الماديّ، وهذا يمتد لخارج مساحات المتحف، في الساحات العامة والشوارع الخاضعة لقوانين وأعراف دقيقة، ليأتي "الغرافيتي" مثلاً كمخالفة قانونية، كون المنتج النهائيّ يعتبر "تشويها" للفضاء العام ولا بدّ من إزالته، كما أن عملية إنتاجه خطيرة، كون العاملين فيه يتعرضون للملاحقة القضائيّة أو الاعتقال. ذات الشيء ينطبق على فنّ الأداء، الذي يقتحم الحياة اليوميّة، ويهدد أعراف الحركة والانتقال و"أمن الناس ، فالمتشابهون في الشارع يتورّطون في "اللعب"، ويتحولون إما لمشاهدين عفويين أو مشاركين في الأداء الذي قد ينتهي بتخريب الممتلكات العامة أو عرقلة السير، أو تعريض حياة الأفراد للخطر.

تتجلى جماليات الهامش أيضاً بوصفه نفياً للأشكال القائمة، إما عبر إعادة إنتاجها والسخرية منها أو تقديم جماليات مختلفة، وابتداع علاقات "جديدة" ضمن بنية العمل الفنيّ تخالف تلك الرسميّة والمُشرعنة أو التي يوافق العُرف على ظهورها بشكل ما، هذه الجماليات الجديدة نراها في فنون الشارع التي ترافقت مع ثورات الربيع العربيّ، والتي سخّرت من صور الدكتاتور والطاغية وحولته إلى أضحوكة ونكتة يلقيها المارّة علناً، بعد أن كان ممنوعاً السخريّة منه أو أحياناً النطق باسمه بصوت عال كما في سوريا.

يمكن القول إن الهامش يقدم حكايات كانت مخفية أو مخبأة ويتيح لها الظهور، هو تعبير علني عن الأصوات الخفيّة غير المرئيّة ، تلك التي لا تُكتب، بل تردّد سرّاً، وظهورها في أشكال الهامش الفنيّة أتاح لنا أن نرى المواضع المشطوبة، تلك التي اختفت بسبب السلطة والخوف وأشكال الهيمنة الثقافيّة.

لا يرتبط الهامش بالموضوعات فقط بل بالشكل الفنيّ وأماكن تواجده، وهنا يمكن النظر إلى المنتج الفني بوصفه حدثاً جمالياً، يَختزن قيماً ثقافيّة وسياسيّة توازيا مع هو جماليّ، ما يجعله ينتمي إلى العالم ومكوناته، وهذا ما ينطبق على أشكال الاحتجاج المختلفة التي شهدتها الساحات في الربيع العربيّ، والتي بالرغم من أنها سياسيّة، إلا أنها تبنت خصائص فنية وجماليّة، مستمدّة من الكرنفال والمسرح وفن الأداء والشعر، هي أحداث علنيّة تواجه السلطة وتحمل جماليات النفي والانتهاك وتقدم خطاباً مغاير للوطني، كما في الأناشيد التي كانت ومازالت تغنّي ضد بشار الأسد، وأشكال الرقص والحركة في سبيل التظاهر أو تفادي خطر قوى الأمن، فنحن أمام أشكال بديلة عن تلك الرسميّة المقننة والخاضعة للمراقبة والتي تضمن تماسك الفضاء العام الرمزيّ وخصائصه الأيديولوجيّة التي تغذيّها السلطة.

أتاحت وسائل التواصل الاجتماعيّ قنوات جديدّة لظهور فنون الهامش وتداولها ومعرفتها، في ذات الوقت أتاحت هذه القنوات ظهور أشكال جديدة غير معترف بها بصورة رسميّة، كفنون الهواة وفنون الأنستغرام، والتي لا تجد مخرجاً لها سوى في مواقع التواصل، فالمتاحف وصالات العرض لا تأخذها على محمل الجدّ لأسباب تتعلق بحقوق الملكيّة كما في فنون الهواة، أو تعريفات بائدة ترتبط بالراقي وعلاقته الفوقية ما يدّعي أنه مبتذل كما في فنون الأنستغرام، والتي ينظر إليها على أنها هاوية ولا قيمة لها بل مجرد لعب طفولي.

يرتبط الهامش أيضاً بالجمهور، والفنون التي لا تلقى رواجاً بسبب موضوعاتها أو شكلها، وذلك لحساسيات دينيّة أو اجتماعيّة، كحالة فن الوشم، الذي يعتبر إشكالياً بوصف أدواته ترتبط بالجلد وبالموضوعة الحيّة، وهنا يقع الصراع بين الفنان من جهة وبين صاحب اللحم من جهة أخرى، إلى جانب الوازع الاجتماعي والديني المرتبط بالجسد الموشوم، والتي أحياناً تجعل الوشم مُحاطاً بالسريّة.

من حملة «12 ساعة» في اليمن للفنان مراد سبيع

دمك سلعة للبيع: مغامرة شخصية

خالد جرار
فنان فلسطيني

يَحمل المؤدّي خصائصه السياسيّة والجماليّة في جلده ولحمه، ينقلها معه في المساحات السيادية والهامشيّة، بوصفه لا فقط موضوعة خاضعة لسياسات السلطة، بل أيضاً مساحة للاختبار الجماليّ، فالأداء ما إن "يحدث" مرّة، حتى يستمر دوماً، في جسم المؤدي نفسه، هو حدث لا ينتهي، آثاره مستمرّة دوماً سواء كانت علنيّة أو سريّة، ويعاد إنتاجها دوماً في جسد المؤدي ولدى الحاضرين وفي المكان ذاته، هو حدثٌ يتجاوز التقسيمات الرسميّة بين ما هو فنيّ ويوميّ، مُهدداً الأعراف والقوانين التي تضبط كل واحد منهما، هو رهان على "الإطار" بوصفه حداً وفي ذات الوقت قيداً، وخصوصاً فيما يتعلق بلحم المؤدي بوصفه مساحة فنيّة تتحرك داخل الإطار بوصفها جزءا من العمل الفنيّ و خارج الإطار بوصفه مواطناً أو لاجئاً أو أي تصنيف يخضع له الفرد إثر قوانين السلطة الحيويّة.

الصيغة السياسيّة للأداء

يُوظف فنان الأداء الفلسطيني خالد جرار الخصائص السابقة، ويُفعّل الصيغة السياسيّة للأداء في أعماله، ونقصد هنا في العلاقة مع السلطة في ذات الوقت في العلاقة مع الفنّ ذاته والمؤسسات المرتبطة به، وذلك في عرض الأداء "دماء للبيع" (2018)، الذي أنجزه جرار في "وول ستريت" في نيويورك في الولايات المتحدة، حيث وقف بوصفه بائعاً، يحمل معه مستودعاً طبياً فيه أنابيب بلاستيكية تحوي دماءه، والتي كان يعرضها للمارّة للبيع مقابل ثمن يتغير بحسب تغيّرات السوق، بعد شرائها يحصل الفرد على شهادة من جرار، تُبيح له استخدام الدماء بالصورة التي يشاء، وكأنّ جرار بائع متجوّل يعرض "بضاعته" للمارة والعابرين والمستوّلين والمسرعين إلى أعمالهم، المتواطئين -ولو دون علمهم- مع النظام القائم، وخصوصاً في وول ستريت، غابة الإسمنت والأموال والثروات التي تتحكم بمصير دول وشعوب بأكملها، حيث الجميع متنكرّ ببذلة رسميّة، مخفياً لصوصيّة من نوع ما، وسعياً للثروة بصورة وحشية. انتهاك جرار لحدود جسده ولحمه يهدد السياسات الحيويّة، تلك المسؤولة عن حياة وصحة الخاضعين للسيادة، والتي تتجلى في التأمين الصحيّ ونظام الطبابة الذي يحتكر لنفسه شرعية انتهاك الجسد بحجة إصلاحه وتحسين أدائه، فما يفعله جرّار قبل لحظة البدء بالأداء هو تحويل داخل الجسد السياسيّ "الدماء" إلى خارج خاضع للقوانين الفنيّة "مُنتج"، مُسائلاً سيادة الفرد على ذاته، وحرية تحكمه بحدوده الجسديّة، وخصوصاً فيما يتعلق ببيع الدماء الذي يعتبر جريمة يحاسب عليها القانون في الولايات المتحدة، لكن جرار يتجاوز مفهوم تسليع الجسد، كون ما يحصل عليه من نقود بديلاً عن الدماء يعود ريعه لغزّة واليمن من جهة، ومن جهة أخرى هو لا يراهن على منتج قابل للاستنساخ والتوليد دائماً، هي دماؤه محدودة الحجم والكميّة والتي يرتبط تغير سعرها بأسعار أسهم شركات تصنيع الأسلحة في البورصة، كما أن كلّ أنبوب يمثل منتجاً أصيلاً لا يمكن توليد شبيه له، هذه الصيغة التسويقيّة-الجماليّة تحصل خارج إطار المتحف، بل في شارع يوميّ محكوم بقوانين هذا الشارع، لنرى أنفسنا أمام "مُنتج" يحمل خصائص حيويّة إلى جانب احتوائه لهالة الفنان، تلك التي تضفي عليه قيمة ما لاحقاً، وهذا ما يراهن عليه الأداء الذي قدمه جرار، وهو حكاية هذه "السلعة" وطبيعة السوق الذي "تُباع" ضمنه، وخصوصاً أنه يمنح شهادة لمن يشتري من دمائه، ورقة أو صك ملكيّة كقرين للنصوص الرسميّة التي تمنع هذا البيع، في ذات الوقت هذا الصك، يبرئه من تهمة بيع الدماء، هو يبيع الصك ومعه الدماء، متلاعباً بالقانون، ومحرراً "الدماء" من السوق وقوانينه.

شكّلت دماء جرار المعلّبة بعناية تهديداً للتكوين الرمزي للفضاء العام، وحركت الكتلة البشرية المسؤولة عن شكله، إذ نشاهد كيف أوقفته الشرطة وسألته عما يفعل، و كان جوابه "أنا فنان أداء، وهذا عمل فنيّ"، هنا يظهر الإطار الفنيّ بوصفه يشكّل نوعاً من الحماية للفنان، وكأن هناك وعيا بإشكالية تدخلهم، كأنهم يرفضون أن يكونوا جزءاً من الأداء، وهنا تبرز إشكالية ظهور الدماء، والسياسات التي تتحكم به، كونه دوماً مُقننّاً، لأنه يُشكل "خطراً صحيّاً"، خصوصاً في الولايات المتحدة في التسعينات، مع بداية الحرب على الإيدز، إذ فقد الدم قيمته كأساس الحياة وتحول إلى مصدر للأمراض والبكتيريا، لا بد دوماً من إخفائه واحتوائه ونفي أولئك ذوي الدماء المسمومة، بوصفهم هم ودماءهم نوعا من الفضلات التي لا بد من احتوائها و"تطهيرها"، وهنا تبرز الاختلافات الجندريّة في التعامل مع الدماء، فالدمّ المؤنث مازال يوظّف ضمن الأعمال الفنيّة والمتاحف حتى الآن بوصفه أثراً على الألم المؤنث، أما الدم المذكر فمازال موضوع الجدل وخصوصاً بسبب الأساطير العنصرية والتمييزيّة التي تحيط المثليّة الجنسية، وأن المثليين يحملون الأمراض في أجسادهم.

خصائص جرار السياسيّة محمولة معه، فإسرائيل والولايات المتحدة الأميركيّة، عبر أجهزة القتل المختلفة في المنطقة العربيّة تبيح الدماء دوماً وتتعامل مع الضحايا كإرهابيين أو أعداء محتملين، هي تنتهك تماسك اللحم، وكأنّ(نا)ه خاضع لاستثناء حيويّ، يُبيح القتل وجعل الدماء مجانيّة، وهنا نعود لظهور الدماء في الفضاء العام مهما كان المكان، هي أثر مرئيّ على عنف خفي، وأجهزة ومؤسسات تفكك وحدة الجسد، وهنا تأتي دماء جرار بوصفها أثراً فنياً ينتمي لتاريخ الدماء في المنطقة، كصيغة تسخر وتنتقد في ذات الوقت من العنف المؤسساتي، وجعله مرئياً أمام المضاربين في السوق ودافعي الضرائب والمصوّتين والذين تستثمر أموالهم في شركات الأسلحة، وفي حال شراء الدماء نرى أنفسنا أمام لعبة غير جديّة يتورط فيها المارة في الاستثناء السياسيّ، ذاك الذي يضمن أمنهم من جهة، في ذات الوقت يعرّض "الآخرين" للخطر بوصفهم أعداء محتملين ومهدّدين للأمن العام.

انتهاء زمن الأداء ومكانه لا يعني انتهاء أثره، ولا نتحدث هنا فقط عمّن اشتروا "الدماء" وكيفية استخدامهم لها، بل عن أثره على جرار نفسه على تكوينه الجسديّ بوصفه موضوعة فنيّة تختزن الأداء، إذ نعلم أن هذا الأداء هدد جهاز مناعة جرار، وتعرض لحمّى لعدة أيام بعد انتهائه من الأداء، إلى جانب التعب الجسديّ الذي عانى منه، إثر ذلك يتحوّل لحم المؤدي والنصوص التي تولد حوله من تقارير طبيّة وقانونيّة إلى جزء من العمل الفنيّ، فهي نصوص تَصِفُ كيف تحرك هذا الأداء ضمن القطاعات المختلفة، فالخطر الذي تعرّض له المؤدي يكشف موقف السلطة السياسية والطبيّة منه، وخصوصاً أنه يتنقل بين البلدان، وهنا تبرز القيمة الأشد التي يراهن عليها الأداء، وهي الخطر الذاتي يواجه الصحة الموضوعيّة الوطنيّة التي تتبناها السياسات الحيويّة، والتي تعمل في جوانية الجسد وسوائله، كما في الأدوية وجهاز المناعة نفسه بوصفه موضوعة سياديّة، تجتهد السلطة في تطويرها وبنائها ضمن المساحات الآمنة، تلك التي يُضمن فيها "الإنتاج"، بعكس تلك المساحات التي قد تشكّل خطراً من نوع ما، ولا تتهم بحياة أو موت الموضوعات التي تعامل معها.

يتحوّل لحم المؤدي والنصوص التي تولد حوله من تقارير طبيّة وقانونيّة إلى جزء من العمل الفنيّ، فهي نصوص تَصِفُ كيف تحرك هذا الأداء ضمن القطاعات المختلفة، فالخطر الذي تعرّض له المؤدي يكشف موقف السلطة السياسية والطبيّة منه

خالد جرّار من أداء «دماء للبيع» في وول ستريت

المؤدي بوصفه صيادا محترفا

أنجز جرار أيضا العام الماضي في صحراء أريزونا في الولايات المتحدة أداء يسعى لمساءلة "الفنيّ" وعلاقته مع "السياسيّ"، إذ انضم إليه الجمهور في الصحراء لمشاهدة أداء بعنوان "أجيد إطلاق النار، ولكنّي سيء بالرسم"، وفيه يشرح بداية أنه تدرب كجنديّ على إطلاق النار،إلا أنه لم يتعلّم الرسم، لكنه يدعو الجمهور لمراقبة مهارته.

العرب الثقافي
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

الخطّ العربيّ ليس حكراً على جدران الجوامع

حسام أبوحشيش
فنان فلسطيني

أقيم حالياً في أمستردام بهولندا، بعد أن تركت سوريا وخضت رحلة طويلة لأصل إلى أوروبا، وهنا لدي أستوديو خاص بي للوشم، المهنة والفن الذي مارسته منذ أن كنت في سوريا ثم في لبنان، وتنقلت بعدها في معظم العواصم الأوروبيّة لأنجز تصاميمي التي أصبحت معروفة ومطلوبة من قبل الكثيرين، بل إن البعض يستخدمها كلوحات لا فقط تصاميم للوشم.

بدأ اهتمامي بفنّ الوشم منذ كنت صغيراً، كل ما أعرفه هو أن أرسم وألوّن، لكن لم أعلم بدقة أين عليّ البدء وفي أيّ مجال، إلى أن قرر واحد من أصدقائي أن يضع وشماً، فرافقته إلى أستوديو وشم في دمشق، ولم يكن هناك غيره حينها، إذ أتى صاحبه من الخارج وافتتحه لمدة ستة أشهر ثم أغلقه، ما أذكره أنّي ما إن دخلت حتى رأيت شخصاً ضخماً، مليئاً بالوشوم، حوله جدران مليئة بصور الجماجم والدراجات الناريّة، وحينها علمت أنّي أريد أن أصبح مثله، وبدأت أسأل عن كيفية صناعة الوشم وتصميمه، وحينها كان الشكل العلنيّ والشعبيّ له مقتصراً إما على حواجب النساء، أو في السجون، ومع ذلك بدأت أتعلم وحيداً، بأدوات بسيطة، أجربها على جسمي وأجسام أصدقائي.

> **يشكل الوشم بالنسبة إليّ مسؤولية هائلة، ولا أقصد فقط مهارة صناعته وإتقانها، بل أيضاً كونه شديد الشخصيّة فيما يتعلق بالفرد الذي أشمه**

أذكر أن الأدوات والأحبار كانت نادرة بين عامي 2005 و 2006 حينما بدأت أجتهد أكثر في التعلم، لكن كان هناك بعض التجار العاملين في أدوات التجميل، وكانوا يحضرون معهم أدوات خاصة بالحواجب ومنهم كنت أشتري ما أحتاجه من أدوات لم تكن على المستوى المطلوب، لكن بعد عملي لعدة سنوات ودخولي الجامعة، بدأت أسأل أصدقائي خارج سوريا، وأطلب منهم أن يحضروا لي معهم أدوات من الخارج، والتي أسست لبداية عملي الاحترافي.

أعتبر أسلوبي مزيجاً من مجموعة من العناصر والتقنيات المختلفة، إذ استمد من التقنيات الهندسيّة ومن الواقعي والتلوين كذلك الثقافة العربيّة و محتواها البصريّ والتزيينيّ، إذ أمزج بينها لأخدم الفكرة التي أريدها، ليكون كل وشم مميزاً ومختلفاً، وهذا ما ينعكس علينا كبشر، مختلفين، كل فرد يستحيل أن يشابه الآخر، فهو مزيج من لا يشبه شيئاً، ما يجعل كل وشم وتصميم مرتبطا بي من جهة وبرغبة الشخص الذي أريد أن أشمه وحكايته، فمن يأتي عندي كي يحصل على وشم يعطيني الفكرة أو الحكاية أو المفهوم الذي يريد أن يعبر عنه، لكي أصممه بالصورة التي أراها مناسبة، وأساس هذا الخيار هو ثقته بي، وإعطائيّ حريّة التعامل مع جلده.

الجلد في المنطقة العربيّة شديد الحساسيّة، سواء كان ظاهراً أم خفياً، موشوماً أو غير موشوم، وحسب ما شهدته وما عملت عليه، كان أغلب من يريدون وشماً يتبعون و يقلدون الغرب، سواء في الألوان أو في المضمون، وأقصد هنا ملاحقة الرائج، فهم لا يقتنعون إلا بالأشكال العامة والمعروفة والمتداولة، خصوصاً أن هناك مساحات من الجلد يتحفظ عليها فيما يتعلق بالوشم ومكان ظهوره كالوجه والرقبة واليدين، كونها غير مألوفة، وهنا أتحدث بعيداً عن سلطة الأهل والمجتمع، فالإناث مثلاً يفضلن الوشم المخبّأ الذي لا يظهر إلا في سياقات خاصة، كذلك فيما يتعلق بظهور الوشم في مكان العمل، وهذا ما أراه أقل في أوروبا، حتى فيما يتعلق بموضوعة الوشم أو الرسم الذي يمثله، والتي نراها في الكثير من الأحيان تميل نحو التقليد والنسخ في المنطقة العربيّة.

يحمل الوشم خصائص تزيينيّة، سواء كان يحمل معنى أو مجرداً، وأنا أميل عادة للزبائن ذوي الطلبات الصعبة، لكني أحاول دوماً أن أنجز تصميمات تحمل ملامح شرقيّة ترتبط بي وبما أعرفه وأشاهده، ولا أقصد هنا ما هو عام ومتداول، بل ما هو جديد و مميز، كأن أصنع تصميماً أساسه جملة "يا باطل" الشهيرة، الممتدة من الثقافة الشعبية وشخصيّة أبو عنتر ومفاهيم "الرجولة" المرتبطة بها، عبر إعادة تقديمها بصورة معاصرة بعيدة عن الابتذال، ولا بد هنا من التعليق على تاريخ هذه الجملة، فأبو عنتر (الشخصيّة التي يؤديها الفنان الراحل ناجي جبر) يعتبر من القلائل الذين ظهروا بصورة رسميّة على الشاشات وهو يضع وشماً بعيداً عن مفاهيم العيب، فوشمه هذا علامة على تاريخه وحكايته وأخلاقه، إذ كان محبوباً ونبيلاً نوعا ما، طيب القلب ووفياً لأصدقائه.

لا بدّ من الإشارة إلى العلاقة الإشكاليّة بين اللغة العربيّة والوشم، فعادة من يضع وشماً بالعربية لا يأخذ على محمل الجد، بل يُرى بوصفه مُبتذلاً، وهنا أرى أن قدرتي على إعادة توظيف هذه العبارة وغيرها من الكلمات العربيّة ضمن تصاميم جديدة ومقبولة من قبل الناس تدل على قدرة الوشم على تجاوز التابو الاجتماعي، فالكثيرون وجدو التصميم جميلاً ولطيفاً بل وتلقيت عدداً من الطلبات لإنجازه لعدد من الزبائن، وهنا تأتي جهودي لمحاولة كسر احتكار الزخرفات الإسلاميّة للغة العربيّة والخط العربي، في محاولة لتحريرها من قدسيتها، فتقنيات الخطّ العربيّ ليست حكراً على جدران الجوامع، كل الكلمات مباحة للاستخدام نابية كانت أو مقدسة، وكل الكلمات تليق بها الزخرفة.

لم أعد أهتم بحقوق ملكيّتي الفكرية والفنية منذ فترة طويلة، فسابقاً كنت كلما أنجزت تصميماً أكتب اسمي على الصورة كطبعة مائية أو أصوّره بصورة مائلة بحيث لا يتمكن من يريد سرقته من طباعته، لكن في إحدى المرات قام فنان كبير في لبنان بأخذ واحد من تصميماتي ووشمه لأحدهم، بعدها وصلني الكثير من التنبيهات والرسائل تخبرني بأن هناك من سرق تصميمي، في تلك اللحظة، بدأت أرفض فكرة الملكية، لأن أيّ أحد سيرى واحداً من التصميمات سيعلم أنني من قمت بها، أو سيخبره أحد ممن حوله بذلك، فاسمي وأسلوبي نفسه هو الذي يحميني، ومعرفة الناس بجهدي هي التي أظن أنها ستحميني، وخصوصاً في عصر الإنترنت حيث من السهل معرفة المصدر والأصل.

عادة، حينما أريد الترويج لعملي سواء بصورة شخصيّة أو أشارك في مؤتمرات أو مهرجانات للوشم أتبع أسلوبين، فإن كان تصميماً لم أشمه بعد فإني أنشره فقط، بانتظار أن ينال إعجاب أحدهم كي أقوم بوشمه، أو أنشر فوراً صورة الوشم على الجلد، أو أنشر التصميم الذي اتفقت عليه مع من يريد وشمه، لكن ما يجب إيضاحه هو أن التصميم أهم من الجلد، كون الأول يأخذ أحياناً عشر ساعات لإنهائه، في حين أن عمليّة الوشم يمكن أن تنتهي في ساعتين.

يشكل الوشم بالنسبة إليّ مسؤولية هائلة، ولا أقصد فقط مهارة صناعته وإتقانها، بل أيضاً كونه شديد الشخصيّة فيما يتعلق بالفرد الذي أشمه، فهو مرئي على جلده، وقد يبقى حاضراً مدى الحياة، وهذه الفكرة التي أحاول إيصالها لمن أشمهم، فالبعض يخطر له أن يضع اسم حبيبته أو يعبّر عن صدمة ما مرت معه، أو حتى أن يضع وشماً في سياق اللعب أو التسلية، وهنا تبدأ مهمتي التي تقوم على شرح فكرة الوشم، وأنه سيبقى للأبد، هو تذكير دائم لا يمكن التورط فيه أو عدم أخذه على محمل الجدّ.

مثلاً هناك من أتاني أثناء خضوعه لعدة عمليات لتغيير جنسه، وقد أراد أن يشم آلهة ذات حكاية مميزة، فهي مطعونة في قلبها، لا تستطيع أن تزيل السكين كونها ستموت، ما يعني أن عليها الإبقاء عليه وتحمّل الألم كي تبقى حية. رفضت إنجاز هذا الوشم، لأنه مؤلم عاطفياً، وسيذكره كل مرة يراه بالألم، ولو كان يعبّر عن مشاعره لحظتها، لكن الفرد يتغير في المستقبل، وبرأيي من حق الجميع أن يكونوا سعداء دون أن يكون هناك ما يذكرهم دوماً بحزنهم وبالألم الذي مروا به.

وسبب رفضي الجوهري هو أني لا أشم ما يريده الناس بل ما يحتاجون إليه، وبعد الحوار والحديث معه، غيرنا الوشم كله، واتفقنا على شكل جديد يختلف كليّا عما يريده هو، ولا بدّ أن أقول إن النيّة أو الهدف وراء الوشم أهم من الوشم ذاته، ولا بد على فنان الوشم أن يكون واعياً لهذه المسؤوليّة وأثر ما يتركه على جلد موضوعته، سواء كان هذا الأثر نفسياً أو فنياً.

يلعب الوشم دورا في الشفاء، فمثلا أنا قررت التخلص من أحكامي على الناس، وكي أتذكر كل مرة أنه لا حق لي في تجاهل أحدهم أو نفيه، وشمت على يدي عبارة "أنا أنت"، كي تبقى علامة على التشابه بيني وبين الآخرين، ولا يحق لي الحكم على أحد، فالوشم تذكير دائم، وهذا ما يجعله الوشم ذو أثر شخصيّ ومباشر على الفرد، إذ لا مسافة بين الوشم وبين الفكرة التي يحملها، هما متطابقان فلا يمكن للفرد أن يخلق مسافة مع جلده.

وشم من الثقافة الشعبية لحسام أبوحشيش

حسام أبو حشيش في أستديو الوشم

جماليات الاحتجاج

حامد العظم

يمكن فهم الحدث الجماليّ بوصفه مجموعة من العلاقات والأفعال العلنيّة التي تحاول نفي أشكال الهيمنة السياسيّة وكشفها، وتقديم بديل لها يعيد تعريف الموضوعات السياسية وحدودها، ومعارضة تعريفات السلطة في مساحاتها في سبيل تحدّي الشكل القائم واستعادة ملكية هذه المساحات، ليكون الاحتجاج ذا خصائص جماليّة ترتبط بـ"الضد"، والسعي لإعادة تعريف الفرد كموضوعة ثقافيّة وسياسيّة، إلى جانب قدرة الاحتجاج على إنتاج نصوص وأشكال فنيّة رسميّة وغير رسميّة من مختلف القطاعات القانونية والطبيّة والثقافيّة، ليكون حدثاً يمتد في الزمن والمكان، ويتجاوز لحظة الاحتجاج.

هذه الجماليات نراها في سوريا ضمن إطار المظاهرة الطيارة التي تجتمع فيها مجموعة من الأفراد ضمن مكان وزمان محددين، للهتاف وخلخلة "سكون" الفضاء عبر الركض أو المشي، ثم الاختفاء مرة أخرى، ليتحول "فضاء" المظاهرة إلى مساحة للظهور، وتحدي سياسات الاختفاء التي يمارسها النظام السوري ضد من يحاول معارضته، إلى جانب ممارسته العنف الاستثنائي ضد "الأعداء" وتعريضهم للموت ليتحول فضاء المظاهرة إلى ما يشبه "مخيّما" تفعّل جغرافيته أجساد المتظاهرين/ المؤدين عبر مجموعة من الحركات والأقوال.

هنا يتجلى الصراع بين عنف الإخفاء وبين الرغبة بالظهور، بوصفه تحديا سياسيّا يحوي عناصر جماليّة مستمدة من المسرح وفنون الأداء بمواجهة المراقبة ورجال الأمن وقوانين الطوارئ ومكافحة الإرهاب، فالرغبة بالظهور هي برهان على مرئية "المعارضين"، لا فقط لأنفسهم بل للآخرين المشاهدين وللعالم بأكمله، في سبيل نقل رسالة مفادها نحن موجودون وفاعلون، وهذه المساحات ليست إلا مساحات خاضعة للهيمنة يؤدي فيها الأفراد الطاعة.

هذه الطاعة وأشكال أدائها العلنيّة وقواعد هذا الأداء هي التي يحاول المتظاهرون نفيها عبر تحدي الخطر الذي يهدد حياتهم بسبب التظاهر، ما يؤثر على شكل الأخير، لنرى المظاهرة سريعة مضبوطة ومدروسة الحركة المحكومة بالارتجال الذي يضمن النجاة من جهة، والقدرة على الظهور من جهة أخرى، فهناك خطر يتمثل بالكتلة البشريّة التي تقمع "الشرطة- الأمن" والمكان المادي بوصفه عائقاً أو فخاً يوظفه المتظاهرون في سبيل الهروب، والتلاعب برجال الأمن شبّه بتقنيات حرب العصابات، فالخطر هنا يتحكم بشكل الجسد ودوره، هذا الجسد المحتج الذي يصرخ ويجعل صوته مسموعاً، نافياً أشكال الحركة المقننة والمراقبة وأشكال الطاعة الرمزيّة التي تحويها المظاهرات الرسمية التي تحتفي وتمجد "القائد".

الخطر بالموت الذي يتحكم بالأداء العلني وشكله يحوي عناصر من اللعب بوصفه وسيلة ليميز "اللاعبون" أنفسهم عن "الباقين" عبر وضع قواعد جديدة لحركتهم وكلامهم، تخالف تلك المحكومة بالخوف والطاعة، كذلك يمثل اللعب تمريناً على تجاوز الخطر، فالمتظاهرون "يلعبون" مع قوى الأمن، يهربون منهم، يشتتونهم ويضيعون جهودهم، محولين إياهم لنوع من الآكروبات السّيء الذي لا يعلم بدقة ما الذي عليه فعله، بل يتحول إلى فرجة للآخرين ومحط سخريتهم، في ذات الوقت، هذا العب خطير، قواعده تختزل بالنجاة في ذات الوقت الهروب، وهنا تبرز واحدة من تقنياته وهي التخفيّ، بوصفه أسلوباً يضمن عبره المتظاهرون عدم إمكانيّة التعرّف عليهم لاحقاً خارج فضاء التظاهر، وهنا تبرز أشكال الأقنعة والأزياء البسيطة والعادية التي تشابه ثياب الجميع، والتي تتيح لهم بعد الهروب الدخول بين الجموع والحركة بوصفهم كالباقين متشابهين، يؤدون الطاعة ساخرين منها ومن أشكالها.

يفعّل هذا النوع من الاحتجاج بعض خصائص المسرح الخفيّ، حيث يتحول المارة والموجودون إما إلى مشاهدين دون إرادتهم أو إلى مؤدين لا بد عليهم من المشاركة، وهنا يظهر نوعان من المشاركة، الإيجابية التي ينضم فيها المارة للمحتجين مخاطرين بحيواتهم كونهم لا يعرفون "خطة" الهرب، أو مشاركين سلبيين يهدفون لإيقاف المظاهرة والمشاركة في إعادة التوازن للفضاء العام بوصفه يهدد "أمنهم" والطاعة التي يمارسونها، وهنا تبرز الرغبة بالظهور أثناء إيقاف المظاهرة، فالمراقبة التي لا يعرف الفرد إثرها من يمكن أن يشي به تجعله يسعى لإيقاف المظاهرة كونه أيضاً "يظهر" مع المحتجين في ذات المكان، ما يعني أنه يمكن أن يكون عدواً محتملاً، كونه لا يعرف الذي يفسر ويحدد المحتج من المطيع، لذلك عليه أن يكون مرئياً حين يساهم في إيقاف المظاهرة.

هذه الخصائص التي تراهن فيها المظاهرة الطيارة على الاختلاف بين المطيع وبين المخرب، تحولها إلى فضاء كرنفاليّ من نوع ما.

> **الخطر بالموت الذي يتحكم بالأداء العلني وشكله يحوي عناصر من اللعب بوصفه وسيلة ليميز «اللاعبون» أنفسهم عن «الباقين» عبر وضع قواعد جديدة لحركتهم وكلامهم، تخالف تلك المحكومة بالخوف والطاعة**

فضاء ومساحة جماليّة توظف الخصائص السياسية للمكان

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

الصوت العالي: الراب أو فن الغضب

اللبناني بوناصر الطفار على ا لخشبة في إ سطنبول

بوناصر الطفار
فنان لبناني

أرى علاقتي مع الراب كامتداد لعلاقات موسيقية طويلة سابقة، وعلاقتي مع الموسيقى بشكل عام هي امتداد لعلاقتي المضطربة مع محيط كبرت فيه لا يدفعك سوى إلى العزلة والانفراد منذ نعومة أظافرك، حينها كانت "الووكمان walkman – " هي الحل. كنت أسمع الموسيقى كحجّة لأكون وحيداً ولا أتواصل مع من حولي، كنت أصطنع فعلاً،لأبدو مشغولاً في البيت ذي الغرفة الواحدة التي كانت تقطنه أسرتي المؤلفة من خمسة أشخاص، وحينها لا بديل عن السماعات في الأذن لأخلق مساحتي الخاصة.

كنت أستمع للأشرطة الموجودة في البيت، مهما كان نوعها، أنتقل بين زكي ناصيف وباسم كربلائي، إلى أن بدأت أستمع للراديو، واكتشفت الإذاعات التي لا أمتلك كمستمع قدرة اختيار الأغنيّة التي أريد، حينها تعرّفت على عوالم موسيقية مخيفة وجديدة، بأدواتها وشكلها والتي كانت تسمّى "الأجنبي"، الوصف الذي ينطبق على أيّ أغنية غير عربية، مهما كان نوعها وشكلها وتوزيعها... الخ، ربما تعلقي فيها بداية كان هروباً إلى مكان مجهول من قبل أبناء جيلي، حينها كانت لغتي الانكليزيّة ضعيفة، وكنت أحفظ تناسق الحروف وتدفقها كما أحفظ الأغاني الهندية اليوم، دون أيّ فكرة عمّا يُقال فيها، وصار تعلقي بالموسيقي انعكاسا لهروبي من الأهل والبيئة والمدرسة والرفاق.

أظن أنّي كنت أخجل مما كنت أسمع، ولم أخبر أحدا بذلك، وكأنّي تربيت في صومعة راهبات مرعبة، مع ذلك، أصبحت لدي موسيقى مفضلة، إذ انجذبت لصوت الغيتار الكهربائي حين أسمعه في واحدة من الأغاني، وتعلمت الـheadbanging ، وهذه كانت بداية دخولي لعوالم الروك والميتال، وبدأت أشتري الأقراص المضغوطة والمشغلات المحمولة، ثم أحفظ كلمات الأغاني التي كنت أحمّلها من الإنترنت، ثم أترجمها كي أفهم ما يقال، كنت حينها، وبدون أن أدري، أبني هويتي الموسيقية التي مازالت ترافقني حتى الآن، -حينها كان عمري 12 عاماً والآن أنا ابن الـ-32 وأتعلم الإنكليزيّة لوحدي.

في رحلة البحث عن معاني الكلمات التي أسمعها وربطها بما يحصل من حولي والتعبير عنه، انتقلت من سماع موسيقى الميتال إلى الهيب هوب، وكأني حينها أنتقل من حالة الصبيّ المنعزل الخائف من الكون ونفسه إلى الشاب المشاغب الراغب في المواجهة وتحطيم كل مقدّس، ومع الراب، بدأ صوت الموسيقى يعلو، وكأني جاهرت "بخطيئتي"، وانتقلت بعدها لتعريب الأغاني، ثم كتابة مقاطع يومية عمّا أعيش وأعرف بعد ما سحرني التدفق لدى المغنين واللباس والجرأة في التعبير والشتائم والألحان التي تجعل من غضبك متعة راقصة، أذكر مثلاً أن لديّ أغنية سجلتها على برنامج الـjet audio باستخدام معدات بدائيّة، حينها كنت أعمل في كراج سيارات، وتنتابني السعادة والفرح إلى الآن، في كلّ مرة أستمع لها.

نقلت هذه "المعرفة" الجديدة التي نلتها لصديق مقرّب لي وأسسنا فرقة "الطفار"، وفي الجامعة تعرفنا على فرقة "كتيبة خمسة" ومنها الصديق "أسلوب" الذي أعجب بهذا الاندفاع وأنتج لنا الأغنيّة التي لاقت صدى واسعاً في الفترة التي كان فيها تبادل الموسيقى عبر الـ"البلوتوث" قبل أن يكون هناك منصات نشر رقميّة، وأذكر حينها أن الأغنية انتشرت بشكل كبير، وصارت لفترة نشيداً وطنياً لجيل كامل بلبنان "ازرع احصد كسر لف...."، ومن ثم أنتجنا أغنية أخرى "الوسخ التجاري" التي بسببها تعرفنا على مجموعات شبابية وسياسية جديدة أخذت عملنا على محمل، كونه يحوي توجهاً سياسياً راديكالياً مراهقاً قادماً من القرية لهدم المركز على رؤوس من فيه.

> **شكل الراب بالنسبة إليّ دافعاً لأخوض غمار تجربتين كتابيتين مستقلتين هما «الحرايق» و«القشنود»، وأظن أنهما خلقا حالةً جديدة في المشهد الأدبي**

وتتالت الأغنيات إلى أن أصدرنا الألبوم الأول "صحاب الأرض" والذي كان وما زال حتى اليوم علامة تاريخية فارقة في تاريخ الراب في المنطقة، بالرغم من كل ما يحمله من تصنّع وذكوريّة ونفس عشائريّ انتقامي مراهق.

كانت تجربة الطفار هامّة بالنسبة إليّ وللكثيرين الذين استندوا على نجاح التجربة وجرأتها، لإصدار أعمالهم الخاصة، وكانت فرصة لي لتشكيل وعي موسيقي سياسي واجتماعي معين، على أساسه أكملت بعدها المسيرة منفردًا، منتقلاً كما الراب العربي من حال إلى حال، وأصبحت أعمل على إنجاز تجارب مشتركة مع أناس جدد من لبنان وخارجه، إلى جانب أدائي في حفلات مشتركة وتنظيم حفلات مختلفة، آخرها كانت في إسطنبول، الأولى منفردة وقد بيعت كل بطاقاتها في أيام قليلة، والثانية منذ أشهر وكانت مشتركة مع رفيق الدرب جندي مجهول هو "خيري إيبش" و"عاصفة" من فلسطين إلى جانب مؤدّين أتراك.

شكل الراب بالنسبة إليّ دافعاً لأخوض غمار تجربتين كتابيتين مستقلتين هما "الحرايق" و"القشنود"، وأظن أنهما خلقا حالة جديدة في المشهد الأدبي باستخدام معدات بدائيّة، حينها كنت أعمل في كراج سيارات، وتنتابني السعادة والفرح إلى الآن، في كلّ مرة أستمع لها.

نقلت هذه "المعرفة" الجديدة التي نلتها لصديق مقرّب لي وأسسنا فرقة "الطفار"، وفي الجامعة تعرفنا على فرقة "كتيبة خمسة" ومنها الصديق "أسلوب" الذي أعجب بهذا الاندفاع وأنتج لنا الأغنيّة التي لاقت صدى واسعاً في الفترة التي كان فيها تبادل الموسيقى عبر الـ"البلوتوث" قبل أن يكون هناك منصات نشر رقميّة، وأذكر حينها أن الأغنية انتشرت بشكل كبير، وصارت لفترة نشيداً وطنياً لجيل كامل بلبنان "ازرع احصد كسر لف....."، ومن ثم أنتجنا أغنية أخرى "الوسخ التجاري" التي بسببها تعرفنا على مجموعات شبابية وسياسية جديدة أخذت عملنا على محمل، كونه يحوي توجهاً سياسياً راديكالياً مراهقاً قادماً من القرية لهدم المركز على رؤوس من فيه.

> **شكل الراب بالنسبة إليّ دافعاً لأخوض غمار تجربتين كتابيتين مستقلتين هما «الحرايق» و«القشنود»، وأظن أنهما خلقا حالةً جديدة في المشهد الأدبي**

وتتالت الأغنيات إلى أن أصدرنا الألبوم الأول "صحاب الأرض" والذي كان وما زال حتى اليوم علامة تاريخية فارقة في تاريخ الراب في المنطقة، بالرغم من كل ما يحمله من تصنّع وذكوريّة ونفس عشائريّ انتقامي مراهق.

كانت تجربة الطفار هامّة بالنسبة إليّ وللكثيرين الذين استندوا على نجاح التجربة وجرأتها، لإصدار أعمالهم الخاصة، وكانت فرصة لي لتشكيل وعي موسيقي سياسي واجتماعي معين، على أساسه أكملت بعدها المسيرة منفردًا، منتقلاً كما الراب العربي من حال إلى حال، وأصبحت أعمل على إنجاز تجارب مشتركة مع أناس جدد من لبنان وخارجه، إلى جانب أدائي في حفلات مشتركة وتنظيم حفلات مختلفة، آخرها كانت في إسطنبول، الأولى منفردة وقد بيعت كل بطاقاتها في أيام قليلة، والثانية منذ أشهر وكانت مشتركة مع رفيق الدرب جندي مجهول هو "خيري إيبش" و"عاصفة" من فلسطين إلى جانب مؤدّين أتراك.

شكل الراب بالنسبة إليّ دافعاً لأخوض غمار تجربتين كتابيتين مستقلتين هما "الحرايق" و"القشنود"، وأظن أنهما خلقا حالة جديدة في المشهد الأدبي بسبب النجاح الذي نالاه، أما انتشارهما حول العالم، فيشكل برأيي سخرية وانتقاداً عميقين لكل القنوات الاحتكارية الفنية التقليدية، لكني أذكر جيداً حين كنت أخجل أن أرفع صوت الموسيقى في بيتي، كنت لا أوصف بالأهبل أو واحد من عبّاد الشيطان، لكن الصوت العالي هو ما أوصلني إلى هنا، وهذا هو الراب على كلّ حال.

الراب بأصله لسان المهمّشين الناطق، وهذا ما نراه في أماكن انتشاره الأصلية وفي مضمون أغانيه وشكله الموسيقي، وأتحدث هنا عن الراب كفكرة أصلية للمواجهة وهز الأدمغة والأفكار قبل أن تسرقه المؤسسات الرسمية وتعمل على تشويهه، كما تسرق أدوات النضال كافة من الناس وتحولها إلى موضة.

تكمن الإشكاليّة أيضاً في انتقال الراب من شكلٍ موسيقيّ يحمّس القلب ويشحذ الطاقة ويملأ النفس شجاعة وجرأة إلى موسيقى تافهة نسمعها في المراقص وأثناء تنظيف البيت، وبرأيي هذا الانتقال هو نتيجة قرار يتخذه "الرابر" وليست نتيجة تطوّر في الأسلوب أو التقنيّة.

من جهتي، أنا ابن الهامش، في بيتي وفي اسمي الفني الذي اخترته الذي أنتصر به لـ"طفار"، المهمشين، الملاحقين في الجرود والبراري، ويترجم ذلك أساساً في الغضب الواضح في كلمات أغنياتي التي تنتقد وتشتم المركز بكل أشكاله اللماعة. وهذا ما يتضح أيضاً في مشاركاتي الموسيقية، وفي أول حفلة موسيقية أقمتها، والتي كانت في صالة أفراح في "الضاحية الجنوبيّة" قبل أن ترى فيناً مسارح بيروت استثماراً مُربحاً لاحقًا، وتدّعي دعم فكرتنا، خصوصاً أنها منذ ما يقارب العشر سنوات كانت ترفض استقبالنا حتى في اجتماع.

أصبح لدينا الآن أنا وباقي مغنّي الراب، منصات أكثر لتقديم العروض الحيّة، والتواصل السريع عبر الإنترنت، الذي يساهم في سرعة نشر الأغاني وانتشارها عبر المنصات البديلة التي تلعب دوراً بالغ الأهمية في نقل الراب وانتشاره بشكل أوسع وأكبر، مع ذلك تبقى هذه الجهود غير كافية ما لم تقترن برغبة بتحطيم السائد والمتداول والـmainstream، عبر تكاتف مضاد له ولا عبر الانصياع لما يريده، كما يحدث اليوم مع انتشار ثقافة الـauto tune كالجرثومة في إنتاجات الراب والتي يتم عبرها اختيار الإيقاعات الراقصة وتفريغ الكلام من معناه.

دجّن نظام الماينستريم الاستهلاكي الراب وسلّعه، وفرض عليه هوية جديدة راقصة مناقضة لصورته الأصلية، لنرى الراب ينتقل تدريجيّاً من محاربة تهميشه إلى ثوب استهلاكي تافه يرضي من همّشه.

الراب كموسيقى كسر للمألوف وخروج عن الطاعة. وأتحدث عن شكل هذه الموسيقى وأدواتها وسقف جنونها العالي من ناحية التجريب في الألحان والكلمات والأسلوب، هي كالمغناطيس لكل من يبحث عن منصة يفرغ بها غضبه بطريقة فنية، بدل أن يقترف الجنايات في الشارع، هي وسيلة للحشد ونشر الأفكار بقالب فني يميزها عن النشر بالبيانات والمحاضرات، وهنا لا بد أن أشير إلى أن المظاهرات في بيروت فترة الحراك ارتبطت مباشرة بأغنيتي "خير الشغب" و"نحن والزبل جيران" وكانت هناك معركة مخفية بينهما وبين الغناء التقليدي كجوليا بطرس وماجدة الرومي.

لم أعتمد الراب كوسيلة لمواجهة التراث أو التقليدي، بل على العكس، أحرص دوماً على التوفيق بينهما، وإبراز الجماليات التي يمكن أن تنجم عبر هذا المزج، فمثلاً أغنية "تتليت" مكتوبة كاملة بتقنية العتابا، وهي من أكثر الأغاني انتشارًا حتى اليوم، وأضيف، لم يأت الراب لترسيخ أيّ انقسام، بل على العكس، أتى الراب لكسر التنميط، مُعتمدًا على عنصر المفاجأة بحيث لا يمكن أن تتوقع أبدًا ما الذي قد تحمله أغنية فلان من كلمات وموسيقى، حتى ولو كنت تستمع إليها منذ عشر سنوات.

أعطى الراب لكل شخص حرية اختيار التصنيف الذي يريد، وتحديد الملاح الخاصة به، فمن جهتي مثلاً معياري الأول والأساسي هو الكلمة التي يقولها المؤدي، رغم الأهمية البالغة بل المهولة للموسيقى والقالب الفني، لكن الراب فن الكلام، وكلما كان الكلام مبتذلاً ركيكًا فستكون النتيجة ركيكة أو مسلية بأحسن حالاتها، مهما بلغت حرفية الإنتاج الموسيقي، وبرأيي، الكمال يكون حين يوضع النص الجميل المتقن الذكي، بقالب موسيقي من مستواه.

الحديث عن الراب فضفاض، ففي سوريا مثلا، هناك مغنّو راب ارتدوا بذلة عسكرية، وغنّوا على حطام البيوت المهدمة، ولا أستطيع أن أنفي أن ما يصنع هو "الراب" مهما كان رأيي فيه، لكنه لم يكن فقط متصالحاً مع السلطة، بل وجهاً واضحاً من وجوه السلطة، وفعلا ما تخجل السلطة نفسها أن تفعله، كذلك نرى الأمر في بيروت، هناك شخصان، والدهما نائب في البرلمان، مع ذلك يصنعان موسيقى"الهيب هوب"بالطبع، خطابهما بأحسن حالاته برجوازي يشابه المعاتبة والتربيت على الكتف.

هناك مؤسّسات عربية تدعم هذا الشكل الموسيقي، لكنّي لا أعلم عنها كثيرا، قد يكون ذلك تقصيراً منيّ، لكني لم أسمع أن هناك تفانيا في دعم الراب والمساهمة في نشره وتوزيعه.

الفن المعارض

خيري إيبش
فنان سوري

بدأت علاقتي مع موسيقى الراب بمرحلة مبكرة، إذ كنت أحاول أن أقلد ما أسمعه من أغنيات كنت أجدها على أشرطة الكاسيت، وكان أغلبها باللغة الإنكليزيّة، ولم يكن هناك ارتباط وثيق بيني وبينها، فكان أخي من الجيل الأكبر مني، ويستمع للراب من حين إلى آخر، إلا أن علاقتي معه باللغة العربيّة بدأت منذ ظهرت بعض الفرق اللبنانيّة والفلسطينيّة التي تستخدم اللغة العربيّة، ما جعلني أعيد النظر في "الراب" كشكل فني ووسيلة للتعبير، سواء على الصعيد الشخصي، أو ضمن الشرط الاجتماعيّ والسياسي، وهذا ما دفعني لتبني اسم "جندي مجهول" بوصفه تعبيراً عن موقفي الفنيّ والسياسي.

هذا الشكل الفنيّ من الغناء والأداء هامشي نوعاً ما في المنطق العربيّة، بداية بسبب عدم نضجه، فما زالت هويته قيد التكوين، وعلاقته بالمؤسسة مرتبطة بالفائدة التي يمكن أن تحصل عليها المؤسسة منه، سواء في السماح بظهور مغني الراب أو عبر عملية الإنتاج، فمنذ أن كنت في سوريا امتلكت أدواتي الخاصة للتسجيل و الغناء، فأنا أتحكم بكل عملية الإنتاج، منذ الفكرة التي تراودني حتى عملية التسجيل والتأليف الموسيقي ثم النشر والتوزيع، الأمر الذي اختلف لاحقاً حينما انتقلت إلى بيروت، إذ هناك عاملون وأشباه مؤسسات تتبنى هذا النوع من الفن وترى فيه شكلاً فنيا وسياسياً مختلفاً عن السائد.

وهنا نأتي للجمهور الذي يتنوع بين مستمع تقليدي إلى محبّ ومتابع في الكثير من الأحيان، ولا أقصد هنا من يكتب ويصنع موسيقى ويغني، بل فئة ترى فيه شكلاً جديداً مُغرياً وأشد صدقاً من غيره.

تعتبر منصات النشر البديلة والرقميّة في الكثير من الأحيان المصدر الرئيسي لشعبية مؤدي الراب وهي التي تجعله مسموعاً ومرئياً للآخرين، كما تؤمّن له وسيلة تواصل مع المؤدين الآخرين، الذين يمكن العمل معهم، وهذا ما حصل إذ تعرفت على الكثير من المؤدين وأنتجنا موسيقى سويّة أحياناً قبل أن نلتقي بشكل شخصي.

نصوص الراب عادة تعتمد على الانتقاد والاحتجاج، وهذا ما نراه في أشهر التجارب الأميركيّة، والتي ترى في الراب صوتا مختلفاً عن الرسمي، يصرخ ويحتج بوجه السلطة والمؤسسة والكتلة البشريّة المرتبطة بها كالشرطة والجيش، وذات الشيء نراه في التجارب العربية، فالنصوص مليئة بالإحالات للوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعيّ في المنطقة العربية، إلى جانب قدرة الراب على طرح كم هائل من الأفكار، بصورة صرفة في العديد من الأحيان، دون رقابة أو خوف، وهذا ما يجعل "الرابر" في أغلب الأحيان بموقع المواجهة مع السلطة، ورفض للشكل القائم.

يحوي النص المغنّى في الراب العديد من العوامل الشعريّة والجماليّة، خصوصاً أن الأساس في هذا الشكل من الغناء هو "النص" وهذا يؤثر على طبيعة المستمعين والجمهور، هناك نصوص تفترض أن تكون الأغنية موجهة لفئة محددة، قادرة على فك الشيفرات والإحالات المختلفة داخل النص، كونه يتغذى لا فقط من اليومي والمتداول، بل أيضاً من التراث الثقافي و الفكري للمنطقة، وهذا سببه تطور تجربة الراب التي كانت أقل "شعريّة" إن جاز التعبير حين بدأت في المنطقة العربيّة، إذ كان الكلام بسيطاً ويسعى لتقليد النسخة الأميركيّة.

> **يحوي النص المغنّى في الراب العديد من العوامل الشعريّة والجماليّة، خصوصاً أن الأساس في هذا الشكل من الغناء هو «النص» وهذا يؤثر على طبيعة المستمعين والجمهور، هناك نصوص تفترض أن تكون الأغنية موجهة لفئة محددة، قادرة على فك الشيفرات والإحالات المختلفة داخل النص**

ومع الزمن وتطور تجربة الكثيرين، بدأت النصوص تأخذ أشكالاً مختلفة، وأصبحت أغنى و أكثر قدرة على التعبير، ذات الشيء على مستوى الموسيقى المستخدمة، إذ يستفيد الكثيرون وأنا منهم من التراث الموسيقي في المنطقة العربيّة، وإعادة توليفه وإنتاجه بصورة معاصرة تتماشى لا فقط مع الكلام بل مع الذائقة الجديدة التي يسعى الراب إلى بنائها من جهة ومخاطبتها من جهة أخرى.

تداخلت حالياً التصنيفات والتقييمات فيما يخص الراب، هل هو راق أو هابط؟ حقيقة هذه التقسيمات خاوية وسلطويّة، والبعض يرى أنه يتحرك بين "الموسيقى البديلة" وتلك "التجاريّة".

وهنا يبرز الراب أيضاً لا بوصفه قريناً للشعر أو أسلوباً جديداً، بل هو شكل فنيّ مكثف وبعيد عن النمطيّة، ومختلف عن "الرسميّ"، هو يراهن على الموسيقى وصناعتها وفي ذات الوقت على الكلمة وأثرها.

بالعودة للمؤسسة لا يوجد تبنّ رسميّ لكن هناك مصالح، فبعض الجهات بدأت ترى فيها شكلاً جماهيرياً ومعروفاً وقادراً على الجذب، بالتالي تستخدمه في الإعلانات مثلاً، أو الاستعانة بمغني راب يتبنّى أفكار المؤسسة كي يؤدي و ينتج فيما يتوافق معها ومع توجهها.

وهنا تأتي إشكاليّة الراب فالبعض يراه تهديداً للرموز الوطنيّة والتقاليد بل وحتى السلطة نفسها، ما يجعل الكثيرين حذرين في التعامل معه.

> **تعتبر منصات النشر البديلة والرقميّة في الكثير من الأحيان المصدر الرئيسي لشعبية مؤدي الراب وهي التي تجعله مسموعاً ومرئياً للآخرين، كما تؤمّن له وسيلة تواصل مع المؤدين الآخرين، الذين يمكن العمل معهم**

«الجندي المجهول»: «الرابر» في موقع مواجهة مع السلطة

العرب الثقافي
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

ظنّوا أنّي ممسوس

تاريخ ملطخ بالأحداث

مازن المعموري
شاعر عراقي

بداية، الأداء فناً، هو ابتكار غربيّ تقنياً، أما بالنسبة إليّ فهو فضاء معرفي يتجاوز التجنيس، هو مساحة للتفكير في اللحظة المعاشة آنيّاً. في البداية، بلغ التوتر النفسي أشدّه لحظة المجزرة التي حصلت في معسكر سبايكر عام 2014، حيث تم قتل آلاف الجنود على ضفة نهر دجلة في مدينة تكريت، وكان الحدث قد أرهب المجتمع كله، لدرجة أن الناس فكروا جديًا بالهروب الجماعي من العراق، وفي عام 2015 أنجزت عملي الأول المسمى "غيمة على دكة الماء"، وكان لحظة تغير كاملة في الرؤية والتقنية شعريا وثقافيا. حينها أيضاً كتبت مقالا تنظيريا بعنوان "من عطل اللغة إلى بلاغة الجسد".

تلك الانعطافة الحاسمة في مشروعي الشعري ساهمت في تغيير لغتي وتفكيري بالكامل، لأن ما يحدث على أرض الواقع يتفوق كثيراً على النمط الأدبي والسياق العام، ليس في العراق فقط، إنما في العالم العربي النائم والغافل عن حجم المأساة التي يعيشها. كما أن مرحلة رواد شعراء قصيدة النثر قد انتهت، خصوصاً أنهم تأثروا بالنتاج الفرنسي على المستوى التقني للغة والتصور والخيال الفضفاض، ما شكل لحظة عزلة عن كيان مجتمع لا يهتم أو يتابع ما يقوله الشعراء من هذيانات بائدة وسطحية، وأقصد هنا كلاً من أنسي الحاج وأدونيس في الشام وخزعل الماجدي في العراق مع جل احترامي لمنجزهم الشعري.

كان هذا الأداء بمثابة صرخة في سواد المحنة والمجازر، حيث لم تعد اللغة قادرة على توصيل ما أريد وكان الانفعال الذي يقدمه الجسد هو الوحيد القادر على بث لغته الخاصة إلى كل العالم دون استخدام أيّ كلمة.

لأول مرة في العراق والوطن العربي كان الجسد له الحضور الأول في بث خطابه على مستوى فن الشعر. لقد كان خطابا ضد الخطر الذي يمسخ الأجساد العراقية، لقد حوّل الإرهاب والحروب المستمرة الجسد إلى مساحة للحكي والخطابات السياسية، وأيّ خلاف سياسي بين المتصارعين، ستكون نهايته التقطيع والتمثيل بالأجساد العراقية حتى إذا كان العدوّ أجنبيا، وهذا ما حدث منذ عام 2004 وحتى 2014 تقريبا. وهذا الواقع يتيح لي أن أختلف مع الفكرة التي تقول إن تعريض الجسد للخطر في ظل التهديد بالموت يفقد الأداء معناه النقدي، لأن تكريس الحدث يتيح للمشاهد التعامل معه بصفته إعلانا مدفوع الثمن، وهو جوهر الفعل النقدي الذي يقدم لنا موقفا أخلاقيا ضد الواقع في ضوء تحويله إلى قناع قابل للتغيير في ظل سيولة المعلومة واستخدام الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وهو أكبر انتصار حققه الشعر عندما غادر المؤسسات الحكومية والتبعية للسلطة، واختار الحرية في بث خطابه وإعلان الحقيقة بصورة مؤلمة وقبيحة أحيانا، عاكساً قبحنا الذي لا نراه إلا في عيون الغرباء. من هنا، كان الأداء هو الرد الوحيد للوصول إلى قيمة المواجهة بالفعل وليس اللغة المكتوبة. بمعنى أن التحول الكبير يترك كل الإرث اللغوي من فرديناند دي سوسير إلى التفكيك، هو إرث يتعامل مع اللغة حصراً، أو بالأحرى مع النص المكتوب، ليكون الجسد مساحة البلاغة الأكثر حضورا في بث الخطابات اليوم.

تحوي أشكال الأداء التي شاركت فيها وأنجزتها مزيجاً من المسرحة والشعر والسرد، وهذا ليست مستحدثاً لمن عمل ودرس الفنون، فقد درست المسرح كما درست الفن التشكيلي وتخصصت به، وقدمت أيام الدراسة الأكاديمية في التسعينات من القرن العشرين عدة أعمال مسرحية وشاركت في عروض منتدى المسرح في بغداد وقدمت عام 2005 فلماً من بطولتي بعنوان "يوم الاثنين الدامي" من إخراج الفنان محمد موسى، وكان عن تفجير مستوصف في مركز مدينة الحلة وهي المدينة التي أعيش فيها، راح ضحيته مئات الناس، وكان منفذ العملية الإرهابية اسمه محمد البنا من الأردن، وقتها احتفل أهل الإرهابي بمقتل الناس الأبرياء في العراق، وشكل رد فعل كبير من الغضب والكراهية لدى الشعب العراقي.

ترافقت علاقتي مع الجمهور بأحداث الواقع التي تغير قناعاتنا دوما، في الوقت الذي تربينا فيه على الانتماء للقومية العربية طيلة فترة حكم البعث البائد، اكتشفنا عهر النظام وسخافة ما نسميه القومية العربية، كل ما كنا نعرفه ونؤمن به أصبح مجرد وهم وضحك على الذقون. لأول مرة اكتشفنا أن أميركا قد خلعت ملابسنا وأصبحنا عراة بالكامل، لا نملك فكرا ولا ثقافة ولا حضارة ولا مدينة، رغم مرور 100 عام على النهضة العربية والتحديث الاجتماعي والتعليمي تقريبا، إلا أننا لأول مرة نكتشف أنفسنا على حقيقتها، وأعني هنا الشعور الجمعي للمجتمع بالانهيار الكامل أمام الغرب مجددا، ففي الوقت الذي كانت المدارس تربينا على قدرة الشعب على الثورة ومواجهة الغرب، كانت الحقيقة أن كل ذلك كان مجرد هراء، لأن من كان يحكمنا ومعه كل رؤساء الوطن العربي مجرد آلات بيد الغرب والإرادة السياسية العالمية.

هذا الشعور بالإحباط كان سبب مواجهتي للمجتمع كله بحقيقة ما يحدث وأمام الجميع، وأفضل مكان لمواجهة الناس هو الأسواق وساحات تواجدهم المعيشي. كان السؤال الذي يلح عليّ وقتها "لمن أكتب الشعر؟ لي أم للناس؟". وكنت حريصا على مواجهة نفسي في التجريب قبل أي شخص. وكانت ردود أفعال الناس هي كالتالي:1. الاستغراب 2. التوجس 3. الشك 4. الحكم بالجنون 5. التعاطف مع الموضوع، والرد الأخير هو ما أبحث عنه، فقد بكى بعض الناس لأنهم فهموا رسالة النص، وتفاعلوا مع الانفعال العالي لرفض الخراب والانهيار الذي نعيشه. أما البعض الآخر فقد سخر من كل شيء لأنهم يائسون جدا من الواقع العراقي وإمكانية تغييره.

بالنسبة إليّ كان الدرس الأكثر عمقا على المستوى الشعري فنيا وتقنيا، هو أن الخلل يكمن في الشاعر وليس في المتلقي أو الناس عامة، لأن كل فرد يملك نفس المشاعر والأحاسيس التي يملكها الشاعر، أما الشاعر فكثيرا ما يلبس قناع الثعلب ويعتقد أنه أذكى من الناس وهو الفخ الكبير الذي يقع فيه شعراء العربية المعاصرون.

في التجربة الثانية التي قدمتها في شارع المكتبات بالتزامن مع الشاعرة الفرنسية كاثرين سير (Catherine Serre) من مدينتها ليون، وأنا من مدينة الحلة في وقت واحد، وجدت التفاعل الإيجابي أكثر من المرة السابقة، لأنهم عرفوا عدم انتمائي لأي حزب او جهة سياسية،فاطمئن المتلقي لسلامة صاحب الرسالة وهو الأهم بالنسبة إلى الجميع. إذ لا حقيقة لمن ينتمي ولا تفاعل لمن ينافق، والناس هم المختبر والمحيط الذي ينمو فيه الخطاب ويتجذر في النفوس، ولو كان معي شاعر واحد يعمل بنفس الطريقة لتغير المجتمع وتغيرت الإرادة الجماعية بالتواصل والاستمرار والضغط.

ما فعلته السلطات المتناحرة أو من يملكون قوة السيطرة على الأجساد، يشابه طقساً دينياً شكّل الجسد العراقي فيه الأضحية أو القربان، وفكك المنظومة الاجتماعية وحوّلها إلى كيان عشائري في ضوء عنوان "الطائفة"، وهو كيان وهمي، القصد منه أن يلوذ الجسد داخله لينعم بالأمن الافتراضي في الوقت الذي يؤهله هذا الحصن ليكون أضحية مستعدة للنحر في أيما وقت تريده السلطة الدينية. وفي الأداء المعنون "بانتظار الضوء" كان جسدي معلقا مع بقية اللحوم المعروضة للسلخ في محل القصاب أو المسلخ، والألم هنا لا يخص الجسد وحده بل الفرد في معنى وقيمة حياته. ذلك الاستسلام البغيض للعدم، وأنت على حافة كل شيء بين التعايش مع الألم أو مقاومته، أن تكون مشهدا يتوارثه المحيط الاجتماعي بصفته قدرا سياسيا، بمعنى الإحساس الجمعي للقبول بالمهانة المتوارثة على يد الطغاة والاستعمارات المتوالية عبر التاريخ، وهي ظاهرة يفهمها الإنسان العراقي وحده، حيث يصبح العذاب والألم جوهرا متلازماً وجمعيا.

الإحساس بالألم أصبح جمعيا، وهو ما أعطى جسدي الشخصي حضوراً سياسيا، بصفته خطابا مضادا لظاهرة التدمير اليومي للأجساد العراقية، وهنا أستطيع أن أقول أن الأداء امتد إلى كل مفاصل حياتي اليومية، ولم أشعر أنني أفصل بين الأداء بصفته فناً يتم التحضير له كأيّ عمل مسرحي وبين مجريات حياتي التي أمارسها كنظام علاماتي باث لخطابات مختلفة، لذلك كانت آلية "العزل" أحد مخرجات الاختلاف على المستوى الاجتماعي والسياسي، لأن ما أفعله لا يمكن فهمه من قبل الآخرين، كان البعض يعتقد أنني أعاني من حالات نفسية أو أنني ممسوس، في ظل مجتمع مغلق وغير واع بمجريات التغيرات السوسيو-ثقافيّة الحاصلة بعد الدخول الأميركي، ليس في العراق وحسب، وإنما في منطقة الشرق الأوسط كله.

المساحات الخالية والأثرية هي غربة الشاعر في العالم، بدأت الفكرة مع القراءة الشعريّة الأولى في المقابر عام 2015، حيث فكرت في أن جمهور الشاعر ميت، ولا أحد يستقبل خطابه، الشاعر في الوطن العربي يفقد أهم حلقة في مفهوم المثلث السيميائي (المؤلف-النص-المتلقي) المعادلة ناقصة دائما في الشرق. ليس هناك متلقّ كما هو الحال في الغرب أو أيّ مكان في العالم الحديث. المرجعيات والخطوط الأساسية للخطاب ليست فردية، بل إنها ما زالت تنتمي للماضي، حيث لا حاضر ولا مستقبل، لأن الجميع يؤمن أن الحقيقة تكمن في الماضي ولا شيء مستحدثا ذو قيمة.

الشاعر في الشرق فقد القيمة الاجتماعية للأدب. بمعنى أنك لا تستطيع أن تقنع ابنك أو ابنتك بقيمة الأدب والشعر مقابل الطبيب أو السياسي أو المجرم أو الحرامي أو الانتهازي.. الخ. على المستوى الفني تصبح المساحات الفارغة علامة لتأويل ما يحدث. الصراخ والقول واللغة لا تعني شيئا إلا في حدود متلق خاص ومتابع، ومنه إلى كل من يملك تلك الخصوصية في الإحساس. وهنا يكون الجسد مرة أخرى هو الحل في تمثيل ما لا تستطيع اللغة قوله أو إيصاله إلى الآخر المختلف. وهو ما حصل في مشروع "قرص الحواس" فالجسد لا يتصل بالعالم إلا في ضوء حواسه التي تقدم له المعرفة بالمحيط المادي والثقافي والحسي.

هل يكفي هذا لوصف الواقع؟ أعتقد لا.. لكنني هنا أتناغم مع انفعالي فقط، لأقول ما لم أستطع قوله في الأعمال السابقة. لكن المكان المعزول والأثري خاصة، مثل بابل وبور سيبا وغيرها من الأماكن، تستدعي الهوية والثقافة الأولى، في مقابل ما حصل ويحصل دائما. العراق بصفته مكان التنوع الثقافي والإثني والاختلاف عبر التاريخ منذ البدء وحتى الآن، لا يمكن اختزاله إلى نمطين ثقافيين هما (شيعي-سني) وتفريغ محتواه من التأصيل والمحو المستمر لكينونته الأولى والفعلية، كونه الحاضنة الأساسية لانطلاق حركة التاريخ والمنجزات البشرية الأولى، شئنا ذلك أم أبينا، هذا المكان لا يموت ما دامت الشواخص الأولى موجودة وفاعلة ومازالت تلك الأماكن تملك طاقة عالية على التأثير في المحيط. وهو ما فعله تنظيم داعش الإرهابي عندما حطم آثار الموصل من أجل تفتيت المكان ومحوه.

في الغالب يظهر الشاعر بملابس رسمية مع منبر عال ومايكرفون في قاعة تضج بالمدعوين من جهة رسمية أو منظمة ثقافية ذات سياق مؤدلج ومعروف مسبقا، لكن أن يظهر شاعر عار وسط سيارة مفخخة أو وسط حقل ألغام، فهو اختراق لكل تلك الأعراف وشطط جنوني لا يقبل الشك

يتعامل الفنانون مع الأداء بصفته جزءا من العرض المسرحي أو أنه فن مسرحي خالص، لذلك غالبا ما صُنّفتْ أعمالنا على أنها مسرح شارع. والحقيقة فإن الوسط الثقافي مشغول بمسألة التصنيف، وهذه أحد مشاكل التنافر بيني وبينهم. الأداء حر في التعامل مع كل الفنون وبالتالي فهو متنافذ وضد الحدود المدرسية للتصنيف. ليس الشكل هو ما يهمني في العمل بقدر اهتمامي بالرسالة التي ينتجها النص الشعري، فأنا قبل كل شيء شاعر أدائي وهذا الفعل مختلف وجديد كليا على الساحة العربية، لدرجة أنني انتهكت كل الأعراف والأنماط لصورة الشاعر الراسخة في العقل العربي.

في الغالب يظهر الشاعر بملابس رسمية مع منبر عال ومايكرفون في قاعة تضج بالمدعوين من جهة رسمية أو منظمة ثقافية ذات سياق مؤدلج ومعروف مسبقا، لكن أن يظهر شاعر عار وسط سيارة مفخخة أو وسط حقل ألغام، فهو اختراق لكل تلك الأعراف وشطط جنوني لا يقبل الشك. إنه أعلى مراحل الاختلاف والريادة في تهجين الفنون، لقد رأيت هذا في عيون الآخرين وردود أفعالهم الرافضة بخجل أحيانا أو بشكل معلن، ولم يكن هذا من أجل لفت النظر أو جلب الاهتمام الإعلامي.

بلاغة الجسد

تنشر مقالات الملف بالإتفاق مع المجلة الشهرية اللندنية «الجديد» والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني.

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

خطوة في صباح الغابة وأخرى في ليل المدينة

دفتر يوميات شاعر بحثاً عن لطائف الفكر وجمال الأشياء في مواجهة جحيم العالم

سيف الرحبي
شاعر من عمان

اللوحة للفنان جبران هدايا

كان الليل ينأى عن مريديه الأثيرين باتجاه الأقاصي، والهاويات التي لا يلملم قطعانَه السود إلا في أنحائها ليأخذ غفوة قبل أن ينتشر في أرجاء الكواكب والمجرات والغيوب.

ليل قطبي البرودة والمزاج، وآخر صحراوي الهاجرة أجردَ بزحفه الشرس على الكائنات والأشياء والعناصر.

ليل المتصوفة والعشاق يودعونه سرهم بعيدا عن الرقباء والحاسدين. ليل الغنوصيين، والأقوام التي كانت تقدّس الظلام والليل وتعبد الجبال، لأمواج الظلام التي تضطرم وتصخب بغموض أسرارها، في أعماقها الصخريّة العصيّة حتى على الزمان...

الليل نبع الشعر والفلسفة والتأمل في أوجه الخوافي والحقائق الهاربة خلف وعول الغيب، والعناصر والحيوات وقد لفّها الظلام بردائه العميق.

ليل ينزلق بين الصخور الجاثمة والوديان الموحشة بحيواتها النافرة كالجواهر والأسرار الشريدة بين الأزمنة والعصور.

ليل لا يمكن سبر أغواره وطبقاته بمجسّات العلم والهندسة ولا يمكن تشريحه وتهديمه كالأجساد والأمكنة والمواد الأخرى. ولا يمكن تمزيق تماسكه الصلب من فرط تناغمه بطاقة النيران والقنابل والمتفجرات. يمضي وهو محصّن إزاءَ أدوات البشر التدميريّة. إنه الأزل وقد تجسّد في صحرائه الأبديّة.

أم تحمل طفلها بحنان طاغ في ليل المقهى المضاء بالنيون. المقهى الواقع أمام محطة القطار، مقهى المسافرين والغرباء والمقيمين. جلستُ فيه منذ عقود وها أنت في اللحظة بنفس الكراسي والطاولات والردهات المتلألئة باللوحات والألوان والأشكال المتداخلة كأرواح مريديه الذين رحلوا وفرقتهم أنواء الحياة وربما جرفهم الموت والمصائر والمسافات. كنا حين الليل أمواجَ أشباحه وبرده القارس، نلجأ إلى المقهى، يلجأ الغرباء إلى المقاهي ومن لا يمتلك حدا أدنى من المال يلجأ إلى محطات المترو والقطار، لينال دفء الظلام في تلك الأغوار والأحشاء الأرضية التي تمتلئ بالصفير والزئير، بالنحيب والأحلام المحطمة.

عابرو المدن

حفظنا مقاهي المدن والبلدات في القارات المختلفة، بمداخلها الأمامية والخلفية وبمخارجها، ردهاتها المعتمة ونصف المضاءة المنعزلة عن الجمْع الصاخب، للراغب في النأي والكتابة والتأمل، أو القرفان الذي لا يريد الاختلاط والحديث... مقاهي تتناسل في الواقع والخيال في اليقظة والنوم، راقية ملفّعة بنعم الحضارة والمعمار البديع المشرق، والكابية البائسة مثل المكان الذي قذفته الصدفة فيه، من مقهى (زهرة الدقي) وريش وعلي بابا، في القاهرة إلى مقهى اللوتس في الجزائر، وباليما في الرباط، مقهى الروضة والنافورة وساحة النجمة في الشام. الهورس شو والمودكا والوينبي في بيروت. مقاهي شارع أبي نواس.. حتى كلني والبيري جوردين وغيرها الكثير الكثير. كنا نعرفها أكثر من معرفة غرفنا الغارقة في البؤس والغموض، والعابرة، التي لا نغشاها إلا للنوم والراحة بعد أن يهدنا تعب المدينة واللهاث ونكون على مشارف الانهيار. لتكون تلك الهجعَة، التجديد الضروري الحتمي، لنبدأ دورة اليوم الثاني بوتيرة أقوى وأكثر حيوية من أجل هدف ما أو من غيره، لا فرق، فدورة الحياة تواصل اندفاعها العبثي والجمالي على رغم ضيق ما في اليد وضآلة المورد إن وُجد فهو متقطع وغير قار، سيكون الإفلاس طيرك الأليف. والتضامن بين الغرباء مازال موجودا تقتضيه طبيعة هذا النوع من الحياة المترحلة.

يحدث أحيانا أن تنعدم أي فرصة ماديّة تؤهل لشرب فنجان قهوة، فنظلّ نحوم على المقاهي والمطاعم والمحلات. من يمتلك حس المغامرة في الاختراق والجلوس والسرقة البريئة سيقضي يومه وليله، اعتياديا مطمئنا، وإلا فليطوي على عوز وجوع، حتى الماء يعز أحيانا في البلاد المتحضّرة، حيث إن دخول الحمام على الأرجح له تسعيرته الخاصة.

صديق عزيز حين تداهمه هذه الواقعة من الإفلاس وينفض من حوله هباء في أفق ليل المدينة الشتوي العنيف، تنفجر فكرة في رأسه، إلحاح ضرورة الحياة ومواصلتها حيث يدخل القطار المتجه إلى بلجيكا على سبيل المثال. وبما أنه يمتلك مراسا طويلا وخبرة قاسية في التحايل على المواقف، من تذاكر وغيرها، يستمر في القطار حتى يبلغ الحدود المرسومة بين البلدين ويعود أدراجه إلى المدينة نائما مرتاحا حليق الذقن لامع الحذاء، بحيث أنه حين يدلف المقهى في الصباح، كأنما نام في منزل وثير مترف، هو الذي لا يعرف منزلا أو غرفة يأوي إليها، في ذلك الزمان، عراء المدينة وقلوب الأصدقاء، كانا ملاذه ومسكنه.

الحقيقة العارية

الليل الممطر بغزارة وسخاء كأنما السماء تسفح دموع البشر والحيوان منذ وجودهما على هذا الكوكب. ليل ممطر، ناعم رهيف ومتوعد مخيف. السكان يرفعون المظلات بألوان وأشكال مختلفة، السكان المتدفقون إلى المقاهي والمطاعم والساحات، بعد قليل يندفعون إلى البيوت والملاذات. المظلات ومارة تجري مسرعة، ثمة مشهد في أحد أفلام هيتشكوك، لموكب مظلات متفجر بالهواجس والريبة.

الأشجار العارية في الحدائق والغابات والشوارع الكبيرة والأزقة تستقبل مدرار المطر بفرح غامض يلفّعه حزن الشتاء الذي سيخلي المكان بعد قليل لقدوم الربيع والنماء المؤرق والاخضرار، أشجار الشتاء والخريف لا تخبئ شيئا إنها الحقيقة عارية في مغيب المطر والصحو.. الحقيقة المتشظية إلى أوراق ساقطة وأغصان وجذوع عارية تواجه المطر والريح العاصفة والمجهول. مجهول الليل القادم الذي بدأت طلائع أعاصيره في الصفير كنذير يترى ويتقدّم غامرا الأنهار والشوارع والعمران حتى مخابئ البشر في الحانات والأزقة والمغاور لا تنجو من الوعيد والخوف والريبة.

ليل المطر والعاصفة والبشر الذين تتحول أفراحهم إلى تكهنات ومخاوف وربما انهيارات.

ليل بربري الوجهة والمزاج..

شاحنات الليل

ليل الشاحنات، سائقو الشاحنات في تلاطم المسافات المظلمة الوعرة الموحشة أيما وحشة، وسط الخطر الداهم من كل الجهات يوجهون كتل الحديد والعجلات الضخمة، صوب الوجهة البعيدة، ناقلين البضائع والمنافع التي يتبادلها البشر وفق الحاجة والطلب وسط الزوابع المتنقلة التي قد تتحول إلى عواصف مدارية وأعاصير يسوقون الشاحنات. ثمة عطل هنا أو انفجار عجلة وتوقف محرك، وسط المطر العاصف والغبار. وحين تشتد الوحشة الليلية بالسائقين يتبادلون الأحاديث البذيئة والنكات من النوافذ والأبواب، أو يفتحون الراديو على أهازيج وأغان شعبية حفظوها منذ الصبا والطفولة، ويأخذون في ترديدها وترجيعها بنشوة وعذوبة تبدد عزلة الليل الانتحارية الدامية. يحدقون في صور العائلة والأطفال التي علقوها أمامهم كتعويذة تقيهم مفاجآت الأخطار والحوادث، وتكبح جموحهم إلى السرعة وتجاوز حدود السياقة اللائقة في مثل هذه الظروف. ربما مروا في طريقهم على مجازر وحوادث وحشية ارتطاما وانهيارا لزملاء عرفوهم عن قرب أو لم يعرفوهم. إنها حرب السائقين والآلة الجامحة الثقيلة والطرقات الطويلة. من أجل كسب الرزق والعيش الكريم وتربية الأطفال.

ليل السجناء والمجلودين تحملهم شاحنات الليل الشديد القسوة والوحدة والظلمة الكاسرة.

لا يعرفون وجهتهم وإلى أين يذهب بهم جلادوهم، معصوبو العيون والوجوه، ترتجف أعضاؤهم وترتعش، كما ترتعش أفخاذ الذبيحة بعد فصل عنقها، يظل يرتجف لحمُها المُدمى، أو مثل رقصة الديك المذبوح بعد ذبحه.

ليل المحكومين بالإعدام، في هذه الفسحة المحشورة في شاحنات الليل والألم والموت، هل يسعفهم الزمن والذاكرة في استحضار شيء من ماض مضى وانقرض، عن طفولة لم تكن لأحد، عن هنيهة حب غارق في السديم والضباب.

هل تعبرهم رغبة في شيء ما من هذه الحياة الآفلة، هل يودون الاعتراف أو لقاء كائن بعينه، صلة رحم أو صداقة ماض مشترك أو صاحب النفوذ لينفجروا صرخةَ مظلومين تهز مجلس الحاكم وتهز عرش الكون.

الشاحنات تمخر عُباب الظلمة الوحشية وتحث الخطى والعجلات نحو وجهتها المجهولة الراعبة.

في الزمن الماضي في تلك البلاد النائية في الذاكرة والزمن والتاريخ، كانت هناك بضع شاحنات تمخر ليل الواحات الجبلية والبلدات المبعثرة بين الجبال والتلال والمنعطفات الكهفية بظلامها الغزير، ظلامها المحتدم كأنه تجمع أجيال من الظلمات تكدّست، وانتشرت وتراكمت في هذه البقاع التي نسيتها العناية ونسيها الزمان.

شاحنات قليلة تحمل بضائع المؤونة لسد رمق السكان الموزعين في ذلك السديم الوحشي، وتحمل البشر على ظهرها المحدودب بفعل الحمولة الثقيلة، حيث أبسط حركة توقف مفاجئة، كأن يعترض سيرها حمار، أو جمل أو أي حيوان تائه في تلك البرية الشاسعة المقفرة، يفر الركاب من أماكنهم وترتطم الأجساد ويعلو الصراخ، وإذا لم يسقط أحد منهم فوق الصخور المسنّنة، فلا بد من رضوض وجروح وارتجاجات يصنعها الخوف أكثر من الارتطام. ولأن الصمت الجنائزي وسط ذلك الليل المحتشد بالهوام والأشباح، يسمع أهل القرى والواحات من البشر والحيوانات، صوت الشاحنة ويصغون السمع برهافة وترقب باحثين عن مصدره الموزع في الأرجاء وبين الصخور العاتية، حتى ينبلج ضوء خافت من جهة ما، يقترب ويتعالى بسطوعه، كما يتعالى صوت الشاحنة الذي يشبه الحنين المخنوق.

> **أشجار الشتاء والخريف لا تخبئ شيئا إنها الحقيقة عارية في مغيب المطر والصحو.. الحقيقة المتشظية إلى أوراق ساقطة وأغصان وجذوع عارية تواجه المطر والريح العاصفة والمجهول**

كان ذلك في بغداد

في إحدى حانات بغداد، حين ينزل الليل بكلكله، يدلف (س) إلى الركن المعتم من المكان الصاخب بالويترية وقناني العرق والأقداح مختلطا بغناء أم كلثوم وناظم الغزالي وزهور حسين ذلك النواح الكربلائي الذي لا ينقطع عبر الزمن والفناء. أم كلثوم على المحل، في صورة جداريّة تصافح عبر (الفوتومونتاج) صاحب الحانة من فرط إعجابه بعالمها الشاسع.

المهم أن (س) يجلس في مقعده المعهود يجرع العرق المسيّح من غير كلل ولا وقفات، انقضاض جمل برّحته الهاجرة والعطش على نبع ماء في قلب الصحراء... وحين يأزف وقت إغلاق المحل لأبوابه التي يستأنف فتحها في اليوم التالي، ويرحل آخر السركجيّة، يبقى (س) من غير حراك في مقعده الذي يشبه الكنبة، ثم يتهاوى بقامته على طولها وشخيره يغمر الحانة ويتسلل إلى أرجاء الحارة البغدادية وقد غرقت في ليل نومها العميق. هكذا حتى اليوم التالي ويأتي الويترية لإيقاظه، يأخذ كؤوس التوازن التي يسميها العراقيون (كسر خماريّة) والمغاربة (تحيّد التمن). ومن ثم يذهب إلى شأنه حتى ينزل المساء بمرساته الثقيلة ويعاود (س) سيرته اليومية التي اعتادها واعتاد عليها آخرون.

طقس ملحمي

كتائب الليل الدامس تتوافد على المدن تحمل أنباء الأعاصير والجوائح القادمة.. ألهذا شبّه (الحديث الشريف) الفتن بقطع الليل المظلم التي تفترس في طريقها كل إنسان وطفل وشجرة وعلامة حياة.

الفتن والحروب حين تنزل على الأقوام نزول الصواعق الليلية الماحقة، تكون أعظم ابتلاء وبشاعة على بني البشر، على القيَم الإنسانية والجمالية والأخلاقية. كما هو موجود على أرض العرب خاصة، حيث تفترس الوحوش الهمجية المطلقة السراح والشر موغلة في ليل الانحطاط والقذارة والغدر.

الجرائم دائما في الأدب والنص الشعبي والخرافة، يرتبط ارتكابها بالليل والظلمة التي تحمي وتموه المجرم والجريمة، تحت جنح الليل تسري كتائب القتل والإبادة، وتحت جنْحه تُحاك الدسائس والمؤامرات حتى حين تكون الجريمة أو الحرب التي هي بلا ريب ذروة الجرائم وخلاصاتها المكثفة، تحت جنح النهار وفي ضوئه الساطع، يستحيل إلى ليل وظلام وغبار كقول بشار بن برد:

(كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبُه)

في هذا الطقس الملحمي المظلم للجرائم والفتن، التي تسوّقها أنظمتها وعصاباتها ينغمس فيه الجميع قطعانا إلى الذبح بصناعة أيديها وأدواتها وذكائها ذكاء المجرم في التخطيط المحكم لإنجاز أفعاله بأقصى درجات الضراوة والخسّة.

في مثل هذا المناخ المدلهم، يبقى أفراد معدودون لا يصغون إلا إلى ذلك الانبجاس الخفي لحياة غير مرئية، لتفتح زهرة في ليل نشوتها السرية، لغناء طائر يعبر المضيق، لأرواح وحيدة تتنزه في الحدائق والكتب، لامرأة عاشقة تنحني أمام صورة حبها الراحل، لغيمة تُنزل ماءَها ليطفئ عطش الحقول.

خواطر الحديقة

كان على طاولة فطور الصباح، يفكر مع تصاعد روائح القهوة الزكية المتناغمة على نحو هارموني مدهش مع غناء وحركة الجرسونة الإسبانية الفتيّة، ألا يذهب هذا اليوم إلى الحديقة الكبيرة التي تشبه الغابة، وأن يأخذ الاتجاه العكسي نحو حديقة (الهايكو) الصغيرة المكثفة التي تتوسطها نافورة مزنرة بتمثال (فينوس) آلهة الجمال عند الإغريق، وأن يذهب باتجاه النهر القريب.. لكنه وهو يخطو خارج النزل، وجد نفسه محمولا للسير باتجاه الحديقة الكبيرة، محمولا بفعل قوة غامضة تتمثل في رجليه اللتين تقودانه عكس إرادته .... ها هي وظيفة أخرى أكثر حسما تضطلع بها الرجلان. ليس حمل هذا الجسد الذي صدعته السنوات والذكريات فحسب، بل التفكير وأخذ المبادرة أو خطفها من العضو المختص منذ بداية دبيب الكائن البشري على الأرض.

> **الفتن والحروب حين تنزل على الأقوام نزول الصواعق الليلية الماحقة، تكون أعظم ابتلاء وبشاعة على بني البشر، على القيَم الإنسانية والجمالية والأخلاقية. كما هو موجود على أرض العرب خاصة، حيث تفترس الوحوش الهمجية المطلقة السراح والشر موغلة في ليل الانحطاط والقذارة والغدر**

ينشر بالاتفاق مع الفصلية الأدبية «نزوى» والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

الزي التقليدي حاضر في الجولة السياحية

المرشد السياحي سفير بلاده بلا أوراق اعتماد

التاريخ واللغات لا يصنعان مرشدا ناجحا إذا لم يتقن فنون القص والإلقاء والتمثيل

من يأخذ بيد سائح نزل إلى بلاد لا يعرف لغتها ولا ثناياها ولا أبوابها، لا يعرف عاداتها وطباع أهلها؟ إنه المرشد السياحي الذي يعرف كيف يستقبل الضيف، ويفسحه ويطلعه على التفاصيل التي تسعد السائح الذي قدم ليعيش مع شعب ربما قرأ عنه شيئا لكن لا يعرف عنه أشياء، هذه المهمة يقوم بها المرشد، وهي ليست سهلة كما يظن البعض.

لطيف جابالله
صحافي تونسي

تونس - يستطيع "العم غوغل" أن يقدم للسائح معلومات شافية ضافية عن أقدم المواقع الأثرية في أي مدينة عربية، سواء كانت في الرباط، أو القيروان أو إربد، وحتى قلعة حلب، وله من المعلومات أيضا ما يجعلك تعرف الكثير عن أفضل الأماكن القديمة في السعودية أو سلطنة عمان، لكن السائح لا يريد أن يكون منضبطا مثل تلميذ نجيب يتلقى درسا تاريخيا مملا، يريد أن يسمع حكايات وقصص وأساطير تشده إلى المكان الذي يزوره، ولمَ لا تتخلل تلك الزيارة دعابة أو مزحة شعبية من البلد الذي يزوره، لان النوادر والفكاهة تعبّر عن روح الشعوب.

ومع تقدم التكنولوجيا، وظهور "غوغل ماب"، وتطور التطبيقات التي تُعنى بالإرشاد السياحي، يمكن أن يصل السائح حيث يريد بتوجيهات صوتية باللغة التي يفهم، مع شرح وتوضيح حول المسافة والتوقيت وحتى إشارات المرور، كما أصبحت التطبيقات التكنولوجية تلعب دور الدليل في المتاحف والمسارح والمعابد التاريخية، شعور السائح بعد أن يصل إلى حيث يريد بفضل هذه المساعدات التكنولوجية، سيكون مثل من كان تائها بلا دليل، وهو أمر لا يسعد من هو في إجازة.

التكنولوجيا في الرحلة السياحية تفي بالغرض، لكن الرحلة ستكون بلا روح، أشبه برحلة افتراضية في عالم الإنترنت، حيث يمكن للسائح أن يزور مسرح الجم في تونس، أو مدينة تدمر في سوريا وهو في بيته يجلس على أريكة، هذا ممكن جدا في عصرنا اليوم، ستكون رحلة بلا نكهة كالتي يأخذنا إليها الدليل السياحي على عين المكان، يروي لنا الحكايات والأسرار ويضيف عليها بهارات.. نعم للحكايات بهارات لا يعرفها إلا من خبر فن القص، كتب التاريخ لا تحفظ أسرار البلاد كما يحفظها ناسها، لذلك يسمي المرشدون السياحيون أنفسهم بالسفراء غير المعتمدين، فهم حقا يقدمون وجه البلاد الحقيقي للسائح، يحدثونه عن التاريخ والأبطال، أحيانا يبعثون الروح في حيطان ضخمة كما في بترا المدينة الوردية في الأردن دون أن يكونوا مملين أو ثقيلي الظل.

المرشد ممثل بارع

تبدو مهنة المرشد السياحي غير سهلة، مهمة تستدعي معرفة دقيقة بالأحداث التاريخية وحضورا ذهنيا دائما، وروح الدعابة هي بهارات الرحلة السياحية، وإلا أصبح المرشد أستاذ تاريخ أمام جمع من التلاميذ الكسالى يسرد أحداثا يحفظها عن ظهر قلب، بل يمكن أن يقرأها من كتاب ويريح نفسه من عناء الكلام.

ويحتاج المرشد السياحي في مهنته إلى اللغات، فلا يمكن أن يروي حكايات بلغة عربية فصيحة لأجنبي قادم من بريطانيا أو ألمانيا، كما لا يمكنه أن يروي نفس القصص لسائح عربي بلهجة مغربية أو تونسية، فلن يفهمه رغم أن الألفاظ والجمل عربية.

ويحتاج المرشد أيضا، إلى إلمام مفصل بتاريخ بلاده ومعرفة دقيقة بالمواقع الأثرية ومن بناها ومعمارها والأحداث التاريخية التي مرت بها، وعليه متابعة القراءة والمطالعة لتحيين معلوماته وتجديدها.

كل هذا التكوين يجعله يحصل على شهادة مرشد سياحي بعد إجراء الامتحان والإجابة على الأسئلة الكتابية، لكن هل يجعل هذا منه مرشدا ناجحا مع سياح أتوا للاستمتاع أكثر من تقبل المعلومات الجافة حول المزارات التي يمرون منها؟ حتما لا.

يحتاج المرشد إلى عشق التاريخ، وليس دراسته فقط، كما يحتاج إلى فن سرد القصص بأسلوب شيق، فهو إذن راو وليس مدرس تاريخ، والراوي يجب أن تكون له القدرة على إقناع من يسمعه،، فحين يزور مسجدا أو كنيسة مع فريق من الفرنسيين، لا بد أن تكون له القدرة على بث شعور قدسية ذلك المكان في نفس السائح، سيكون مثل واعظ ديني أو قديس، وهذا يعني أن المرشد السياحي لا بد أن يكون ممثلا فذا يستطيع أن يبعث في الأماكن الإحساس، يحتاج السائح أن يعيش عظمة جدران المسارح والمدن التاريخية التي يزورها، صوت المرشد السياحي وتغير نبراته يسافر بالسائح في التاريخ، تاريخ المكان الذي هو فيه الآن، تماما كما يفعل الراوي حين سرده للسيرة الهلالية أو لقصة عنترة وعبلة، قصة الحب الممزوجة بالشجاعة والشهامة، فالقراءة وحدها لا توصل هذه المشاعر.

المعابد والمواقع التاريخية تبعث في زائرها الرهبة، لكن المعلومات التي يقدمها المرشد السياحي بطريقة إلقائه تجعل تلك الرهبة لها مبررها التاريخي والمكان حقا كان عظيما أكثر حتى مما كان يتصور السائح، لأنه سيمده بالمعلومة التي تصلح لذلك الموقف والوقت، يجب أن يتخيل السائح زنوبيا وهي في موكبها المهيب في تدمر، وأن حنبعل شامخ كأعمدة قرطاج في الضاحية الشمالية من العاصمة التونسية.

زيارة الأسواق الشعبية أيضا تختلف عن زيارة المواقع المقدسة القديمة والبلاطات السياسية والمسارح، يحتاج المرشد أن يكون لبقا، له من روح الدعابة ما يجعل السائح يقترب من الناس في تلك الأزقة الضيقة، يسلم على هذا التاجر ويجامل الآخر، لأن التجار مزعجون بإلحاحهم على زبائنهم لشراء البضاعة، وعلى المرشد أن يكون حاضر الذكاء يجيب على أسئلة قد لا يطرحها السائح، لكنها تدور بخلده.

السياح يريدون أن يعرفوا طباع الشعب الذي يزورون، فهم لا يشاهدون عادل إمام أو دريد لحام أو لمين النهدي ليعرفوا أن الشعب المصري أو السوري أو السوداني شعوب مرحة، لذلك على المرشد السياحي أن يكون ممثلا كوميديا لبقا مرحا، لأنه هو من يستقبل ضيوف البلاد من السياح، وهو من يودعهم أيضا، والضيف نستقبله بالبشاشة والترحاب.

> يحتاج المرشد السياحي إلى فن سرد القصص التاريخية بأسلوب شيق وروح مرحة، يجب أن تكون له القدرة على إقناع من يسمعه

المحتالون من المرشدين

يفضل العاملون في القطاع السياحي أن يكون المرشد السياحي من أهل البلد، وتمنع بعض الدول على الأجانب أن يعملوا أدلاء سياحيين، رغم أن بعض الوكالات أصبحت تستخدم المترجمين كمرشدين سياحيين، وهم وإن درسوا تاريخ البلاد وجغرافية المواقع التاريخية، فلن يعرفوا روح التاريخ والأماكن، فهم لا ينتمون إليهما، غير قادرين على نقل النكتة والمزحة الشعبية كما يفعل ابن البلد الذي يعمل دليلا دون أن يبحث لها عن مرادف في اللغة الأجنبية.

هذا ما جعل شباب دول الخليج ينخرطون في هذه المهنة بعد أن كانوا يعتبرونها مهنة وضيعة، لكنهم سرعان ما اكتشفوا الدور الذي يمكنهم أن يلعبوه في التعريف بوطنهم وتراثهم ونمط حياة أجدادهم البسيط والجميل.

صار هناك مولعون بالتاريخ واللغات وفن التواصل من الشباب والبنات في السعودية والإمارات وسلطنة عمان والبحرين يعملون كمرشدين سياحيين، وصارت لهم خبرة في المجال، إضافة إلى بعض المعارف الأيكولوجية، فبلدانهم غنية بالمسارات السياحية البيئية.

ويجمع المشتغلون كمرشدين سياحيين أن هذه المهنة واجب ممتع حقا، واجب في نقل المعلومة الصحيحة، والمتعة في نقل المشاعر الحقيقية والمرحة لشعب إلى السياح الباحثين عن المختلف والطريف، لكن ما يفسدها هو النصب والاحتيال والتطفل، حيث يوجد من المرشدين من يكون ضعيف النفس فيحتال على السياح الذين يثقون فيه، وهناك من يتطفل على هذه المهنة فلا يعرف أخلاقها، ومبادئها، ولا يعرف أنه بذلك يشوّه سمعة البلد والشعب إذا ما زوّر بعض الحقائق التاريخية أو من يستغل معرفته باللغة ليحتال على ضيوف البلاد.

حيل هؤلاء كثيرة ومتنوعة، تبدأ باستغلال مشاعر السائح فيستثير شفقته، والحيل كثيرة لا تنتهي.

هؤلاء المحتالون يتكاثرون رغم الردع القانوني في كل الدول العربية بتجريم أفعالهم، بالمقابل ما زال هذا القطاع يعاني من التهميش حيث يزداد الاقبال عليهم في المواسم السياحية، ويستغنى عنهم في مواسم الركودن كفصل الشتاء.

أخبار سياحية من إيطاليا

روما تضيق ذرعا بفوضى السياح

روما – يشكو سكان العاصمة روما منذ سنوات من فوضى الحافلات السياحية التي تحمل وفود الزائرين لكي يتعرفوا على معالم المدينة الأثرية، وما ينتج عن ذلك من اختناقات مرورية، مما اضطر العاصمة لاتخاذ تدابير صارمة، وبناء عليه لم يعد مسموحا منذ مطلع العام الجاري، للحافلات السياحية قطع وسط العاصمة روما أو أحيائها القديمة، ولكي تقوم بنقل السياح، يتعين عليها أن تتركهم عند نقاط محددة خارج المنطقة المحظور عليهم السير بها.

وتقول نينا جاشكه، من الرابطة الألمانية لشركات الحافلات، حيث ترى جاشكه أن الأمر الأكثر أهمية هو إدارة تدفق السياح الضخم بشكل صحيح.

وتضيف "عندما يتم استبعاد الحافلات، فعادة ما ينسى التفكير في البدائل".

البركان يطرد السياح في سترومبولي

سترومبولي - تسببت ثورة بركان في جزيرة سترومبولي الإيطالية، في مقتل سائح وإصابة آخرين وقامت السلطات بإخلاء الجزيرة من السياح المذعورين بعد تصاعد الأدخنة من البركان. وتوجد في سترومبولي منازل عدد من الأثرياء والمشاهير.

وقالت ميشيلا فافوريتو، التي تعمل في فندق بالجزيرة "رأينا الانفجار من الفندق. كان هناك هدير بصوت عال".

وأضافت "لقد سددنا آذاننا وبعد ذلك اجتاحت المنطقة سحابة من الرماد. السماء كلها مليئة بالرماد، إنها سحابة كبيرة إلى حد ما".

وأفادت الأنباء بأن السياح قد هربوا إلى البحر بعد رؤية الرماد يتصاعد من البركان. والجزيرة هي موقع شهير حيث توجد منازل الأثرياء والمشاهير.

الاكتظاظ يفقد فينيسيا سحرها

فينيسيا - عندما اصطدمت سفينة سياحية ضخمة الشهر الماضي بقارب صغير يعج بالسياح، أسرعت جمعيات مدنية وعدد من سكان المدينة الساحرة بالتذكير بما رددوه على مدار سنوات، وهو أن القنوات المائية والبحيرات صغيرة للغاية ومزدحمة لدرجة لا تسمح باستيعاب السفن السياحية العملاقة التي تظهر يوميا في موسم الذروة.

ويقول كلاوديو فيرنييه، رئيس "اتحاد ساحة سان ماركو للأعمال"، والذي يدير أيضا متجرا لبيع الآيس كريم في الساحة، إن الحادث كان "نتيجة مباشرة لسنوات من الخيارات باسم المال"، مضيفا أن "المدينة تعاني من اكتظاظ سياحي... ولا يمكن للخدمات في المدينة أن تواكب الطلب المتزايد على السياحة الرخيصة سريعة الإيقاع".

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

الذكاء الاصطناعي يفتح ملايين الجبهات لحروب المستقبل

مخاطر اجتماع الذكاء الاصطناعي والهجمات الإلكترونية والأسلحة النووية

أقبية سرية تتحكم بجبهات الصراع الإلكتروني

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

ينشغل سكان العالم بشكل متزايد بالسباق المتسارع على جبهة تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الميادين التجارية والاقتصادية والصناعية، لكنهم لا يولون ما يكفي من الاهتمام لسباق أخطر، لا يزال مجهولا إلى حد بعيد ويجري في غرف سرية بعيدا عن التقارير والدراسات، وهو السباق العسكري في هذا المجال.

بل إن كثيرين يقولون إن السباق على تلك الجبهة يسير ببطء مقارنة بما يحدث في الجبهات التجارية، ربما لأننا لا ندري على وجه الدقة ما الذي تقوم به الجيوش والسلطات الأمنية والاستخبارية في هذا الميدان الخطير.

في العناوين الكبرى المعلنة هناك ثلاث دول فقط هي الولايات المتحدة والصين وروسيا، تقول إن لديها برامج رسمية لتطوير استخدامات عسكرية لتقنيات الذكاء الاصطناعي، الذي يمكن أن يضيف مزايا كبيرة لقدراتها العسكرية الهجومية والدفاعية.

ويجمع الخبراء على أن التقنيات المتوفرة حاليا للذكاء الاصطناعي يمكنها الاندماج والتكامل مع ترسانات الأسلحة المتطورة لتضيف لها أبعادا هائلة، لم تتضح ولم تتم تجربتها حتى الآن.

حرب إلكترونية باردة

محور الخطر الأكبر يتمثل في سلاح منفصل وهو قدرات الهجوم الإلكتروني بهدف سرقة الأسرار أو تعطيل أنظمة الخصوم، ليس العسكرية فقط، بل الأنظمة الصناعية والاقتصادية وخدمات البنية التحتية، مثلما حدث في العام الماضي عند الهجوم على مؤسسات تتعلق بخدمات طبية واقتصادية.

ويقول بافيل شاريكوف الباحث في أكاديمية العلوم الروسية في دراسة نشرت في موقع ستراتفور إن التفريق بين الهجمات العسكرية وتلك التي تستهدف منظومات الاتصالات ليس ذا أهمية كبيرة.

ويضيف أن تعطيل الأنظمة المدنية والاقتصادية وخدمات البنية التحتية الخدمية، يمكن أن يكون أكثر ضررا من الهجمات العسكرية وقد يصعب تحديد مصدرها للرد عليها.

أما قدرات الهجمات الحكومية، فيرى شاريكوف أنها لم تجرب حتى الآن أو لم يتم الاعتراف بها رسميا، سواء كانت عسكرية أو مدنية.

على سبيل المثال فإن الولايات المتحدة لم تتمكن حتى الآن من إثبات وقوف دول خلف بعض الهجمات مثل التدخل في الانتخابات الرئاسية الأميركية في عام 2016 حيث بقيت مزاعم الدور الروسي لترجيح فوز الرئيس دونالد ترامب في دائرة الاتهامات والتكهنات بعد ثلاث سنوات من التحقيقات.

ومع ذلك يتصاعد القلق من القدرات الهجومية الإلكترونية الحكومية وخاصة العسكرية يوما بعد يوم لأنها تنطوي على إمكانية زعزعة استقرار موازين القوة العسكرية بين الدول الكبرى، الذي أبقى العالم بعيدا عن حافة الهاوية لعقود طويلة، خاصة في ظل امتلاك دول كثيرة لإمكانية تدمير العالم أكثر من مرة.

ومع ظهور التعلم الآلي والذكاء الاصطناعي، تضاعف عدد جبهات المواجهة والأهداف المتاحة لاختراق الأنظمة الإلكترونية المئات وربما الملايين من المرات ولم تعد تقتصر على خطوط المواجهة التقليدية التي يمكن رصدها بالرادارات والأنظمة الدفاعية العسكرية.

ويعني ذلك أن البنية التحتية الحيوية وجميع النظم المصرفية وبرامج تتبع الرحلات الجوية في المطارات وسجلات المستشفيات وصولا إلى البرامج التي تدير الأسلحة النووية ومفاعلات الطاقة النووية السلمية، أصبحت جبهة منافسة وصراع وعرضة للهجمات.

زعزعة الاستقرار

يرى شاريكوف أن إحدى أكثر المشكلات إلحاحا تكمن في الآثار المزعزعة للاستقرار للهجمات السيبرانية المتطورة، التي تعززها تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، على منشآت الطاقة النووية.

ورغم عدم وجود دليل واضح على أن أنظمة التحكم والسيطرة النووية يمكن أن تكون عرضة للهجمات الإلكترونية، إلا أن تلك الأنظمة رقمية في نهاية المطاف، وبالتالي يمكن ذات يوم إيجاد ثغرة أمنية فيها.

اليوم أصبحت الهجمات الإلكترونية العنوان الأبرز لتوتر العلاقات بين الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وروسيا والصين، وهي تفوق بكثير أهمية جميع الجبهات الأخرى وبضمنها صراعات النفوذ في الكثير من أنحاء العالم ومن سباق التسلح التقليدي.

وتحتل قضية تعزيز الدفاعات ضد تلك الهجمات الإلكترونية وحماية الأنظمة والبرمجيات والبيانات الخاصة، صدارة أولويات العلاقات الثنائية بين الدول، حيث أصبحت أكبر الدول النووية تخوض حربا باردة جديدة على هذه الجبهة.

ويرى شاريكوف أن الهجمات الإلكترونية أصبحت تزعزع جميع قنوات الاتصال التقليدية بما فيها العسكرية وكذلك الدبلوماسية النووية بين البلدان الكبرى وهي تقف خلف انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة القدرات النووية المتوسطة المدى، والتي تلاها انسحاب روسيا أيضا.

كما أن مخاوف التجسس وما يمكن أن يتبعها من هجمات إلكترونية هي محور الحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين، حيث تخشى واشنطن من أن تستخدم الصين هيمنة هواوي في تقنيات الجيل الخامس للاتصالات في التسلل إلى أنظمة الدول الأخرى.

ولم تعد اتفاقات الحد من التسلح التقليدي، التي تم التوصل إليها تدريجيا أثناء الحرب الباردة، تضمن الاستقرار الاستراتيجي بين الدول العظمى. ويبدو أن اقتران القدرات التكنولوجية بالذكاء الاصطناعي لن يؤدي سوى إلى تفاقد عدم الاستقرار.

ويبدو أن العالم ينزلق بوتيرة متسارعة إلى سباق تسلح جديد محوره الهجمات الإلكترونية، التي تتضاعف خطورتها يوما بعد يوم مع اقترانها بتقنيات الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية والبيانات الضخمة وإنترنت الأشياء.

البحث عن الحلول

يرى شاريكوف أن من المستحيل الوقوف بوجه وتيرة تطوير الذكاء الاصطناعي المتسارعة، لكنه يرى أن على العالم أن يبدأ البحث عن قواعد لسباق التسلح التكنولوجي مثلما حدث في محادثات التوصل إلى الاتفاقات السوفيتية الأميركية في عقد السبعينات من القرن الماضي.

في تلك الحقبة وافق الطرفان على قبول نقاط الضعف المتبادلة. وتخلت واشنطن وموسكو عن خطط لإدخال تقنيات صاروخية مضادة للصواريخ الباليستية من أجل الحد من شراسة السباق المرهق لكلا الطرفين من أجل تحقيق درجة من التوازن والاستقرار الاستراتيجي.

هناك حاجة ماسة لوضع قواعد اشتباك مماثلة لسباق التسلح الإلكتروني يأخذ بنظر الاعتبار خصوصيات الذكاء الاصطناعي ويناقش مدخلات تقنيات الذكاء الاصطناعي الهجومية على المستوى الدولي.

ومثل كل اتفاق لتحديد الأسلحة، ينبغي أن يتضمن أي اتفاق وسائل للتحقق من الالتزامات، لكن الرأي المتشائم يقول إنه من شبه المستحيل الاتفاق على هذه الأحكام في حالة تقنيات الذكاء الاصطناعي.

وفي وقت تتجه فيه اتفاقات الحد من الأسلحة النووية تدريجيا إلى الانقراض، هناك حاجة ملحة للتفاوض بين القوى العظمى على وضع معايير جديدة أكثر إلحاحا بشأن تقنيات الذكاء الاصطناعي والتقنية الإلكترونية.

لكن واقع السباق الأميركي الروسي الحالي لا يشير إلى كثير من التفاؤل. ربما ينبغي أن تكون نقطة انطلاق المناقشات على مستوى كبار الخبراء من بلدان متعددة، وأن تتناول عناصر الجرائم والدفاعات السيبرانية وارتباطاتها بالذكاء الاصطناعي، إضافة إلى مسارات تصعيد وتهدئة الصراعات في هذه المجالات.

ينبغي على روسيا والولايات المتحدة والصين أيضا الاطلاع على واقع عوالم الإنترنت في كل منها من أجل تعزيز القدرات السيادية والكشف عن الظروف التي يمكن أن تستخدم فيها الدول الأسلحة الإلكترونية.

ويمكن لقادة تلك الدول تعزيز الاستقرار في علاقات القوى العظمى من خلال إعلان سياسي مشترك ينص على أن الدول الموقعة تتعهد بعدم مهاجمة البنى التحتية الحيوية لبعضها البعض، مثل أنظمة القيادة والسيطرة النووية، باستخدام تقنيات الإنترنت أو الذكاء الاصطناعي.

والتوصل لاتفاق مبدئي من هذا النوع يمكن أن يكون نقطة انطلاق جيدة في طريق طويل لتحقيق التوازن الاستراتيجي في سباق التسلح الإلكتروني، الأكثر خطورة من جميع السباقات السابقة.

لكن ذلك لا يمكن أن يحد من حجم الأخطار، حيث يمكن لعصابة أو فرد واحد أن يخترق منظومة بنية تحتية عملاقة تؤثر في حياة الملايين وربما بدولة بأكملها أو حتى على نطاق عالمي.

وقد حدث في العام الماضي أن تم اختراق خدمات حيوية تتعلق بالخدمات الصحية وسيارات الإسعاف في عدد كبير من دول العالم في هجوم واحد.

ومثلما قلنا فإن أنظمة التحكم بالمفاعلات النووية هي أنظمة إلكترونية ويمكن افتراضا إيجاد ثغرة فيها، أي أن فردا واحدا قد يتمكن في غفلة من مهاجمة أسلحة نووية أو مفاعلات نووية للطاقة السلمية.

مشكلات قانونية واجتماعية

رغم خطورة المشكلات الإلكترونية على الصعيد الدولي، إلا أن المشكلات بين الأفراق والشركات والجرائم الإلكترونية التي ينفذها الأفراد والشركات لا تقل خطورة، وهي تعاني أيضا من تقص القوانين والتشريعات.

هذا الميدان يزداد اتساعا خاصة إذا أضفنا أن الذكاء الاصطناعي والآلات والسيارات والأجهزة ذاتية القيادة يمكن أن ترتكب أخطاء وربما جرائم عن قصد أو دون قصد.

هناك قاعدة قانونية سائدة في كل المجتمعات البشرية منذ الأزل، تقول إنه إذا قتل شخص شخصا آخر أو تسبب في إصابته، فإنه يكون مسؤولا عن جريمته أمام القانون.

وهنا يثير الذكاء الاصطناعي مشكلات جديدة عند التعامل مع مثل هذه الجرائم، لم تكن في الحسبان بالنسبة للسلطات القضائية، إذا تسبب روبوت في حوادث قاتلة، كيف سيتعامل القاضي معها؟ هل يأمر الروبوت بدفع تعويض أو يودعه في السجن؟

وهناك مناقشات متزايدة تدور داخل الدوائر القضائية والسياسية، حول الملابسات القانونية التي تحيط بتطورات الذكاء الاصطناعي، كما تثار مخاوف حول هذه الملابسات في الدوائر الصناعية. كما تنهمك شركات التأمين بالبحث عن حلول لتلك المشكلات المتوقعة.

ويتفق الخبراء على أنه في غضون سنوات ستصبح استخدامات القيادة الذاتية والروبوتات الذكية والآلات التي تعمل بشكل مستقل عن الإنسان، شائعة وواسعة الانتشار مثلما هو الحال اليوم مع الكهرباء والهواتف.

ويرى يواكيم موللر المدير التنفيذي في شركة آليانز الألمانية أن انتشار تطبيقات الذكاء الاصطناعي والقيادة الذاتية يتطلب توضيح على من تقع المسؤولية القانونية في حالة وقوع حادث؟

كما أثارت تساؤلات أخرى سبل ضمان عدم إتلاف البيانات الضرورية لتوجيه الاتهام بارتكاب جريمة والجهات التي تسيطر على البيانات، كي لا تضيع المسؤولية القانونية في الحوادث التي يمكن تقع بسبب استقلال قرارات الآلات الذكية.

ويرى الباحثون في مجال القانون أن الذكاء الاصطناعي فرض تحديات كبيرة على القانون الجنائي وتساؤلات بعيدة المدى حول الآثار القانونية، سوف تتفاقم بسرعة فلكية مع اتساع حجمها بحياتنا.

وتؤكد سوزان بيك أستاذة القانون الجنائي في جامعة هانوفر الألمانية صعوبة ردم تلك الفجوة القانونية. وتقول على سبيل المثال، إذا اتخذ شخص قرارا بناء على معلومات مضللة من غوغل فإن القانون يحمل ذلك الشخص كامل المسؤولية إذا وقعت أضرار بسبب القرار.

وتحذر من أن السلطات قد تضطر مستقبلا إلى التخلي عن إصدار أحكام قضائية في الحوادث التي تتسبب فيها الآلات. وترى أن "من المؤكد أن عدم إمكانية فرض عقوبة عند حدوث الجرائم سيكون أمرا مزعزعا لاستقرار المجتمعات".

بافيل شاريكوف:
على العالم أن يبدأ البحث عن قواعد لسباق التسلح الإلكتروني مثلما حدث في اتفاقات التسلح السابقة

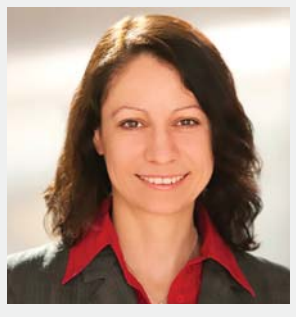

سوزان بيك:
غياب المسؤولية عن حوادث ترتكبها الآلات سيكون أمرا مزعزعا لاستقرار المجتمعات

أكبر المخاوف تتعلق بإمكانية أن تصل الهجمات الإلكترونية إلى استهداف المنشآت والمفاعلات النووية

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

تدريبات تصفيح البطن تقوي العضلات والمعدة

التمارين لا تذيب كل الدهون المحيطة بمنطقة البطن

يوصي مدربو اللياقة بالاهتمام بمنطقة البطن والعمل على تقوية عضلاتها لأن تدريبها بشكل منتظم يعزز توازن الجسم وقوته وصحته، خاصة وأن الكثير من الأطباء يحذرون من مخاطر تراكم الدهون حول المعدة.

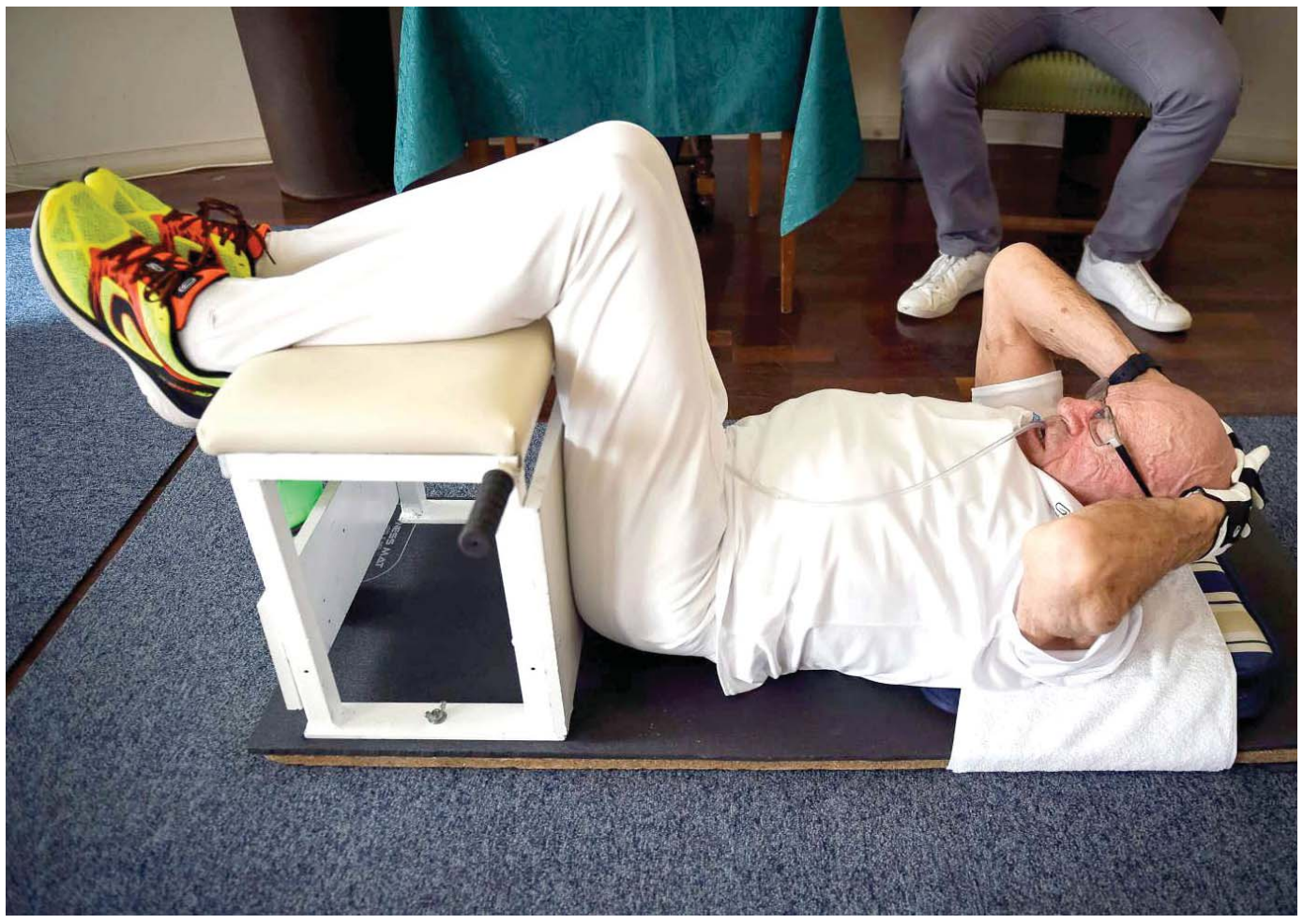

تقوية منطقة البطن تعزز توازن كامل الجسم

لندن - كشفت الدراسات أن وجود البطن في مركز الجسم وواجهته يجعلها تتمتع بفوائد التدريبات حتى وإن لم تكن مخصصة لها تحديدا. وأشار الأخصائيون إلى أن الحركات المركبة التي تنقل الطاقة بين الجزء العلوي والجزء السفلي للجسم تدرب البطن بشكل كبير. وأضافوا أن لهذه الحركات أهمية بالغة في الحفاظ على الثبات خلال التمارين الشاقة مثل القفز.

لكن ورغم فوائد التمارين المركبة مثل القرفصاء والرافعات المميتة والمكابس العلوية وللحصول على نتائج مذهلة، يحث تقرير، نشر في موقع (كوتشماغ) البريطاني، على بذل المزيد من الجهد واتباع سلسلة من التمارين التي تكون أكثر دقة واستهدافا لمنطقة البطن.

ويقترح التقرير القيام بثلاث جلسات تتكون من ست مجموعات تهتم كل واحدة منها بجزء محدد من البطن؛ المنطقة العليا والسفلى والجانبية والداخلية. ولا يتطلب القيام بهذه التدريبات الذهاب إلى قاعة الرياضة ويكفي فقط إضافة تمرين أو اثنين، في نهاية الجلسة الرياضية المعتادة للمتدرب، يخصصه لتدريب البطن.

جلسات التدريب

تشكل كل جلسة من جلسات التمرن سلسلة تدريبية صغيرة يمكن إلحاقها بمجموعة التمارين الروتينية التي تعود المتدرب على ممارستها.

الهدف من سلسلة التدريبات هذه تشغيل أكبر قدر ممكن من الألياف العضلية بوتيرة أكثر سرعة ونجاعة. ويوصي التقرير بالحفاظ على القدر المحدد من التدرب والراحة والموازنة بينهما.

ويعتبر أول تمرين من كل سلسلة التمرين الأصعب ثم تتدرج الصعوبة كلما زاد عدد مرات ممارسته. ويساعد ذلك على تدريب منطقة البطن بشدة وهو ما يؤدي في النهاية إلى تحفيز العضلات وزيادة حجمها.

وبعد التمرين، لا بد من أخذ قسط من الراحة ثم العودة إلى تكرار الحركات نفسها، مجددا، لثلاث مرات.

ومن بين التمارين المخصصة لمنطقة البطن التي يوصي مدربو اللياقة بممارستها:

● تمرين (ستيب هوب) الذي يتم فيه الوقوف على مقدمة القدم اليمنى مع ثني ركبة القدم اليسرى ثم تبادل القدم اليمنى مع اليسرى والتركيز على ثني الركبة لأعلى والركض في المكان، مع تبادل القدمين لما لا يقل عن 15 إلى 20 مرة في المجموعة الواحدة. ويمكن ممارسة التمرين على شكل 3 مجموعات.

● تمرين (كوبرا بوز) وهو يعتمد على النوم على البطن أرضا مع إبعاد القدمين عن بعضهما البعض ثم رفع الصدر إلى أعلى باستخدام الذراعين مع الشهيق والنظر إلى سقف الغرفة من 15 إلى 30 ثانية في كل مرة. بعد ذلك يمكن العودة للوضع الأصلي ببطء مع الزفير ومدّ الذراعين أمام الجسم. يمارس هذا التمرين على الأقل 10 مرات حتى 30 مرّة.

● تمرين (بلانك) يرتكز على حمل الجسم على الأطراف الأربعة والضغط باليدين على الأرض بقوة قدر المستطاع والبقاء في هذا الوضع من دقيقة إلى دقيقتين ثم يكرر التمرين 3 مرات.

● تمرين (لانج تويست) يعمل فيه المتدرب على الارتكاز على القدمين والتبادل بينهما، مع الدوران بالصدر يمينا ويسارا. تتم ممارسة التمرين من 15 إلى 20 مرة بالتبادل بين القدمين.

● تمرين (باو بوز) يكون عبر النوم على البطن أرضا، مع استخدام اليدين في الإمساك بالقدمين والشهيق، على أن يراعى رفع الرأس لأعلى والبقاء في وضعية التمرين من 15 إلى 30 ثانية. بعد ذلك يقوم المتدرب بالزفير والعودة إلى الوضع الأصلي. ممارسة التمرين تكون من 10 إلى 30 مرة.

● تمرين (باسيكال كرانتشز) ينام فيه المتدرب على الظهر أرضا ويضع يديه خلف الرأس ويرفع ركبته بزاوية 45 درجة. ويخلق بذلك وضعية تبادل القدمين مثل دواسات الدراجة مع لمس كوع اليد في كل مرة مع الركبة العكسية. ويكون التنفس بين شهيق وزفير في كل مرة. يمارس التمرين على شكل 3 مجموعات والمجموعة مكونة من 15 من 2 إلى 3 مرات أسبوعيا.

● تمرين (بوت بوز) ينام فيه المتدرب على الظهر أيضا ويأخذ شهيقا عميقا يغيره إلى زفير كلما صعد برأسه وقدميه ويديه، ثم يمد القدمين والذراعين بقدر المستطاع مع محاولة البقاء في وضعية التمرين من 30 إلى 60 ثانية. ويكرر التمرين من 5 إلى 30 مرة.

● تمرين (بلانك تويستس) يتم فيه الارتكاز على الأطراف الأربعة أرضا والدوران بالجزء الأسفل يسارا مع الشهيق. ويبقى المتدرب في وضعية التمرين ثوان ومع الزفير يعود ببطء لوضع البداية. ويتم التبادل بين الجزء الأيمن والأيسر. تكون ممارسة التمرين على شكل 3 مجموعات كل مجموعة تتكون من 10 إلى 15 مرة بالتبادل بين القدمين.

● تمرين (كيتالبيل فرونت سكوات) يرتكز خلاله المتدرب على القدمين ويمسك كرة الحديد بكلتا يديه أمام الصدر. ويبقى الكوعين قريبين من الجسم ويجلس في وضع القرفصاء. على المتدرب محاولة البقاء في وضعية التمرين لثوان ثم العودة لوضع الوقوف. ويكون التكرار من 15 إلى 20 مرة.

● تمرين (كامل بوز) يكون عبر الوقوف على الركبتين وثني الجذع للخلف ومحاولة لمس الكعبين، ثم العودة بالرأس للخلف مع الشهيق. ويكون التنفس بصورة طبيعية والبقاء في وضعية التمرين من 20 إلى 30 ثانية. وفي النهاية تكون العودة للوضع الأصلي وتكرار التمرين من 5 إلى 30 مرة.

● تمرين (هيب ابس) يرتكز فيه الرياضي على الذراع الأيسر ويمد القدمين ويحاول الارتكاز على الكوع والشهيق مع رفع الجذع لأعلى بعيدا عن الأرض. في هذه النقطة يجب أن يكون الجسم ممدودا تماما من الرأس وحتى القدمين. ثم تكون العودة بالجذع إلى الأرض ببطء والعودة إلى وضع البداية. يكرر التمرين من 10 إلى 15 مرة.

دهون البطن

تُعدُّ دهون البطن أو ما يعرف بالكرش نسيجا دهنيا متراكما في القسم الوسطيّ من الجسم، وهي تحيط بأعضاء البطن. ويمتلك الجميع دهونا في البطن حتى الأشخاص ذوي البطن المسطحة وبعضها يكون أسفل الجلد مباشرة والبعض الآخر يوجد بشكل أعمق؛ وتُدعى حينها بالدهون الحشوية؛ وهي الدهون التي تحمي الأعضاء الداخلية. وكانت عدّة دراسات سابقة قد أشارت إلى أنّ زيادة دهون البطن مرتبطةٌ بخطر الإصابة بعدة مشكلات صحية، مثل السكري من النوع الثاني وأمراض القلب وارتفاع ضغط الدم وبعض أنواع السرطان كسرطان القولون وسرطان الثدي، بالإضافة إلى الخرف.

وتجدر الإشارة إلى وجود طرق استخدمها الباحثون لتحديد أولئك الذين يعانون من زيادة الدهون في البطن، منها قياسات مُحيط الخصر، إذ يجب أن يكون محيط الخصر لدى الرجال أقل من 101.6 سنتيمتر، وأقلّ من 88.9 سنتيمتر لدى النساء حتى تُعتبر دهونا صحية.

ويعتمد الكثيرون طرقا مختلفة في التخلص من دهون البطن كالأنظمة الغذائية الصارمة والتمارين الرياضية. ولأن هذه المنطقة من الجسم تعد عصية بعض الشيء، يبالغ البعض في شدة التدريبات التي قد تنعكس سلبا إذا ما تم التحكم في شدتها ومدتها.

وقد يسقط بعض الحالمين بالبطن المسطحة والرياضية في فخ عدم جدوى التمارين المنتشرة عبر التطبيقات وشبكات التواصل، حيث تمتلئ مواقع الإنترنت بالكثير من المعلومات المتعلّقة بأنواع تمارين البطن وكيفية ممارستها بغرض إظهار وإبراز عضلات البطن. ومما لا شكّ فيه أنّ ممارسة هذه التمارين ستؤدّي إلى تقوية عضلات البطن لا محالة، ولكن مهما كانت هذه التمارين قاسية أو فعالة فإنها لن تكون كافية لإظهار عضلات البطن في حال وجود طبقة من الدهون التي تكسو هذه العضلات. وهنا يقع ضرر تمارين البطن المتمثل بخسارة الوقت والجهد، فمن النادر أن يتنبه الناس لهذا الأمر عند ممارستهم لهذه التمارين؛ فكثير من الناس يطمحون أساسا إلى خسارة دهون البطن عبر ممارسة تمارين البطن الشهيرة، وليس لتقوية هذه العضلات أو إظهارها. ولقد خلصت إحدى الدراسات إلى أنّ القيام بممارسة تمارين البطن لمدة خمسة أيام في الأسبوع على مدى 6 أسابيع لن ينجم عنها أي تغيير يمسّ مستوى الدهون المتراكمة في البطن. وفي الحقيقة لا ينطبق هذا الأمر على دهون البطن فقط، وإنما ينطبق أيضا على الدهون في سائر مناطق الجسم، وهذا الأمر أثبتته دراساتٌ عديدة. وتجدر الإشارة إلى وجود دراسات أخرى لم تتفق مع وجهة النظر هذه وأكدت عكسها تماما.

ومن بين الأضرار الأخرى الإصابة بشد العضلات البطنية، حيث تُعدّ الممارسة الشديدة أو المفاجئة لتمارين البطن من بين الأمور المؤدية إلى حدوث شدّ عضلي أو تمزق في عضلات البطن.

> الجميع يمتلكون دهونا في البطن حتى أصحاب البطن المسطحة، بعضها يكون أسفل الجلد والبعض الآخر يوجد بشكل أعمق

وتجدر الإشارة إلى أن شد العضلات البطنية لا ينجم فقط عن ممارسة تمارين البطن، وإنما ينجم أحيانا عن رفع الأثقال أو عن العطاس أو السعال أو حتى عن الإفراط في الضحك وكثيرا ما يخلط الناس بين حالات شدّ العضلات البطنية وبين حالات الإصابة بالفتق بسبب تشابه أعراض الفتق مع أعراض شد عضلات البطن. وهنا يجب التأكيد على أن حالة الفتق مختلفة تماما عن حالة شد العضلات البطنية؛ فالفتق هو خروج أعضاء البطن الداخلية من خلال جدران العضلات الضعيفة، وليس مجرد شدّ في عضلات البطن.

الرياضة المائية متعة للجسد والنفس

التمارين المائية تمتاز بتقليل الضغط على العظام

برلين - تتمتع التمارين المائية بفوائد صحية جمّة للجسد والنفس على حد السواء؛ حيث أنها مفيدة للقلب والرئة والعضلات والعظام من ناحية، وتساعد في التمتع بالاسترخاء والهدوء النفسي من ناحية أخرى.

وقالت آنا فيلكر، المحاضرة في الجامعة الألمانية للوقاية والإدارة الصحية بمدينة ساربروكن، إن هناك قاعدة عامة تنص على أن كل التمارين التي يتم أداؤها على الأرض، يمكن القيام بها في الماء أيضا.

وأوضحت فيلكر أن التمارين المائية تمتاز بتقليل الضغط على العظام والمفاصل والعضلات، كما تعمل مقاومة الماء على تقوية العضلات، بالإضافة إلى أنها تسهم في تحسين صحة القلب. ويمكن للمرء القيام بالتمارين المائية حتى إذا لم يكن باستطاعته السباحة.

ومن جانبه، أشار عالم الرياضة الألماني تورستن دارجاتس إلى أن التنفس العميق والمنتظم في الماء يعمل على تقوية القلب والرئتين، كما يعمل ضغط الماء على تحسين الدورة الدموية، فضلا عند تأثيره المريح، والذي يخلص المرء من الضغط والتوتر النفسي.

وأكدت دراسة سابقة أن الدورة الدموية للأشخاص الذين يوجدون في الماء أفضل من الآخرين الذين يوجدون على الأرض، حيث قام الباحثون بدراسة فوائد القلب والأوعية الدموية أثناء القيام بعدة أنشطة مختلفة. ووجدوا أن الدورة الدموية تصبح أكثر نشاطا في عدة أجزاء من الجسم، بما فيها المخ، عندما يكون الشخص مغمورا في الماء حتى منطقة الصدر.

وربط الباحثون القائمون على هذه الدراسة بين الوجود في الماء ونشاط العقل لعشرة أشخاص. وأجريت هذه الدراسة في خزان مياه فارغ أولا، وبعد تجميع بعض المعلومات والبيانات وقياس معدل ضربات القلب، بدأ هؤلاء الباحثون بضخ المياه داخل الخزان حتى وصلت للصدر، ثم قاموا بقياس نفس المعدلات السابقة قبل ضخ المياه وبدأوا في تحليلها.

> عالم الرياضة الألماني تورستن دارجاتس أشار إلى أن التنفس العميق والمنتظم في الماء يعمل على تقوية القلب والرئتين

كما تستطيع رياضة السباحة إفراز هرمون الأندروفين وتعزيز الخلايا العصبية، وهي تساعد أيضا في نمو الخلايا الجديدة في المخ.

وأضاف دارجاتس أن الفضل في انتشار التمارين المائية يرجع إلى سهولة القيام بها؛ حيث لا يضطر المرء عند ممارسة التمارين المائية إلى السباحة، ولكن يتعين عليه الاعتياد على الماء وأن يكون قادرا على الطفو والغوص، حتى يمكنه أداء التمارين بأمان.

كما أن التمارين المائية تصلح لجميع الأشخاص تقريبا، بل إنها تناسب الأشخاص الذين يواجهون مشكلات مع أنواع الرياضة الأخرى كالأشخاص الذين يعانون من زيادة الوزن أو مرضى هشاشة العظام؛ حيث يمكن القيام بأداء التمارين الرياضية دون التحميل على المفاصل تقريبا.

وأضافت فيلكر أن التمارين المائية تعتبر أفضل بالنسبة إلى السيدات الحوامل أو بعد الولادة مقارنة بأنواع الرياضة الأخرى؛ نظرا لأنها خالية من الاهتزازات تقريبا. كما أنها تعد مثالية لكبار السن؛ حيث يمكن لهم هنا التدريب بشكل مكثف نسبيا مقارنة بأداء التمارين على الأرض؛ حيث لا يوجد هنا خطر التعرض للإصابة، فضلا عن عدم ظهور آلام العضلات بسبب التمارين المائية.

وقد وجدت دراسة نشرت عام 2016 في مجلة الروماتيزم أن ممارسة السباحة العادية تقلل من آلام المفاصل المرتبطة بهشاشة العظام، وتحسين قوة العضلات والقدرة الوظيفية في منتصف العمر ولكبار السن الذين يشكون من هشاشة العظام.

وعلى الجانب الآخر، لا تعد التمارين المائية مناسبة لبعض الأشخاص، كالذين يعانون من عجز عصبي أو مشكلات في التوازن، وكذلك مرضى الصرع ومرضى بعض أنواع الحساسية.

الثانوية معبر إلى الجامعة لا يضمن العمل للشباب

شباب يحققون إنجازات مهنية عبر التصور الواضح للمستقبل وتطوير المهارات

أصبحت الشهادة الثانوية بالنسبة للشباب اليوم وأسرهم مشكلة مصيرية تؤرق حياتهم وتحدد مستقبلهم ومسيرتهم المهنية، بينما في الواقع لم تعد سوى بوابة لدخول الجامعة دون أن تحدد النجاح الحقيقي في سوق العمل، بينما استطاع الكثيرون تحقيق إنجازات كبيرة وسطع نجمهم في الحياة المهنية دون أن يتجاوزوا الثانوية.

مخاوف الأهالي تؤجج ذعر الثانوية

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

الرباط - **قبل سنوات قليلة كان يوصف من لم يحصل على شهادة الثانوية العامة في المغرب بأنه أمي، ولا يحق له ارتياد الجامعة ولا المعاهد التقنية. وبالرغم من ذلك التحدي الخطير، الذي واجهه الطلاب، وهم في سن المراهقة، فهو لم يخفهم، وكذلك لم يدفع الكثيرين إلى بذل الجهد، وبقيت النسبة المئوية للنجاح مساوية لنسبة السقوط، وتراوحت بين 48 و53 بالمئة، وربما أعلى نسبة بلغتها كانت في العام الجاري 2019، إذ بلغت 65.55 بالمئة.**

وبالرغم من فشل الكثيرين في الحصول على شهادة الثانوية إلا أن عددا منهم أظهروا موهبة استثنائية في مجالات أخرى عملية، كتطويع البرمجيات التكنولوجية ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وتكنولوجيا السيارات والمجال السمعي/ البصري، وكانوا من أفضل المطورين.

وهؤلاء الطلاب (الفاشلون) الذين لم يستطيعوا تجاوز امتحانات الثانوية حرصوا على تنمية مواهبهم وميولهم، وبذلوا جهودا كبيرة لكي يبتكروا أشياء جديدة ويبدعوا في مجالات مختلفة في محاولة منهم لإثبات أنفسهم. فنبغ من بينهم خمسة من أبرز مبرمجي أجهزة الكمبيوتر في العالم أشهرهم زكريا العلوي الذي استطاع اختراق الموقع الإلكتروني للاستخبارات الأميركية، ووضع بصمته عليه باسم قريته "غفساي" ما أثار غضب الأميركيين، وبحثتْ عنه السلطات ليجدوا أن وراء ذلك الاختراق الخطير مراهقا مغربيا، فاشلا في دراسته، لم يستطع تجاوز مرحلة الثانوية. وقد تعلم بجهوده الذاتية التعامل مع برمجيات الحواسيب في مقهى صغير منزو للإنترنت في حي فقير بمدينة تاونات المغربية.

علماء بلا شهادات

يقول عمر شداتي أستاذ تعليم ثانوي في الرباط إن هناك في العالم شواهد كثيرة في أنحاء العالم لشباب لم يستطيعوا دخول الجامعة لأسباب مختلفة، لكنهم نجحوا في حياتهم العملية.

وأضاف شداتي في تعليقه على نتائج الثانوية العامة هذا العام التي صدرت مؤخرا في المغرب، أن أحد هؤلاء الذين لم يتمكنوا من الحصول على الشهادة الجامعية هو بيل غيتس مؤسس مايكروسوفت، الذي بلغت ثروته 90 مليار دولار، وأيضا مايكل ديل مؤسس شركة ديل ورأسمالها 150 مليار دولار، وتوماس أديسون مكتشف الكهرباء، وغريغور يوهان مندل مؤسس علم الوراثة الذي فشل مرتين في الامتحان الذي يخوّل له بأن يكون أستاذا مؤهلا للتعليم في المدرسة الثانوية بشكل رسمي، والأخوان رايت مخترعا أول طائرة في العالم.

ومن الكتاب المشهورين، الذين لم يتخرجوا من جامعة، الروائي المغربي محمد شكري الذي بيعت من روايته "الخبز الحافي" أكثر من مليون نسخة، وترجمت إلى عشر لغات، وباولو كويلو صاحب رواية الخيميائي، الذي بيعت منها 40 مليون نسخة، وترجمت إلى أغلب لغات العالم، وأغاثا كريستي التي تعدُّ أكثر الكتاب شهرة في العالم، وكتبها ضمن الأكثر مبيعا منذ الخمسينات حتى يومنا الحالي.

وتابع شداتي "كل هؤلاء كان لهم تصور واضح عن مستقبلهم، وعرفوا ما يميلون إليه، وعملوا على تطوير مهاراتهم بشكل ذاتي، واتبعوا السبل الصحيحة، التي توصلهم إلى تنفيذ أحلامهم، التي كانت مجرد أحلام مراهقة، فحولوها إلى نجاحات لهم وفائدة للبشرية".

وذكرت ليلى التلمسي أستاذة في مدرسة ثانوية خاصة بالرباط، "من يظن أن الثانوية ودخول الجامعة هي المآل الوحيد، فهو واهم. ففي العقد القادم لن تستطيع الجامعات والمعاهد قبول جميع الأعداد الضخمة، التي تحصل على الثانوية، ففي هذه السنة 2019 بلغ عدد الطلاب والطالبات الذين رشحوا لاختبارات شهادة الثانوية في المغرب 441 ألف طالب وطالبة، بنسبة زيادة 0.3 بالمئة عن العام الماضي. ونجح أكثر من نصفهم، وهذا العدد الكبير من حاملي الثانوية لا يمكن أن تستوعبه جميع الجامعات بالمغرب ولا المعاهد الفنية".

وأضافت التلمسي في تصريحات لـ"العرب"، أن "هذه الأعداد الكبيرة تعتبر مشكلة حقيقية في أغلب الدول العربية، التي ينظر فيها الطالب إلى الجامعة كخلاص، ليحصل من خلاله على وظيفة في الدولة تدرُّ عليه راتبا ثابتا. وربما يسلك طرقا وأساليب غير شرعية بمحاولة الغش في امتحان الثانوية ليحصل على النقاط العالية لتحقيق هدفه".

وتابعت "للعلم هذا العام تم تحقيق معدلات عالية وأعلاها 19.4 من أصل 20 درجة، مما يجعل التنافس شديدا على مقاعد جامعية قليلة في كليات الطب والهندسة ومعهد الإعلام والاتصال في العاصمة الرباط".

وأشارت إلى أنه حتى إذا استطاع الطالب النجاح بأساليب ملتوية أو من دونها، وأكمل تعليمه الجامعي، وحصل على وظيفة عمومية. ففي أغلب الوظائف، لا يكفي الراتب الحكومي في بداية الحياة الوظيفية، لتكوين أسرة جديدة، فيبقى عالة على أبيه وأمه لسنوات أخرى سواء بالعيش معهما إضافة إلى أسرته الجديدة أو بعيدا عنها".

ويعاني أغلب الشباب في الدول العربية من الوضع الذي ذكرته التلمسي، إذ يفضل الكثير من الشباب اللجوء إلى الوظيفة الحكومية في الدولة للحصول على راتب ثابت وضمان المستقبل الوظيفي، لكنهم في ما بعد يدخلون في دوامة أخرى بسبب تزايد أعباء الأحياء اليومية مقارنة بالراتب المتواضع ولاسيما بعد تأسيس أسرة، وتشهد العديد من الدول مظاهرات مستمرة في قطاعات مختلفة من العاملين في الدولة احتجاجا على أوضاعهم الوظيفية.

من جهته، يقول الصحافي لحسن النيعام "إن تقنيات متطورة استخدمها بعض الطلاب للغش في امتحانات الثانوية، وأن الشرطة القضائية فككت شبكة للغش في الامتحانات في مدينة أفران، وكذلك في مدينتي فاس ومكناس".

وأضاف والنيعام "ألقت الشرطة القبض على 43 شخصا من الذين ضبطوا في حالة تلبس بالغش، وقد استعانت إحدى الشبكات بتقنيات متطورة من بينها آلة صغيرة الحجم، ليتمكن من خلالها توفير تواصل بين رئيس الشبكة، والطلاب المتقدمين لامتحان الثانوية في قاعة الامتحان، من دون إثارة انتباه لجان المراقبة وأساتذة الحراسة. كما ضبطت طالبة بعثت صورة لأسئلة الرياضيات إلى شخص خارج قاعة الامتحانات بواسطة صفحة فيسبوك عن طريق الخطأ، فذهبت الصورة إلى غير الصفحة المقصودة".

> في العقد القادم لن تستطيع الجامعات والمعاهد بمختلف الاختصصات في المغرب قبول الأعداد الضخمة من الشباب، الذين حصلوا على الشهادة الثانوية

ويتساءل هشام الإدريسي (45 سنة) موظف، وهو والد الطالبة المتفوقة في الثانوية جليلة الإدريسي التي حققت 17 نقطة من أصل 20 نقطة، هل ستتمكن ابنته من اختيار الجهة التكوينية التي ترغب فيها بواسطة النقاط العالية التي حصلت عليها؟.

كان الإدريسي فرحا، ويرد بين الحين والآخر على تهنئات زملاء وزميلات ابنته، وقال في تصريحات لـ"العرب" نصف النجاح الذي يحرزه الأبناء في الثانوية يعود لجهود الأسرة في منح الجو الأسري المريح للطالب خلال السنة الدراسية، وخاصة في فترة الامتحانات. وقد عمدت أنا وأمها إلى جعل أوقاتها متنوعة بين الدراسة والترفيه، ولم نبالغ في تذكيرها بضرورة الدراسة مرارا وتكرارا، والتحضير للثانوية، فبعض الأسر تخلق عقدة الثانوية لدى الأبناء بسبب المبالغة والتخويف والترهيب من امتحانات الثانوية وتأثيرها المصيري على حياتهم المهنية والمستقبلية. وكنا نشعرها بأن امتحان الثانوية كغيره من الامتحانات، والطالب المُجدّ طوال سنته سيحقق أعلى الدرجات فيه".

وذكرت الطالبة هند زايد (17 سنة) طالبة ثانوية عامة في الرباط "حققتُ 13 نقطة من عشرين، وهي تؤهلني للدخول إلى أحد المعاهد التكوينية، وأنا غير مهتمة بما نلته من نقاط. فمرحلة تجاوز الثانوية، للدخول إلى مرحلة جديدة أكثر نضجا هي هدفي".

مشاعر متناقضة

أضافت زايد "قبل الحصول على الثانوية ينظر إليك الجميع، ويعاملك كطفلة في مرحلة المراهقة، وبعد أن تنال شهادة الثانوية تتغير نظرة الأسرة والمجتمع كذلك".

ويعتبر الأخصائي النفسي عبدالكريم عطا "أن مرحلة الثانوية بالنسبة للطلاب تأتي مع خصوصية فترة المراهقة لديهم، فهم يقعون بين شعورين متناقضين، إحساسهم بأنهم نضجوا، وصارت أجسادهم لا تمت لعالم الطفولة بأي صلة، بينما معارفهم، وتجاربهم لا تزال غير متوازنة مع سرعة نضجهم العاطفي والجسدي".

وأضاف في تصريحات لـ"العرب"، هذا "التناقض يشكل بؤرة للتضاد بين ما يطمحون إليه من معاملة خاصة من الأساتذة ومعاملتهم كناضجين، وبين واقع الأستاذ الذي يكون عادة مكلفا بمنهاج دراسي عليه إكماله، وبين عدد الطلاب يفوق في الكثير من الأحيان العدد التربوي المقرر بين 25 و35 طالبا في الفصل الواحد. وهذا يضطره إلى التعجيل بإعطاء المادة المقررة، ومعاملة الجميع ككل متماثل. وهذا ما يجعل طريقة التلقين التي يؤديها بها عمله غير مجدية، وهذا ما يرفع نسبة الفاشلين في الثانوية".

وتابع عطا "ولا يعني الفشل في الثانوية أو عند الحصول على نقاط ضعيفة أن نهاية العالم قد حلت، فالكثير من طلاب الثانوية الفاشلين حققوا أفضل النتائج في سوق العمل، كما أن من حققوا نتائج عالية كانوا بعد ذلك طلابا عاديين في الجامعة ولم يحصلوا عند تخرجهم على درجات عالية. وهذا يؤكد أن شهادة الثانوية ليست المقياس الوحيد للنجاح، ففرص الحياة أوسع بكثير مما يظن البعض".

وفي السنوات الأخيرة اهتمت السلطات المغربية بالمعاهد المهنية التي تؤهل الشباب للدخول إلى سوق العمل، وأفاد رئيس الحكومة سعدالدين العثماني، في فبراير الماضي، بأن نظام التكوين المهني في المملكة حقق بعض المكتسبات الهامة حيث بلغ عدد مؤسسات التكوين المهني 584 مؤسسة عمومية خلال الموسم التكويني 2017-2018، تغطي مختلف المجالات، وقد استقبلت أكثر من 587 ألف شاب وشابة.

وأبرز العثماني، أثناء مناقشة "استراتيجية الحكومة في إصلاح منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي" في مجلس النواب، أنه للتوجه نحو إرساء نظام تكويني يتسم بالمرونة والفعالية في الوسط المهني وفتح آفاق أوسع لدخوله بالنسبة لجميع الفئات، فقد تم الشروع في تنفيذ الاستراتيجية الوطنية للتكوين المهني 2021، كجزء من الرؤية الاستراتيجية لإصلاح منظومة التربية والتكوين 2015-2030 بهدف إقامة نظام للتكوين المهني مندمج مبني على إشراك كل الأطراف المتداخلة.

عبدالكريم عطا

> شهادة الثانوية العامة ليست مقياس الشباب الوحيد للنجاح ففرص الحياة أوسع بكثير مما يظن البعض

وذكر رئيس الحكومة أن هذه الاستراتيجية تتوخى تحقيق ضمان الحق في التكوين من خلال تحقيق الاندماج الاجتماعي والترابي، وتحسين تنافسية المقاولة كفاعل وكفضاء متميز للتكوين، والرفع من مستوى إدماج الخريجين عبر تحسين جودة التكوين، وإدماج التعليم العام والتكوين المهني، وتقوية حوكمة السياسة العمومية في ميدان التكوين المهني.

وأشار إلى أنه تنفيذا لهذه الاستراتيجية تضمن البرنامج الحكومي إحداث 123 مؤسسة للتكوين المهني في أفق 2021 بهدف الرفع من عدد المتدربين والمستفيدين من التكوين وتزويد سوق الشغل بحوالي مليون و700 ألف خريج وخريجة.

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

الفنون أسلحة لا تسقط من أيدي النساء

مبدعات عربيات يقدن ثورة فنية لمقاومة الأزمات السياسية

شاهد العالم حملات احتجاجية ببعض البلدان العربية التي تمر بأزمات سياسية عبر رؤية خاصة من قبل عدد من المبدعات اللاتي حملت كل منهن، من منبرها الخاص، مشعلها وأسمعت صوتها تاركة بصمة وإرثا بصريا في عمق المظاهرات والمسيرات سواء من خلال فرشاة الرسم أو كاميرات التصوير أو بالمشاركة الفعلية في قلب الاحتجاجات.

رسالة تلامس كل الفئات.. إذن الرسالة وصلت

شيماء رحومة
كاتبة تونسية

"صنعت الفيلم لأبرر لابنتي سما الخيار القاسي جدا الذي اضطررنا إلى اتخاذه والقاضي ببقاء العائلة في سوريا خلال المرحلة الأكثر دموية من النزاع".. بهذه الكلمات قدمت المخرجة السورية، وعد الخطيب، فيلمها الوثائقي "إلى سما" الذي نال جائزة "العين الذهبية" لأفضل وثائقي يعرض في مهرجان كان، وكان لانخراط جميلة بوحيرد، رمزية نضالية وتحررية على الحراك الشعبي الجزائري، بما للمرأة من رصيد وملاحم في مقاومة الاستعمار والنضال من أجل الحرية، لتتبعها مناضلات أخريات تزين بالرايات الوطنية، وسرن إلى جنب الشباب والشابات، وبذلك تعزز وتنوع النسيج النسوي في الحراك الجزائري.

أما السودانية أصيل دياب، التي تعيش في قطر، فقد قرّرت عندما بدأت الثورة الفعليّة في السودان أن تشارك في صنع الحدث، إنما على طريقتها الخاصّة، حيث رسمت بحماس لا يفتر رموز الثورة على الحائط ووثقت عبر شغفها بالغرافيتي ذكرى الشهداء.

وتقول دياب في حديثها لـ"العرب"، "كنت أتابع منذ الأسبوع الأول للحراك السياسي ببلدي، أي منذ ديسمبر 2018، من خلال التلفاز والمواقع الاجتماعية، ما يحصل في السودان، وفي الأسبوع الثاني شعرت بأن من واجبي المشاركة بأي شكل، فبدأت من موقعي بالدوحة بالتظاهر على طريقتي الخاصة من خلال الكمبيوتر برسم شعارات وكلمات من الهتافات والهاشتاغات، صممت بعض الأشياء ونشرتها عبر السوشيال ميديا".

وتابعت "كنت أحاول نشر فيديوهات أو صور.. وهناك من الناس من أخبرني أنه كان يطلع على الأحداث عبر الستوري الخاص بي أكثر من مشاهدتها بالتلفزيون". وأضافت "وبعد شهر من الحراك تمكنت من الوصول إلى السودان بعد مجهود جبار لإقناع عائلتي بضرورة ذلك.. ثم فكرت كيف أشارك إلى جانب طبعا مشاركتي الفعلية في الخروج إلى الشارع مع المتظاهرين، لكن كنت أفكر في طريقة تكون خاصة بي وبدأت أسمع عن الشهداء والناس في الغالب لا تعرف قصصهم وأحيانا لا تسمع عنهم، فأردت عن طريق الفن أن أعرف الناس، لأن الشهيد ضحى بنفسه نيابة عن السودانيين".

وأوضحت دياب أنها وجدت أن أفضل طريقة تكون عبر رسم وجوههم، لكنها فضلت أن ترسم في مكان لا تواجه فيه أي متاعب قانونية أو صعوبات لذلك لجأت إلى الرسم في بيوت الشهداء أنفسهم لأن أهاليهم سيقدمون لها الدعم والحماية، مؤكدة أن الفكرة كانت ناجحة على الرغم من أنها تعرضت للمداهمة الأمنية في أول يوم. وشددت على أن الفن سلاحها وأن عابري السبيل عندما يشاهدون صورة الشهيد سيترحمون عليه وعبر فتح حديث حول قضيته سيتطرق الناس إلى قضايا أعمق في المجتمع، مشيرة إلى أنها كانت تحمل معها كاميرات لتوثيق عملها وتخبر أهل الشهيد أنه بإمكان السلطات مسح ما تفعله فيستنكرون.

ولفتت إلى أن نجاحها في اختيار الفن سلاحا ظهر في مدى تأثر الناس من حولها ودعمهم لها، قائلة إن الناس يجتمعون حولها متى بدأت في الرسم وأنها مهما استغرقت من وقت في عملها فهم لا يملون بل يظلون يتحدثون عن الأحداث والأوضاع في البلاد.

وأفادت أن "الغرافيتي في أوروبا معروف بأنه فن رجالي أكثر لأنه متعب جسديا ويحتاج في حالة وجود شرطة إلى الهرب"، مشيرة إلى أنها من أول الأشخاص الذين يقومون بالغرافيتي في السودان فلا أحد يعرفها من قبل.

وقالت "أكثر أمر لافت في الاعتصام هي فنون الغرافيتي، كانت معبرة أكثر من الكلام.. عندما تعبرين على حائط بالرسم فإن كل واحد يفهم اللوحة على حسب قدرته وفهمه وطريقة تفكيكه.. فكلما يتأثر واحد بصورة أحسن مما تتكلم بشكل مباشر.. تريد من الشخص أن يفهم كلامك اتركه يتأثر في البداية قبل أن يستوعب الكلام".

وأضافت في خاتمة حديثها أنها وجدت في طريقها أناسا رفضوا كيف أن امرأة واقفة بالبنطلون وتخاطب الناس.. وأنهم يعتبرونها فتاة متحررة مع أن القضية التي تتحدث عنها أكبر من الوقوف عند المرأة وماذا تعمل أو تلبس.. "لماذا نترك كل القضايا المهمة للغاية في بلدنا ونركز في هذا الوقت الحساس على المرأة".

في حين قالت الفنانة التشكيلية اليمنية، هيفاء سبيع، التي ذاع صيتها بفضل نضالها ضد الأوضاع المتردية في اليمن عبر ريشتها "رسالتي تدعو إلى السلام، فئتا النساء والأطفال هما الأكثر تضررا في هذه الحرب، لا أحد يلتفت إلى هاتين الفئتين، الحرب عبثية واستهدفت كل شيء في اليمن، لم يبق شيء".

وجداريات هذه الفنانة التشكيلية، التي كرست عشقها للفن بدل مجال تخصصها الجامعي وهو المحاسبة، مناصرة لقضايا الطفل والمرأة.

ولا تكاد الطبيبة السودانية، رنا عامر، تختلف عنها فقد قالت في توضيح علاقة الطب بالرسم إن الاثنين "يشتركان في الإحساس بأوجاع الناس، فالطب يعالج المشكلات الصحيّة ورسام الكاريكاتير يعالج أمراض المجتمع المتنوعة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية"، وهي تحاول عبر صفحة فيسبوكية تحمل اسمها مشاركة متابعيها أوضاع بلدها بالكاريكاتير رغم إقامتها وعائلتها في أيرلندا.

وتعود شهرة هذه النماذج النسائية وغيرهن كثير إلى محاولتهن المساعدة في النهوض ببلدانهن، التي تعاني عدم استقرار سياسي، عبر الفن: رسما أو كتابة أو إخراجا، معتبرات أن خدمتهن للوطن تكمن في لفت انتباه العالم إلى قضاياه عبر فنهن، حيث أثنت عامر على مشاركة المرأة في الاحتجاجات مؤكدة "أحسنت بالتأكيد الاختيار خصوصا اختيارها للقلم، الريشة، العدسة أو حتى الهتاف والسير في مواكب الاحتجاج.. ذلك دليل على درجة الوعي والثقافة العالية التي تحظى بها المرأة العربية والمرأة السودانية خاصة التي أثبتت للعالم مدى النضج الفكري والإرادة القوية وجرأة الشخصية ولم يثنها القتل والتعذيب عن الاستمرار في المطالبة بمدنية الحكم".

وتابعت الطبيبة السودانية في حديثها لـ"العرب"، "بالفن ترتقي الشعوب وهو أيضا يستطيع إيصال رسالته لكل فئات المجتمع بكل مستوياته الفكرية وعن نفسي بالكاريكاتير تصل الرسالة بطريقة سلسة وساخرة وجاذبة إلى الحد الذي يجعل المتابع يتلهف لمتابعة المزيد". وشددت على أن "برهان النجاح هو رد الفعل الإيجابي من الجمهور لما نقدمه وتفاعله الكبير وتشجيعه، وبالتأكيد كل ما كان ذا جودة ويلامس الواقع، كان أكثر تأثيرا، ولا يستطيع شخص الآن تغييب دورنا الفاعل في كل المجالات".

وهذا النوع من النضال الاحتجاجي لا يعد جديدا على المرأة، فقط هي حولت فرشاة الرسم من الخربشة على جسدها إلى الرسم على جدران الشوارع، أو عبر عدسات كاميراتها أو سكب المزيد من الأحبار لتؤكد للعالم أنها قادرة على تمثيل قضاياها وقضايا بلدها.

وعملت العديد من المبدعات وبالخصوص الفنانات التشكيليات على إحداث إبداع بصري ملأ شوارع بلدانهن أو صفحاتهن على موقع فيسبوك، للانتفاضات التي أطاحت ببعض القادة العرب، وجعلن العالم من حولهن ينظر إلى لوحات توثق للأحداث الجلل الحاصلة ببلدانهن، وهذه المبادرات التي غالبا ما كانت فردية طغت عليها اللمسات الأنثوية رغم المشاركة الذكورية.

ما جدوى الفن

من هنا حَملت هذه النزعة الاحتجاجية ذات الطابع الأنثوي العديد من التساؤلات حول جدوى الفن في أي حراك تقوده المرأة خصوصا داخل المجتمعات، حيث يرى الباحث العماني في علم الاجتماع، مبارك بن خميس الحمداني، أن سؤالي هل للفن أساسا دور فاعل في حركة المجتمعات العربية؟ وهل يرتكز كمرتكز حيوي في سياق قضاياها وتحولاتها؟ مهمان جدا، موضحا "حين أتحدث عن دور الفن في حركة المجتمع، فإنني أقصد مدى التفاعل الحيوي بين الفن وقضايا الأفراد داخل المجتمعات والقضايا المركزية التي يعيشها المجتمع أو تلك العوارض التي تعرض على حياتهم ومعاشهم اليومي".

وأضاف الحمداني لـ"العرب"، "الفن في تقديري يجب أن يكون عنصرا متفاعلا وليس مجرد موقف تعبيري إزاء قضايا بعينها أو وسيط لرسائل غير مباشرة إزاء أحداث.. إذا أخذنا هذا الافتراض بالضرورة سنتعامل مع الفن بوصفه نوعا من المعالجات الذوقية للواقع وترميما لطرائق التفكير قبل أن يكون رسالة تعبيرية عن مواقف إزاء قضايا بعينها".

وختم الحمداني بالقول "وإذا ما تحدثنا عن محورية دور الفنانة العربية في هذا الإطار فهذا يطرح سؤالا آخر بالضرورة وهو هل المرأة بالأساس فاعل اجتماعي حيوي في حياة مجتمعاتنا العربية؟ بمعنى هل إنتاج المرأة، ليس فقط في الفن وإنما في كل أوجه الحياة، يحمل قيمة اعتبارية في المجتمع تدفع بهذه المجتمعات إلى التفاعل معه وتوخي رسالته وتبنيها؟".

تحليل عالم الاجتماع العماني كشف عن محاولات خفية لقبر مساعي النساء للخروج بأوطانهن من بؤر الفساد والمظالم، وشدد على قصور النظر لكل ما تقدمه المرأة وإن شهد في جله تفاعلا جماهيريا واسعا على المنصات الاجتماعية وبين صفحات بعض الصحف والمواقع الإلكترونية. لكن أركان الجابري، رسام وإعلامي عراقي، يرى أن السبب وراء ذلك أن "المرأة العربية تعاني بشكل عام اضطهادا اجتماعيا واضحا نظرا للتطرف الذي يمارسه العرب في تلك المناطق".

وتابع الجابري في حديثه لـ"العرب" "ففي السابق كانت محكومة من قبل نظم استبدادية كانت المرأة فيها بين المطرقة والسندان وكانت هذه النظم المتطرفة لا تمارس حركتها بشكل علني". وأضاف "وأصبحت هذه النظم اليوم أكثر حرية وتمارس معتقداتها بما تريد وتشتهي ووجهت تخطيطها نحو المرأة باعتبارها الكائن الأضعف في المجتمع وهنا جاءت الفنانة محاولة تغيير واقعها نحو ما تراه ضروريا لمحو الماضي الأليم لكنها اصطدمت بحركات وتيارات عنيفة تحاول الحد من ركوب موجة التغيير".

ومع ذلك قاومت الكثيرات راكبي موجات التغيير، رغم الفوضى السياسية التي تزج ببلدانهن في معمعة من الأزمات المتتالية، وحاربن لإيصال أصواتهن وأصوات الفئات المقبورة بمجتمعاتهن، ومن بينهن الفنانة التشكيلية اليمنية، سبأ القوسي، أحد رموز المقاومة، التي كانت ولا تزال تلعب دورا فاعلا في إبراز المعاناة التي يتجرعها شعبها جراء الغارات الجوية والقصف والمواجهات.

وقالت القوسي إجابة عن سؤال "العرب" هل الفنانة قادرة على المساهمة في إنقاذ وطنها من عدم الاستقرار السياسي عن طريق فنها؟ "تبادر إلى ذهني حال قراءة السؤال الفنان الشهيد ناجي العلي الذي شكل جبهة قتالية بحد ذاته بفنه الكاريكاتوري الذي يوجز الآلاف من الكلمات والتحليلات والسجالات الخطابية ويختصرها برمزين أو ثلاثة في عناصر لوحاته، بحيث كانت كفيلة بإيذاء العدو الإسرائيلي وتنوير العقل العربي في نفس الوقت بقضيته المركزية الفلسطينية". وأضافت "من شأن العمل الفني أن يحرك جمود الذهن للفنان نفسه ولمن حوله حين يحمل هذا العمل رسالة جمالية، أما حين تشمل هذه الرسالة الفنية مضمونا أعمق من صياغة الجمال، كتجسيد حال المجتمع وواقعه وتنويره بما هو مغيب عنه فتلك إضافة نوعية ترفد الحياة الاجتماعية والسياسية بما يخدم مسار بناء المجتمعات وفق خط معاصر متحضر".

الفنان يجسد الحرب بطريقته

يبدو الفنان من هذا المنطلق أنه يعيش الحرب على طريقته ويجسدها على طريقته وأحيانا يرسل رسائل على طريقته، وأوضحت القوسي ذلك قائلة "الفنان له بصيرة تميزه عن الآخرين برؤية إنتاجية تعطي لبيئته الكثير ولذلك ارتبط الفن بسبر أغوار التفكير والتأمل، لاسيما والفنان يعمل على تجميل واقعه عبر فنه ولوحاته التي تعتبر رسائل يعبر بها عن فكرة ويرفض بها فكرة أخرى، كما أن الفنان قد يسخر لوحاته وأفكاره للدفاع عن وطنه ومقاومة المعتدي بقدر ما يساهم بريشته في تمجيد نظام أو التشنيع بنظام آخر".

وأشارت إلى أن الفن حالة وجودية خلاقة تسعى للبناء لا الهدم لذلك فـ"أنا اعتبره أداة من أدوات النهضة ومعيارا لتحضر الشعوب طالما الرسام ملتزم بأخلاقيات الفن بحيث يسخر موهبته لبناء مجتمعه وتغيير المفاهيم المغلوطة، وتوثيق الحاضر بأمانة وصدق.. ولن نستثني مخاطره فكل أداة سلاح ذو حدين".

وتعد حادثة إزالة جداريات تعبر عن مشاهد من واقع تونس منذ ثورة 14 يناير 2011 كانت مرسومة على أعمدة "قنطرة القرش الأكبر" (جسر) الواقعة في قلب العاصمة التونسية، من قبل وزارة التجهيز، مارس الماضي، خير دليل على نهوض الفن بدور توثيقي كبير.

فقد شنّت مجموعة من الفنانين على امتداد ثلاثة أيام حملة هدفها بث الروح من جديد في الجسر استجابة لاستهجان التونسيين عبر مختلف المواقع الاجتماعية التشويه الذي طال هذه الرسوم. وكذا أظهرت شوارع جل الدول التي تشهد حراكا سياسيا، تفاعلا كبيرا، مع المشهد الجديد الذي فرضته مقاومة نسائية من نوع آخر ترتقي بالفوضى السياسية إلى ثورة فنية تقدم رؤية ناضجة للتوعية بمخاطر الانتهاكات المختلفة للحقوق والحريات التي تعاني منها المجتمعات.

وكانت الممثلة المسرحية والكاتبة والإعلامية العراقية، وداد هاشم، مثالا حيا عن المرأة التي كافحت دخل وطنها المنكوب للارتقاء بمستواها العلمي لتحصيل هذه الدرجات إلى جانب الإنشاد، رغم اعتراض ذكوري كبير حكمته عدة عوامل وخلفيات أيديولوجية يضج بها المناخ العراقي.

وقالت هاشم، المقيمة في مدينة كربلاء، "في ظل الأحداث المأساوية وتحديات الظروف التي يمر بها بلدنا وقضايا المرأة العراقية وخاصة الفنانة بين الواقع والمأمول، فإن تصحيح صورة المرأة لن يكون إلا بمواجهة العادات والتقاليد والأعراف والموروثات الثقافية التي تعيق عملها، والحل عليها أن تكون قيادية حازمة باتخاذ قراراتها".

سبأ القوسي

الفن أداة من أدوات النهضة طالما التزم الرسام بأخلاقيات الفن بحيث يسخر موهبته لبناء مجتمعه

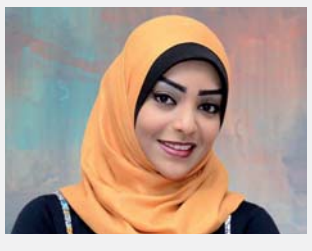

رنا عامر

برهان النجاح هو رد الفعل الإيجابي من الجمهور لما نقدمه.. لا يستطيع أحد الآن تغييب دورنا الفاعل

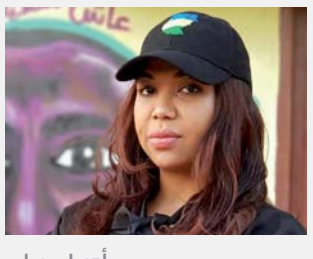

أصيل دياب

الغرافيتي في أوروبا معروف أنه فن رجالي أكثر لأنه متعب جسديا ويحتاج في حالة وجود شرطة إلى الهرب

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

خدمة رفيق المسن تضمن له البقاء وسط أسرته

برنامج حكومي يستهدف صون تركيبة الأسرة المصرية ورد الجميل لكبار السن

ليس بالضرورة أن يعبر إيداع كبار السن داخل مراكز الرعاية عن جحود أو تخلص من المسؤولية، فاحتياجات هؤلاء ومتطلباتهم لها دور في هذا القرار الصعب على الطرفين، لذلك اتجهت بعض الدول العربية إلى توفير ما يسمى بالزيارة المنزلية لرعاية المسن في منزله ووسط عائلته دون اللجوء إلى دور الرعاية. وفي مصر تم استحداث وظيفة تحت مسمى "رفيق المسن" للاهتمام بكبار السن في منازلهم وبأجر رمزي.

القاهرة - أقدمت وزارة التضامن الاجتماعي في مصر على عقد دورة تدريبية تنتهي آخر يوليو الجاري، لتأهيل 150 شابا وفتاة كمرحلة أولى، تليها مراحل أخرى للوصول بالعدد إلى 1500 شخص من أجل تجهيزهم لوظيفة "رفيق للمسن" في المنزل.

وكشفت دراسة قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية (جهة رسمية) عن معاناة المسنين في دور المسنين وإصابتهم بالاكتئاب نتيجة بعدهم عن منازلهم وانفصالهم عن أسرهم. ولم تكن الفكرة غريبة عن قطاع كبير من المصريين، فهناك مئات يعملون رفقاء للمسنين بصفة غير رسمية وتعج بهم مواقع التواصل الاجتماعي ومكاتب الخدمات والصحف.

الجديد أن الخطة تتبناها جهة حكومية بأجر رمزي، وتقوم على إعداد كوادر، بما يعيد الثقة إليها بعد تحولها من عمل إنساني إلى وسيلة للابتزاز وجني الأموال.

وسارع إلى التقديم في الدورة المؤهلة الآلاف من المواطنين، ممن تتراوح أعمارهم بين 18 و45 سنة (طبقا للشروط)، لأنها ستحقق الاستقرار النفسي لكبار السن وأسرهم معا.

وأوضح أحمد خالد، أنه تقدم للحصول على الدورة التدريبية لمميزاتها، ولأن الجمعيات المعنية بالدورة تلتزم باستحداث كود تأميني جديد باسم رفيق المسن، والحصول على شهادة معتمدة تؤهل للحصول على وظيفة، مقابل رعاية مسن واحد في منزله من الثامنة صباحا حتى الثامنة مساء، والاهتمام بشؤونه الحياتية والنفسية والصحية والتحدث إليه.

وعلقت إحدى السيدات قائلة "أريد الحصول على الدورة دون الوظيفة لكي أعتني بأمي العاجزة وأبي الذي شارف على الثمانين من العمر، فلا أعرف كيف أتعامل مع تقلباتهما المزاجية وصرت لا أفهمهما".

حين يكون الكبر معاناة

من جانبها رحبت إيناس محمود -تعيش في قرية كفر شكر بمحافظة القليوبية، شمال القاهرة- بفكرة توفير مُرافق لديه خبرة التعامل مع المسن في منزله، وتضمن الجهات الحكومية أمانته.

وتمثل هذه الخطوة حماية مزدوجة للمسن وأسرته من ابتزاز المُرافق الخاص، ولا تضطرهما إلى اللجوء لدار الرعاية والوقوع تحت ضغط مادي ونفسي.

وذكرت إيناس لـ"العرب" أنها تسافر ثلاثة أيام في الأسبوع لترى أباها البالغ من العمر ثمانين عاما، ويقيم بدار المسنين في إحدى ضواحي القاهرة. وأصابت الصدمة بعض المحيطين بها ولاحقتها نظرات العار، وتساءلوا "كيف تفعلين ذلك بوالدك؟ وكنت أردّ قائلة ما باليد حيلة".

وأشارت إلى أنها كانت ترعاه معظم الوقت، لكن أصبح الأمر مستحيلا بعد تدهور صحته وإصابته بالزهايمر، ورفض الممرضون تحمل مسؤولية مرافقته منزليا، وابتزها آخرون أقاموا معه مدةً قصيرة.

وتقدر التكلفة الشهرية التي يتحملها المواطن بنحو 400 دولار في دُور الرعاية التي تقدم حزمة من الخدمات وكلما زاد مستوى الرعاية زاد المبلغ. ولا تخفي السيدة الأربعينية شعورها بالألم عندما يسألها والدها: متى ستأخذه معها إلى منزلهما؟ مؤكدة أنها بمجرد تفعيل خدمة رفيق المسن ستخرجه من الدار فورًا.

> برنامج رفيق المسن درس عملي للأسرة في كيفية رعاية كبار السن، لأنهم ليسوا مرضى بل هم في مرحلة عمرية لها احتياجات نفسية واجتماعية أكثر منها جسدية

ويعاني والد إيناس من مرض الزهايمر الذي يتعرض له الكثير من كبار السن، ومن المتوقع أن يتنامى هذا المرض، لأن تقديرات منظمة الصحة قالت إنه بحلول عام 2050 سوف يتضاعف عدد من تخطى الثمانين نحو أربعة أضعاف العدد الحالي ويصل إلى 395 مليون شخص، ويصاب واحد من بين كل ستة أشخاص في هذا السن بالخرف.

وترى عاملة في مجال تقديم خدمة الرعاية للمسنين، وترعى والد إيناس، أنه من الأفضل رعاية المسن منزليا، كي لا يصاب باكتئاب يجعله عرضة للإصابة بأمراض مزمنة. وأضافت لـ"العرب" أن وجود المسن وسط أسرته له مردود إيجابي على صحته، وهو ما لاحظته عندما أشرفت على حالات منزلية، شريطة توفير مرافق أمين، في حالة المرض لحمايته من المخاطر.

وتنصح المشرفةُ رفيقَ المسن المستجد بأن المسنين أمانة ويحتاجون إلى إنسان لا إلى موظف يتقاضى أجرا، ويجب بذل الجهد للوصول بهم إلى أعلى مراحل الأمان. ويقدم برنامج رفيق المسن درسا عمليا للأسرة في كيفية رعاية كبار السن، لأنهم ليسوا مرضى بل هم في مرحلة عمرية لها احتياجات نفسية واجتماعية أكثر منها جسدية.

ويقول فتحي سالم -في العقد الثامن من العمر، مقيم بدار المسنين وسط القاهرة- "لم أرغب في البقاء وحدي بالمنزل، وأكون قصة لجريمة تسردها صفحات الجرائد، أو أموت ويتعفن جثماني دون اكتشاف ذلك".

ويوضح لـ"العرب"، أنه حزين بسبب الابتعاد عن منزله الذي أشرف على بنائه فهو مهندس مدني، وكان يريد الاستمتاع بما تبقى من حياته مع رفيقة دربه بين جدران المنزل.

وتذكر عندما اجتمع أبناؤه الثلاثة لتقاسم تركة والدتهم عقب وفاتها، وبعد الانتهاء أخبروه بقرارهم الهجرة إلى إحدى الدول الأوروبية، وعندما استفسر أصغرهم "ماذا سنفعل بهذه التركة الآدمية" مشيرا إلى نفسه، تبخر حلم البقاء في المنزل وطلب الإقامة في إحدى دور المسنين.

وتجدد أمله الآن بعدما علم بخدمة رفيق المسن، لأنها ستوفر له العيش في أمان تحت إشراف جهة حكومية.

وأكدت أستاذة علم النفس الاجتماعي سامية الساعاتي أن تأهيل الشباب لمرافقة المسنين استعادة لثقافة رد الجميل التي توارت، وتصدّ لتنامي فكرة إرسال الأهل إلى دور المسنين التي باتت حلا للكثيرين بعدما كانت مجرّمة، وهو محفز للأجيال الناشئة على التمسك بوجود المسنين ضمن أفراد الأسرة.

ومن المتوقع أن تقلل تلك الخدمة من انفراط عقد الأشقاء داخل الأسرة، لأن رعاية المسن تحولت إلى مصدر خلافات بين الإخوة في الحالات التي يتملص فيها أحدهم من مسؤولياته.

ديكور

اللون الأصفر يبث أجواء السعادة على الديكور الداخلي

يدلّ اللون الأصفر على التفاؤل والترحيب بالآخرين، لكن استخدامه في التزيين صعب.

يلفت الأصفر الأنظار، لكن خبراء الألوان ينصحون بالحذر عند استخدامه. إذا لم تكن مستعدا للعيش في غرفة زاهية صفراء، يمكن أن تتجه إلى الألوان الزاهية الأخرى كخيارات بديلة أضمن تتيح لك الراحة النفسية المنشودة.

يحب ويل تايلور، وهو مؤسس مدونة "برايت بازار" وخبير في فن التصميم الداخلي، اللون الأصفر. ويقول إن هذا اللون يجسّد السعادة.

وتصف مديرة قسم التصميم في "بيتر هومز أند غاردنز" (منازل وحدائق أفضل)، جيسيكا توماس، اللون كـ"أشعة شمس في علبة".

وتقول دي شلوتر، المختصة في استخدام الألوان في التسويق، إن اللون الأصفر علامة مميزة للسعادة. وتضيف "يعزز الأصفر المشرق والمنشط للعقل ويساعد على تدفق الإلهام والإبداع".

تحدثت شلوتر إلى استخدام اللون قائلة "تميل الدرجات الدافئة من اللون إلى تزيين الجدران.

وتعد الدرجات الأكثر إشراقا مثالية على الباب الأمامي، وعلى أحد جدران غرفة النوم أو الطعام لتوفير لمسة غنية ولمّاعة".

يقول تايلور إن الأصفر هو ملك الألوان المبهجة. وهو قادر على أن يجلب الأبصار على الفور، وعلى أن يضيف روحا على الغرفة تجعلك تبتسم كل مرة تدخل إليها. كما أن إشعاعه يبث روح التفاؤل والطاقة الإيجابية.

إذا لم تكن ترغب حقا في الالتزام باللون على الجدران أو الأبواب، فكر في إضافة قطعة أثاث صفراء إلى الغرفة.

تبيع متاجر الأثاث مقاعد صفراء، تتيح للون الأصفر أن يأخذ مركز الصدارة، كما توفر مجموعات من الستائر والزرابي ذات اللون الذهبي بدرجاته الفاتحة الجذابة.

المسكن عماد الاستقرار الأسري

محمد خديمي

كنت فرحا بإنجاز قسم من الأشغال التي أقيمها في منزلي، بما يسمح بالسكن فيه، ولفرحتي سببان؛ الأول يتمثل في الشعور بالانعتاق من سطوة المؤجرين سواء في ما يتعلق بارتفاع قيمة التأجير والتي شارفت عنان السماء، شأنها شأن ارتفاع أسعار كل المواد والخدمات أو ما يتعلق بالقلق الذي يسببونه نتيجة تفقّد محل الكراء في كل الأوقات ودون مراعاة للحرمة الأسرية.

أما الثاني فهو الشعور بالاطمئنان على مصير أفراد العائلة، وخاصة الأبناء في ظل عدم وضوح الرؤية وانسداد الأفق وتفشي ظاهرة البطالة في ما يخص مستقبلهم المهني والمادي، حتى أنه يكاد يكون من الصعب جدا اقتناء منزل في الظروف الاقتصادية والمادية الصعبة جدا، أضف إلى ذلك ضبابية المشهد بالنسبة للأبناء الذين فقدوا الأمل في إمكانية تأمين الحدّ الأدنى من المتطلبات المادية للاستقرار الاجتماعي.

نشرت في تدوينة فيسبوكية ما يلي "الحمد لله والشكر لرب العزة.. استطعنا أخيرا أن نسكن بيتا لا ننتظر أن يدقّ بابه مؤجّر..."، فتفاعل معها أكبر عدد ممكن من أصدقائي الافتراضيين، على عكس تدويناتي التي كنت أظنّ أنها أكثر أهمية بما أنها تطرح مواضيع متنوعة، بنكهة سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية وأحيانا فلسفية، وكنت أودّ مدّ جسور التواصل مع أصدقائي عبر نقاشات وحوارات فاعلة ومثمرة تعود بالإفادة المعرفية علينا جميعا.

اكتشفت من خلال حجم التفاعل مع تدويناتي سالفة الذكر أمورا عديدة تتعلّق ببناء الشخصية العربية وبالعقلية التي تحكم حياة النّاس، وتذكرت مثلا شعبيا سائدا اتخذ في انتشاره صفة القول المأثور "الوكر وكري ولو على عود يابس"، والوكر هو عشّ الطير، والدلالة الرمزية هي شدّة التعلق بالمكان كعنوان بارز للهوية والوطنية والمواطنة..

لا تتأسس الأسرة العربية عموما وفي جميع الأقطار العربية إلا على مفهوم الاستقرار، ومن أهم معاني هذا الاستقرار المكان الذي يختزله المنزل. فعندما يهمّ أحد الشبان لخطبة فتاة ما فأول سؤالين يطرحان عليه هما: ماذا تعمل؟ وهل لديك منزل خاص؟ وإذا توفّرا فهذا يعني القبول بالشاب كصهر للعائلة دون الخوض في بقية التفاصيل المتعلقة بالشخصية وطريقة التفكير وموقع المرأة من كل ذلك.

يسمّون المنزل بـ"قبر الحياة" وهي تسمية محمّلة بأبعاد اجتماعية مترسّخة عبر التاريخ، فالقبر هو دلالة صارخة على "الاستقرار" و"الديمومة" في المكان، هذه التسمية تجعل البيت على رأس قائمة الأولويات الحياتية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها وربما تكون الأولى والأخيرة إذا ما كانت الموارد المادية ضعيفة.

السؤال الإشكالي في الموضوع هو: لماذا تولي الأسرة العربية كل هذه الأهمية للمسكن؟

في بنية الأسرة بعض الإجابة لأنها لا تزال تحافظ على الروابط الوجدانية العميقة التي تجمع أفرادها، فرغم التطوّر وظهور ما نعتقد أنه بوادر لتفكك الأسرة بمفهومها التقليدي

> لا تتأسس الأسرة العربية، وفي جميع الأقطار العربية، إلا على مفهوم الاستقرار، ومن أهم معاني الاستقرار المكان الذي يختزله المنزل. فعندما يهمّ أحد الشبان لخطبة فتاة فأول سؤالين يطرحان عليه: ماذا تعمل؟ وهل لديك منزل؟

إلا أن تلك الروابط الاجتماعية تعلن عن وجودها بقوة في المكان. المسكن ليس مجرد مكان وسقف يظلل أفراد العائلة وإنما هو ذلك الزخم الوجداني للاستقرار.

زارتني أختي وفي دردشة في الموضوع قالت "غرفة واحدة وغير مجهّزة لا يقاسمك إياها أي كان أفضل من قصر مؤجّر يدقّ صاحبه الباب ليتفقد أقفاله"، كلامها ومواقف غيرها وما لمسته من تبريكات واهتمام بالموضوع جعلني أعيد ترتيب الأولويات في حياتي وحياة أبنائي وشعرت بأنني قمت بالخطوة المثلى رغم ما تكبّدته من متاعب.. أحسست بنوع من الطمأنينة التي غمرت نفوس كل أفراد العائلة.. المنزل هو نوع من الضمانة تؤمن مستقبل الأولاد.

البيت ليس مجرد جدران تقي البرد والقيظ، إنه مكوّن مادي ووجداني من مكونات البنية الأسرية على المستوى الذهني، وهو ما دفعني إلى تذكر مقطع قار في بنية القصيدة الجاهلية والعربية القديمة، وهو "الوقوف على الأطلال"، وأطلت التمعّن في دلالاته رغم أن القبائل العربية القديمة تعيش على الترحال، واتّضح أنّ لوجود الإنسان في المكان حتى وإن كان قفرا، دلالة نفسية وذهنية تتجاوز مجرد الامتلاك.. الآن فقط فهمت لماذا تضحي العائلات بالغالي والنفيس من أجل امتلاك بيت.

مطبخ

تتبيل اللحوم والأسماك بخلطة الطهاة المحترفين

تعدّ تغطية اللحم أو السمك أو الخضروات بخلطة سائلة مختارة من التوابل وتركها لتمتص النكهات لبضع ساعات طريقة رائعة لتعزيز مذاق الطبق.

ولكن هناك بعض القواعد التي يجب اتباعها للحصول على أقصى استفادة من التتبيلة السائلة، خاصة عندما تخطط لشي الطعام.

أولا لا تنساق إلى وضع عناصر تتبيل إضافية بعد بداية عملية الشي، فهذا سوف يعرضك لخطر تقطير الدهون على الفحم، وحتى قبل ذلك، يجب عدم وضع التتبيلة بأكثر من اللازم.

قم بوضع طبقة رقيقة من التتبيلة على ما تريد طهيه قبل تركه في الثلاجة لمدة تصل إلى 24 ساعة. ومع اللحم، كلما كانت القطع أكثر سُمكا، كلما احتاجت لتركها فترة أطول في التتبيلة السائلة.

وإذا لم يكن لديك متسع من الوقت للتتبيل وأردت إعطاء النكهة للأطعمة، فعليك أن تقوم بالشي أولا ثم وضع التتبيلة عليها، وإلا فإنها سوف تجف وتفقد النكهة.

وتزيد أهمية هذه الطريقة إذا كنت تستخدم عند الطهي رقائق الألومنيوم أو صينية للشي.

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

تباين مردود مدربي المنتخبات العربية في الكان يثير التساؤلات

بلماضي يرفع أسهمه وأغيري وجيراس على محك الانتقادات

يرجع الخبراء والمحللون قيمة أي منتخب ومدى جاهزيته للمنافسة والذهاب بعيدا في أي مشاركة يخوضها إلى قيمة اللاعبين الذين يدافعون عن راية ذلك المنتخب ولا يبخلون بأي جهد فوق الميدان، فيما يرى آخرون أنه مهما كانت القيمة الفنية للاعبين في غياب خطة تكتيكية واضحة المعالم على أرضية الملعب، فإن الحديث عن النجاح يصبح مجرد لغو.

مدرب انتظره الجزائريون طويلا

القاهرة - طرحت مسألة النجاح اللافت للمنتخبات العربية المشاركة في أمم أفريقيا وفشل أخرى أو عدم إقناعها أسئلة محيّرة تباينت حولها رؤية المحللين والفنيين، لكنها صبّت في مجملها في خانة أن الخطة التكتيكية للمدربين أو ما يعبّر عنها كرويا بالخلطة السحرية للمدرب التي تظل الحلقة الأهم لكيفية اشتغال منظومة اللعب داخل الفرق أو المنتخبات، هي التي تفسر نسبة النجاح أو الفشل في أي مسابقة كروية يخوضها هذا الفريق أو ذاك.

ولا حديث هذه الأيام في الشارع العربي والمغاربي سوى عن المنتخبات المتأهلة وتلك التي حجزت أماكنها في الصف الأول لمجموعاتها التي تنتمي إليها وحققت أرقاما قياسية بمحافظتها على شباك نظيفة طيلة مباريات الدور الأول، فيما يركز شق ثان من المحللين ومتابعي كرة القدم العربية على المدربين وما قدموه من خيارات تكتيكية واختيارات فنية للنهوض باللاعبين وحجز ورقة الترشح.

وكثيرا ما تتخلل المسابقات القارية مثل بطولة أمم أفريقيا الدائرة منافساتها بمصر حلقات نقاش وتحليل لمردود المنتخبات ومستوى الفنيين وطريقة لعب اللاعبين وغيرها من المواضيع التي تطرح على الموائد المستديرة للمحللين والفنيين.

تأكيد.. ولكن

رغم التأكيد الذي أظهرته معظم المنتخبات العربية المشاركة في هذه النسخة بمصر في الدور الأول، باستثناء تونس، حيث تمكنت أربعة من أصل خمسة مشاركة من حجز بطاقات عبورها للدور الثاني، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود بعض الملاحظات والانتقادات التي طالت هذا المدير أو ذاك، فيما رفّع بعض الفنيين من أسهمهم لدى معظم المتابعين للبطولة. ويتعلق الأمر تحديدا بالمدرب الجزائري جمال بلماضي، الذي أظهر قدرات تكتيكية وأعاد الكرة الجزائرية إلى سالف عهدها وذكّر بأجيال مضت كان لها نصيب الأسد في تتويج الجزائر قاريا.

> خلافا للمردود الذي ظهر به بعض فنيي المنتخبات العربية، ترك العديد من المدربين الآخرين انطباعا جيدا لدى الجمهور الرياضي

ولا يختلف بلماضي كثيرا عن المدير الفني للمنتخب المغربي هيرفي رينارد الذي أظهر هو الآخر قدرات كبيرة وصنع من العناصر المغربية المتوفرة لديه مجموعة متماسكة، رغم انسحابه أمام البينين، الجمعة، بركلات الترجيح (4-1) بعد انتهاء المقابلة بشوطيها الإضافيين على نتيجة (1-1).

وتلقى رينارد مدرب منتخب المغرب إشادة النقاد والمدربين بعد النتائج الملفتة التي سجلها منتخب المغرب. وقال عبدالرحيم طالب مدرب الجيش، إن بصمة رينارد كانت حاضرة في المباريات، مشيرا إلى أنه استطاع أن يقود الأسود لتحقيق نتائج إيجابية.

وأضاف طالب "عرف رينارد بخبرته الأفريقية كيف يواجه كل الصعوبات، خاصة الإرهاق والحرارة، ومكّن اللاعبين من رفع تركيزهم، ما جعلهم يقدمون مستويات مميزة خاصة على المستوى التكتيكي، الذي يبقى من نقاط قوة الأسود".

ومن جهته أكد حسن ناضر النجم الدولي المغربي السابق أن "المنتخب المغربي نجح في الرهان الأول والتأهل لدور الثمن، بفضل العمل الكبير الذي قام به رينارد".

وأضاف أن المدرب الفرنسي استطاع أن يعيد الثقة للاعبين، وأن يصحّح الأخطاء قبل انطلاق النهائيات في المباراتين الوديتين أمام جامبيا وزامبيا.

واعتبر نجم الكرة المغربية السابق عزيز بودربالة، أن رينارد يستحق الإشادة أمام المستوى الذي يقدمه اللاعبون في المباريات.

لكن المدير الفني للأسود حاول التقليل من حجم هذه الإشادات، وقال في تعليق حول هوية المرشح للقب إنه "من المبكر الحديث عن بطل النسخة الحالية من البطولة، هناك فرق قوية للغاية، لدينا الجزائر ومصر والسنغال ونيجيريا، ومدغشقر التي تقدم نتائج طيبة للغاية، توجد أمور جديدة ومفاجآت ستحدث في دور الستة عشر، لأن اللقاء القادم لنا سيكون صعبا للغاية".

وعلى الجبهة الأخرى نجح جمال بلماضي، المدير الفني للمنتخب الجزائري لكرة القدم في إعادة الثقة والروح الجماعية لـ"ثعالب الصحراء"، بعدما صعد بالفريق إلى دور الثاني عن جدارة واستحقاق. وتصدرت الجزائر المجموعة الثالثة بـ6 نقاط لتلحق بمصر ونيجيريا في دور الـ16.

ولم يخف بلماضي الذي عين مدربا للمنتخب الجزائري في يوليو الماضي، طموحه الكبير في الوصول إلى نهائي البطولة، متمسكا بأقواله السابقة والتي جلبت له الكثير من الانتقادات من قبل النقاد والمحللين.

وبدا المدير الفني للخضر واثقا من نفسه ومن العمل الذي يقوم به، فضلا عن معرفته الجيدة والدقيقة بالمنتخبات المنافسة بدليل أنه كشف للصحافيين السنغاليين عن تشكيلة منتخب بلادهم أمام الجزائر قبل المباراة بيوم. كما نجح في جعل المنتخب الجزائري يلعب بروح جماعية وتعاون غير مسبوق.

ويقول رياض محرز الذي أصبح قائدا لـ"الخضر" منذ انطلاق الدورة القارية، إن التعاون بين اللاعبين أصبح السمة البارزة لهذا المنتخب، وإن الجميع أصبح يهاجم ويدافع من أجل الفريق. ويشدد محرز على أن كل اللاعبين ينفذون بدقة التعليمات التكتيكية للمدرب في الملعب.

ويشير إسماعيل بن ناصر، لاعب إمبولي الإيطالي، والذي اختير أفضل لاعب في المباراتين أمام كينيا والسنغال، إلى ما وصفه بـ"سحر" بلماضي في الفوز على كينيا ثم السنغال، مؤكدا أن اللاعبين يطبقون ما يطلبه المدرب منهم.

لكن بلماضي، وبتواضع كبير رفض أن ينسب الإنجاز الذي حققه المنتخب الجزائري لشخصه، مؤكدا أن الفضل في ذلك يعود إلى اللاعبين الذين يؤدون ما يريده الجهاز الفني منهم على أرضية الملعب.

دعوات للمراجعة

تخطت مصر الدور الأول بنجاح كبير في التسجيل وتصدر مجموعتها الأولى بتسع نقاط، لكن ذلك لم يشفع من توجيه سهام الانتقادات للمدير الفني خافيير أغيري. ويعيب النقاد والفنيون على الفني المكسيكي الأداء المتواضع للمنتخب المصري وغياب خطة واضحة رغم أنه يلعب على أرضه وأمام جمهوره.

وحاول محمد عمر، المدير الفني السابق للاتحاد السكندري والمنتخب العسكري، التقليل من الانتقادات الكبيرة التي توجه إلى الأداء الفني لمنتخب مصر. وقال عمر "الأهم في البطولات المجمعة مثل كأس الأمم، تحقيق الانتصارات، بغض النظر عن الأداء. الجميع سيتذكر أن منتخب مصر تمكن من تحقيق الفوز، دون أن يتحدث أحد عن الأداء".

وتساءل "ماذا لو أمتع منتخب مصر الجماهير فنيا، وخسر المباراة في النهاية هل سيتقبل أحد ذلك؟".

وأضاف عمر "قمة الأداء الفني هو التمكن من تسجيل الأهداف، وأرى أن منتخب مصر تمكن من تسجيل 5 أهداف في 3 مباريات، وهذا رقم جيد". وتابع "مواجهة جنوب أفريقيا سهلة نسبيا للمنتخب الوطني، مقارنة بمواجهة منتخبات أخرى. تابعت جنوب أفريقيا خلال البطولة، وأرى أنه يعاني من مشاكل دفاعية قاتلة، وإلى جانب العقم التهديفي".

وعلى العكس من رؤية محمد عمر يرى حسن شحاتة، المدير الفني الأسبق لمنتخب مصر، أن مدرب الفراعنة مطالب بأن "يغير شكل الأداء الفني لمنتخب مصر، خلال المواجهات المقبلة في البطولة، خاصة أنها ستكون أصعب وأقوى على الفراعنة".

وقال المدرب القيدوم "مصر تعاني من أزمة في المهاجمين بشكل واضح، وأتعجب من عدم مشاركة أحمد علي هداف بطولة الدوري الممتاز في مواجهة أوغندا". وتحدث عن مروان محسن قائلا "مهاجم مميز ولكن طريقة اللعب وتقييد بعض العناصر التي تلعب خلفه بالواجبات الدفاعية، يؤثر عليه، ويجعله لا يتلقى أكبر عدد من الفرص".

ولكنه أثنى في الأخير على أن "منتخب مصر يتمتع بالخبرة في التعامل مع البطولات الأفريقية، ويتمتع بأفضلية عن بقية المنافسين بفضل عاملي الأرض والجمهور، ونأمل أن يصل إلى الأدوار النهائية في البطولة".

> رغم التأكيد الذي أظهرته معظم المنتخبات العربية المشاركة في هذه النسخة بمصر في الدور الأول، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض الملاحظات والانتقادات التي طالت هذا المدرب أو ذاك، فيما رفع بعض الفنيين من أسهمهم لدى معظم المتابعين للبطولة

ووعد أغيري بأنه سيقوم بمراجعة العديد من الأمور قبل لقاء جنوب أفريقيا في الدور الثمن النهائي، وهو ما نقله عنه إيهاب لهيطة مدير منتخب مصر الذي قال للصحافيين، إن أغيري وعد بالتحسن ومعالجة الأخطاء.

وأضاف لهيطة "تعهد أغيري أمام وزير الشباب والرياضة ورئيس الاتحاد المصري لكرة القدم (بعد زيارتهما لمعسكر المنتخب أمس الثلاثاء) ببذل أقصى جهد من جانبه ومن اللاعبين، للوصول إلى منصة التتويج وإسعاد الجماهير". وأشار إلى أن هدف المدرب المكسيكي هو "تحقيق اللقب بغض النظر عن تواضع الأداء في بعض الأحيان".

على الجانب الآخر من المنتخب المصري، تلوح الأزمة عميقة في منتخب تونس الذي حير متابعيه وأثار نقاط استفهام كبيرة تتعلق بالمدرب واللاعبين على السواء. واختلفت آراء المحللين حول الخطط التكتيكية لهذا الفني، لا بل إن هناك من ذهب إلى المطالبة بإقالته، حيث عبر اللاعب الدولي التونسي السابق زياد الجزيري عن استيائه العميق من المردود الذي قدمه منتخب بلاده أمام منتخب موريتانيا.

وقال الجزيري في تصريح تلفزيوني "لقد شاهدت أسوأ مردود لمنتخب تونس عبر التاريخ. هذا المستوى لا يشرفني كتونسي". وأضاف "فنيا لا يمكن انتظار الكثير من اختيارات هذا المدرب. لو كنت مسؤولا في الاتحاد التونسي لأقلته فورا".

وأكد الصحافي والكاتب مراد البرهومي على صفحة على فيسبوك "مازلت أصر وأقول إن هذا أسوأ مدرب مر على منتخب تونس منذ المختار التليلي في الثمانينات.. مسألة ثانية منتخب تونس هو الوحيد الذي لم يقنع، فحتى المنتخبات المغمورة لعبت وأدت وأمتعت. أما هذا المنتخب فالحظ وحده قد يسعفه مستقبلا مع مدرب 'أبله'".

وقال البرهومي في تصريح لـ"العرب"، "أن ما يعاب على مدرب تونس هو طريقة لعبه وتغيير أماكن اللاعبين، وهذا ما خلق مشاكل عديدة خصوصا في اللقاء الأول أما أنغولا". وأضاف "الكل يعلم أن المنتخب قادر على تقديم ما هو أفضل من الأداء الباهت الذي ظهر به أمام منتخبات لا يمكن أن تقارن بالمستوى الذي قدمه النسور في فترات متراوحة من المسابقات القارية".

إشادة كبيرة

خلافا للمردود الذي ظهر به بعض فنيي المنتخبات العربية في الدور الأول من البطولة، ترك العديد من المدربين الآخرين انطباعا جيدا ولقيت طريقة إعدادهم للاعبين وخطة لعبهم فوق الميدان إشادة كبيرة من الجمهور الرياضي.

وقدم منتخب مدغشقر المشارك لأول مرة في بطولة أمم أفريقيا في مصر مستوى لافتا، وأرجع الخبراء ذلك إلى الأسلوب الذي يعتمده مديره الفني نيكولا ديبوي. لكن المدرب، الذي يجمع بين تدريب مدغشقر وتولي مسؤولية فريق فليري المنافس في دوري الدرجة الرابعة الفرنسي، أبدى الكثير من التواضع وقال إن الفريق لا يزال يبحث عن نفسه في هذه البطولة.

وقال الفني الفرنسي للصحافيين "لا نزال نبحث عن التواجد، يساعدنا كثيرا أن نقول ذلك، المزج بين التواضع والثقة هو ما دفعنا إلى الوصول إلى هنا وسنمضي الآن إلى أبعد مدى على قدر استطاعتنا".

وأضاف ديبوي "تأهلنا للنهائيات إنجاز حقيقي. حضرنا إلى هنا وبلغنا الآن دور 16، يجب أن أوجه الشكر للاعبين الذين جعلوني أشعر بالفخر، وهو نفس شعور شعب مدغشقر. هذا إنجاز حقيقي بالنسبة لنا".

وإضافة إلى مدرب مدغشقر، لاقى المدير الفني لمنتخب موريتانيا الكثير من الإشادة والرضى من المتابعين للبطولة، وهو ما عبّر عنه بالقول خلال مؤتمر صحفي "لعبنا مباراة قوية وغيرنا من طريقة اللعب والتحول من الدفاع إلى الهجوم"، في دلالة واضحة على بصمة المدرب وكيفية تعامله مع أي لقاء. وأشار مارتينيز إلى أنه ليس خجولا من مستوى موريتانيا في البطولة، لأن "القرعة كانت صعبة علينا ولعبنا بقوة أمام أنغولا وتونس".

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

البرازيل تسعى لتثبيت قاعدة التتويج على أرضها

السامبا تبحث عن لقب طال انتظاره عبر بوابة بيرو في نهائي كوبا أميركا

لقاء مكرر بطموحات مغايرة

تريد البرازيل تثبيت قاعدة التتويج بكوبا أميركا في كل مرة استضافت فيها البطولة القارية عندما تواجه بيرو، الأحد، على ملعب ماراكانا الأسطوري في ريو دي جانيرو.

ريو دي جانيرو (البرازيل) - بعد خمسة أعوام من الصدمة الكبيرة التي تلقاها بالهزيمة الكارثية (7/1) أمام ألمانيا في المربع الذهبي لبطولة كأس العالم 2014 بالبرازيل، تبدو الفرصة سانحة أمام المنتخب البرازيلي لكرة القدم أكثر من أي وقت آخر لتعويض وإسعاد جماهيره بلقب طال انتظاره.

ويسدل المنتخب البرازيلي (راقصو السامبا) الستار، الأحد، على فعاليات النسخة السادسة والأربعين من بطولات كأس أمم أميركا الجنوبية (كوبا أميركا)، والتي تستضيفها بلاده، بعد مواجهة منتخب بيرو في المباراة النهائية للبطولة على استاد "ماراكانا" العريق في ريو دي جانيرو.

وأصبح المنتخب البرازيلي قاب قوسين أو أدنى من الفوز بأول لقب له في البطولات الكبيرة منذ 12 عاما، حيث كان آخر لقب أحرزه الفريق هو لقب كوبا أميركا 2007.

ورغم غياب النجم الشهير نيمار دا سيلفا عن صفوف السامبا في هذه البطولة بسبب الإصابة مثلما غاب عن صفوف الفريق في المباراة التي خسرها (7/1) أمام نظيره الألماني في المربع الذهبي لبطولة كأس العالم 2014.

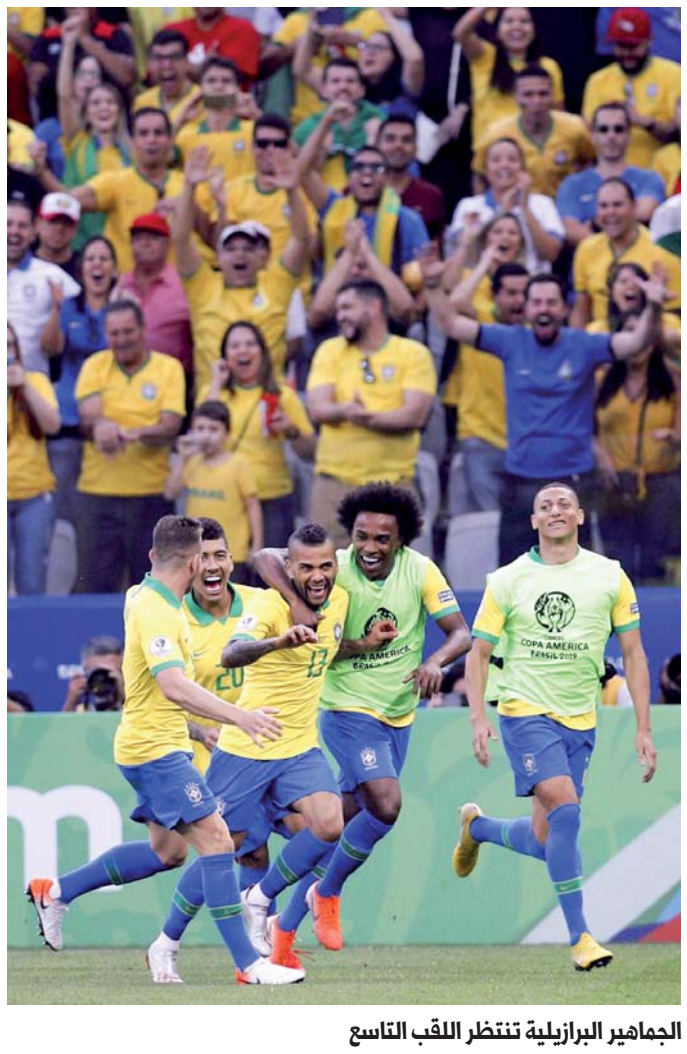

الجماهير البرازيلية تنتظر اللقب التاسع

ولكن هذه المرة يتطلع الفريق إلى نهاية سعيدة بعدما اجتاز الاختبار الأصعب عندما تغلب على غريمه التقليدي المنتخب الأرجنتيني (2-صفر) في الدور قبل النهائي على استاد "مينيراو" في بيلو هوريزونتي، وهو نفس الملعب الذي خسر عليه أمام المنتخب الألماني في مونديال 2014.

وفي 2014، غاب نيمار عن المربع الذهبي للمونديال بسبب الإصابة التي تعرض لها خلال المباراة أمام كولومبيا في دور الثمانية، ولكن اللاعب غاب عن صفوف الفريق في البطولة الحالية بأكملها نظرا للإصابة التي تعرض لها قبل بداية البطولة.

ورغم هذا، شق المنتخب البرازيلي طريقه بنجاح إلى النهائي في غياب أبرز نجومه، ولم تستقبل شباك السامبا أي هدف حتى الآن، وهو ما قد يستمر في المباراة النهائية إذا نجح الفريق في التعامل مع المباراة بنفس الطريقة التي تعامل بها مع مباراته أمام منتخب بيرو بالذات في مجموعته بالدور الأول والتي انتهت بفوز السامبا (5-صفر).

ويمتلك المنتخب البرازيلي العديد من الأسلحة التي تعزز فرصه في الفوز خلال مباراة، الأحد، والتتويج باللقب حيث يحظى الفريق بمساندة الأرض والجماهير، إضافة إلى اكتمال صفوفه بشكل كبير حيث يفتقد فقط اللاعب ويليان الذي استدعي إلى قائمة الفريق لهذه البطولة في اللحظة الأخيرة بديلا لنيمار بسبب إصابة الأخير.

ويعتمد هجوم السامبا بشكل كبير على الثنائي المكون من غابرييل خيسوس نجم مانشستر سيتي الإنكليزي وروبرتو فيرمينو نجم ليفربول الإنكليزي، وقد تعاون اللاعبان بشكل رائع في تسجيل هدفي الفريق أمام الأرجنتين حيث صنع كل منهما هدفا للآخر. كما لعب داني ألفيش قائد الفريق دورا بارزا في الفوز على التانغو الأرجنتيني وينتظر أن يواصل سطوعه مع الفريق لقيادته إلى الفوز على بيرو.

كما يدعم التاريخ المنتخب البرازيلي قبل مباراة الغد، حيث يخوض الفريق النهائي للمرة الخامسة في خمس نسخ استضافها على ملعبه وكان الفريق فاز باللقب في كل من المرات الأربع السابقة لتكون نصف عدد الألقاب الثمانية التي فاز بها في تاريخ مشاركاته بالبطولة.

وفي المقابل، يخوض منتخب بيرو المباراة النهائية لكوبا أميركا للمرة الثالثة في تاريخه وهي الأولى منذ 1975، علما بأنه توج باللقب في 1975 بالفوز على كولومبيا في النهائي، فيما جاء فوزه الآخر باللقب في 1939 عندما أقيمت البطولة بنظام دوري بين جميع المنتخبات المشاركة في البطولة.

وقال الأرجنتيني ريكاردو غاريكا المدير الفني للمنتخب البيروفي "نحن بحال جيدة لخوض المباراة النهائية، ولكننا سنواجه أحد أفضل المنتخبات في العالم.. نبحث عن طرق نربك بها المنتخب البرازيلي، هدفنا هو تحقيق الفوز". وكان المنتخب البيروفي قد حل ثالثا في كل من نسختي 2011 و2015 من كوبا أميركا، كما أطاح بالمنتخب البرازيلي من دور المجموعات في نسخة 2016 بالتغلب عليه في المباراة الأخيرة بمجموعتهما في الدور الأول. كما تأهل المنتخب البيروفي لنهائيات كأس العالم 2018 بروسيا ليكون أول ظهور له في المونديال بعد غياب دام 36 عاما.

ومن أجل تفجير المفاجأة في النهائي، الأحد، وتحقيق الفوز على السامبا، يحتاج منتخب بيرو إلى تقديم أداء أفضل كثيرا مما قدمه خلال مباراة الفريقين بالدور الأول للبطولة الحالية.

وقال يوشيمار يوتون ظهير أيسر الفريق "كانت مباراة صعبة أمام المنتخب البرازيلي، ولكننا سنخوض الآن مواجهة جديدة.. إنها مباراة نهائية ولا بد أن نفوز فيها.. سنؤدي واجبنا وننتزع الكأس". ويعتمد منتخب بيرو بشكل كبير في هذه المباراة على خبرة عدد من اللاعبين الكبار وفي مقدمتهم خوسيه باولو جيريرو الهداف الشهير للفريق.

واستضافت البرازيل البطولة القارية أعوام 1919 و1922 و1949 و1989 ونجحت في كل مرة بالتتويج بلقبها وستكون مرشحة مرة جديدة للظفر به للمرة التاسعة، لاسيما أنها سحقت بيرو بخماسية نظيفة في دور المجموعات خلال النسخة الحالية.

وسيكون مفتاح الفوز في المباراة النهائية، قدرة البرازيل على المحافظة على نظافة شباكها كما فعلت طوال هذه النسخة حتى الآن.

وشدد لاعب وسطها ونادي ريال مدريد كاسيميرو على هذه النقطة بالذات بقوله "إنهاء البطولة من دون أن يدخل مرمانا أي هدف هو هدفنا"، مضيفا "وإذا نجحنا في ذلك، فإن الفضل لن يكون لخط الدفاع فحسب، بل أيضا للاعبي المقدمة الذين ساعدونا وهذا ما حقق الفارق".

> **البرازيل أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الفوز بأول لقب لها في البطولات الكبيرة منذ 12 عاما، حيث كان آخر لقب أحرزه الفريق هو لقب كوبا أميركا 2007**

كما أن العارضة والقائم تدخلا لاسيما في مباراة السوبر كلاسيكو ضد الأرجنتين حيث ردت الأولى كرة رأسية لسيرجيو أغويرو، والثاني تصدى لتسديدة يسارية من ليونيل ميسي في مباراة أثارت انتقادات أرجنتينية بشأن تقنية المساعدة في التحكيم بالفيديو (في.أي.آر) وصولا إلى الحديث عن تدخلات برازيلية على مستوى الفريق الأمني للرئيس جاير بولسونارو.

ويعرف مدافعو البرازيل مكمن الخطورة في بيرو وهو قلب الهجوم باولو غيريرو الذي يعرفه أيضا الجمهور البرازيلي جيدا، لأنه يلعب في الدوري المحلي منذ 7 سنوات، وهو الذي سجل هدف الفوز لناديه كورينثيانز في مرمى تشلسي الإنكليزي ليقوده إلى التتويج بكأس العالم للأندية عام 2013.

أما الآن فيلعب غيريرو (35 عاما) في صفوف إنترناسيونال، علما بأنه ساهم في إحراز ناديه السابقين كورينثيانز وفلامنغو على بطولتي ولايتي ساو باولو وريو دي جانيرو على التوالي عامي 2013 و2017. وحذر مدافع البرازيل ماركينيوس من خطورة غيريرو، بقوله إنه "لاعب يستحق اهتماما خاصا لكل ما قام به في الماضي، أعرفه جيدا وقد لعبت إلى جانبه في صفوف كورينثيانز وواجهته العديد من المرات في المنتخب الوطني".

وكانت المرة الأخيرة التي تواجه فيها ماركينيوس وغيريرو في دور المجموعات عندما مني المنتخب البيروفي بهزيمة قاسية قوامها خمسة أهداف نظيفة في ساو باولو، علما بأن مهاجم البرازيل غابرييل خيسوس أهدر ركلة جزاء أيضا في الوقت بدل الضائع.

بيد أن منتخب البيرو استعاد توازنه بشكل كبير بعد تلك الكبوة وأزاح الأوروغواي حاملة الرقم القياسي في عدد الألقاب في كوبا أميركا (15 مرة) بركلات الترجيح في ربع النهائي، ثم تشيلي حاملة اللقب في النسختين الأخيرتين بثلاثية نظيفة في نصف النهائي.

ضربة حظ

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

بعض سنتيمرات كانت تفصل عن التأهل، وبعض لحظات كانت تفصل بين فرح التأهل ومرارة الانتظار والترقب.

هي لحظات حاسمة للغاية، لحظات كانت بحساب الزمن أطول من الساعات، ففي الوقت البديل من ذات مباراة ضمن مسابقة أمم أفريقيا أعلن الحكم عن ضربة جزاء لفائدة المنتخب المغربي، لو نفذت بنجاح لتأهل "أسود الأطلس" لدور الثمانية وحسم الجدل نهائيا.

في لحظات صعبة عمّ خلالها الصمت وانحبست فيها الأنفاس وتوقفت القلوب عن الخفقان، تقدم حكيم زياش وانبرى للكرة ثم سددها قوية، تهادت نحو المرمى قبل أن تنهال على القائم، فبقيت النتيجة على وقع التعادل واضطر المنتخب المغربي لخوض ماراثون مرهق ضمن الحصتين الإضافيتين ضد منافسه البنيني.

يا له من حظ عاثر، حرم زياش من التسجيل وحال دون ترشح منطقي للمنتخب المغربي، فالمعاناة امتدت، وضربات الحظ "اللعينة" تواصلت.

وانتهاء المباراة بالتعادل أجبر على اللجوء إلى ركلات الحظ القاسية، قاسية لأنها أقصت الفريق الأفضل والأقوى، قاسية لأنها حرمت "الأسود" من التغلب على "السناجب" في مواجهة غير متكافئة القوى، لولا هذا الحظ اللعين.

بعد تلك المباراة، استذكرت لحظات تاريخية ومشاهد سابقة كانت خلالها قسوة ضربات الجزاء أصعب بكثير من أي شيء آخر، فضربات الحظ تكون في بعض الأحيان ظالمة وغير منصفة بل وغير مقنعة، فهي لا تمنح دائما الفوز لمن يستحق بل تتلاعب بالمشاعر وتبعث مثلما شاءت بالأقدار قبل أن تحدد الاختيار.

تذكرت في ما مضى كيف كانت ضربات الجزاء قاسية للغاية على نجم المنتخب الإيطالي روبيرتو بادجيو في نهائي مونديال 1994، فبعد مشاركة ملحمية كان خلالها النجم الأوحد في منتخب بلاده، لم تنصفه ضربات الحظ ليخطئ المرمى ويساعد منتخب البرازيل على الظفر باللقب. تذكرت ما حصل في نهائي مونديال 2006 عندما أبكت ضربات الجزاء عشاق المنتخب الفرنسي الذي خسر أمام نظيره الإيطالي بسبب ركلات الحظ.

استعادت الذاكرة عديد الأدوار النهائية التي كانت خلالها لعبة "الحظ" المقياس الوحيد لاختيار الفائز والمتوج، هذا ما حصل مثلا للمنتخب الأرجنتيني في دورتين متتاليتين ضمن مسابقة "كوبا أميركا" ضد نظيره التشيلي الذي حرم ميسي والأرجنتين سنتي 2015 و2016 من تجديد العهد مع الألقاب بعد جفاء طويل. لكن يا جماعة ألا يمكن القول اليوم إن بعض المفاهيم تغيرت؟ هل يمكن دوما أن تكون ضربات الجزاء قاسية ترتكز فقط على الحظ والبخت؟

أعتقد أن هناك بعض التغيّر، أعتقد أن ضربات الجزاء في زمننا الحاضر بدأت تتخذ شكلا جديدا قوامه التدرب لسنوات طويلة على تنفيذ ركلات الجزاء، أعتقد أن هامش الخطأ لدى بعض المنتخبات والفرق عند التعامل مع هذه الكرات الثابتة بدأ يقل.

لقد أصبح حسن التنفيذ وإتقان وضع الكرة في الشباك جزءا من المنظومة الكروية الجديدة، وبعض المنتخبات باتت لديها تقاليد وخبرات لا تضاهى عند تنفيذ ضربات الجزاء، لقد وضعت الحظ جانبا، واشتغلت لسنوات عديدة من أجل تطوير قدرات اللاعبين في ما يتعلق بالتعامل مع ركلات الجزاء.

ربما يمكن الاستدلال على هذا الأمر من خلال متابعة بعض مباريات "كوبا أميركا"، حيث كان التعامل مع ضربات الجزاء نموذجيا للغاية، لقد انتفى تماما عامل الحظ في هذا السياق، بل كان التنفيذ الجيد والمحكم الركيزة الأساسية لتخطي عقبة المنافسين.

ففي مباراة دور الثمانية بين المنتخب التشيلي والكولومبي تم اللجوء إلى ضربات الجزاء لتحديد الفائز والمتأهل، فبدا منتخب التشيلي في أفضل حالاته، كان جاهزا تماما لخوض التحدي وتخطي عامل الحظ بفضل التنفيذ الرائع والمحكم لضربات الجزاء، فضمن التأهل. لقد أعاد ذلك المنتخب إلى الذاكرة ما فعله في نهائيين متتاليين ضد الأرجنتين ضمن هذه المسابقة القارية، لكن هل تدركون ما حصل في السابق حتى يصبح المنتخب التشيلي بهذه القوة عند تنفيذ ضربات الجزاء؟

في مونديال 2014 واجه هذا المنتخب نظيره البرازيلي في مباراة انتهت بالتعادل، حينها كانت ضربات "الحظ" قاسية فأبعدته من البطولة، مباشرة بعد ذلك قرر الجهاز الفني للمنتخب التشيلي تركيز تمارين قارّة تعنى أساسا بتنفيذ ضربات الجزاء، ساماولي مدرب هذا المنتخب بعد مونديال 2014 أكد أنه سيقصي الحظ من طريق هذا المنتخب، فكان له ما أراد.

أما الأندية الأوروبية العريقة وعددها غير قليل فإنها اعتمدت أيضا هذا المبدأ، لم تعد تؤمن بالحظ في ركلات الجزاء، بات تعليم اللاعبين الصغار طريق التعامل مع الكرات الثابتة بمثابة "الخبز اليومي"، واليوم تبدو المحصلة غير التي كانت في الماضي، فأي فريق يضطر لتنفيذ ضربات الجزاء يكون جاهزا كأفضل ما يكون لكسب التحدي.

أما نحن، فالأمر قد يتطلب منا وقتا طويلا للبكاء والنحيب ولعن الحظ العاثر ثم تناسي الأمر، ونتجاهل أن كرة القدم اليوم باتت بمثابة العلم الصحيح، وتنفيذ ضربات الحظ لم يعد يتطلب بالضرورة الاستنجاد بدعوات للسماء طلبا للحظ.

لوفتوس-شيك يمدّد عقده مع تشلسي لخمسة أعوام إضافية

لندن - مدد لاعب الوسط الدولي الإنكليزي روبن لوفتوس-شيك عقده مع تشلسي لخمسة أعوام إضافية، في أول إجراء يقوم به النادي اللندني منذ تعاقده مع نجمه السابق فرانك لامبارد للإشراف عليه خلفا للإيطالي ماوريتسيو ساري الذي عاد إلى بلاده من أجل تدريب يوفنتوس.

وأعطى ابن الـ23 عاما انطباعا جيدا في أول موسم له كإحدى الركائز الأساسية في تشكيلة تشلسي الذي توج بطلا لمسابقة "يوروبا ليغ" وحل ثالثا في الدوري الممتاز خلف مانشستر سيتي البطل وليفربول، وذلك في أول موسم له مع ساري قبل أن يُتّخذ قرار الافتراق بين الطرفين.

وغاب لوفتوس-شيك عن مباراة نهائي "يوروبا ليغ" ضد الجار اللندني أرسنال بسبب تمزق في وتر أخيل تعرض له خلال مباراة ودية في الولايات المتحدة.

وقال اللاعب لموقع تشلسي "فرحتي الكبيرة وسروري بالحصول على فرصة البقاء هنا لخمسة أعوام إضافية"، مضيفا "أنه المكان الذي ترعرعت فيه وأنا ألعب كرة القدم وآمل أن أواصل اللعب هنا لفترة أطول بكثير".

وانضم لوفتوس-شيك إلى تشلسي عام 2004 كلاعب في فريق دون 8 أعوام وتطور في الفرق العمرية وصولا إلى الفريق الأول الذي خاض معه 72 مباراة حتى الآن.

وفي ظل الحظر المفروض على النادي اللندني لفترتي الانتقالات الحالية والمقبلة أوائل 2020 بسبب مخالفته قواعد التعاقد مع القصر، فإن الإبقاء على اللاعبين الواعدين مثل لوفتوس-شيك مصيري لطموحه بالمنافسة الموسم المقبل على المراكز الأربعة الأولى في الدوري الممتاز.

وفي المقابل سينتقل المهاجم الإسباني ألفارو موراتا المعار إلى أتلتيكو مدريد، بصورة نهائية إلى فريق العاصمة الإسبانية في نهاية موسم 2019-2020، بحسب ما أعلن تشلسي الإنكليزي، السبت.

وقال موراتا على مواقع التواصل الاجتماعي "أنا سعيد لأن الأمر أصبح رسميا".

العرب
الأحد 2019/07/07
السنة 42 العدد 11400

مارسيل خليفة يحيي جمهور بعلبك بـ«تصبحون على وطن»

شارك الفنان اللبناني مارسيل خليفة جماهير حفل افتتاح مهرجانات بعلبك الدولية، والذي أحياه برحلته الفنية بكل تفاصيلها منذ بداياته وصولا إلى آخر إصداراته، وبينهما قدم لمحات تاريخية عن بعض الأغاني.

تفاعل كبير بين الفنان والحضور

بعلبك (لبنان) - افتتح الفنان اللبناني مارسيل خليفة، ببرنامج حافل بالحب والحنين والوطن والثورة، مهرجانات بعلبك الدولية من خلال حفلة عنوانها "تصبحون على وطن"، شكلت رحلة موسيقية غنائية تظهر الوجوه الفنية المختلفة لديه.

ووجه خليفة خلال الحفلة أكثر من تحية لبعلبك وتاريخ مهرجاناتها وبعض أبنائها الذين تعاون معهم في مسيرته الفنية.

وملأ الجمهور الآتي من كل المناطق اللبنانية المدرجات التي تتسع لنحو ثلاثة آلاف شخص في باحة معبد باخوس، ليستمتع بأغنيات خليفة القديمة والمجددة والجديدة والملتزمة دوما بقضايا الإنسان والوطن، أو تلك الشعبية الناعمة.

وبدت موسيقى خليفة الأوركسترالية متسقة مع ضخامة أعمدة المكان الأثري، في إطلالة هي الأولى له منفردا ضمن مهرجانات بعلبك في المدينة نفسها.

وجلس خليفة في وسط المسرح محاطا بالأوركسترا الوطنية الفيلهارمونية اللبنانية التي ضمت نحو 80 عازفا بقيادة المايسترو لبنان بعلبكي. ورافقته جوقة من 70 منشدا.

وشاء خليفة، أن تكون البداية والختام مقطوعة موسيقية ألفها خصيصا لبعلبك عنوانها "ليلة بليالي". وقدم مقطوعة موسيقية عنوانها "صلاة الليل" مستوحاة من اللحن الشعبي "الحنة" الذي أعاد صوغه بضخامة سيمفونية، أهداها إلى "كل (الفنانين) الذين مروا في بعلبك ورحلوا كالأخوين رحباني وتوفيق الباشا وزكي ناصيف وصباح ونصري شمس الدين وآخرين". وقال "ليس بالأمر السهل أن تكتب لبعلبك".

وقدم مقطوعة "رقصة العروس" التي ألفها في بداياته لفرقة كركلا الراقصة، وكانت باكورة تعاونه مع مؤسس الفرقة ابن بعلبك عبدالحليم كركلا.

ووجه تحية إلى كركلا الذي كان حاضرا بين الجمهور، بعدما روى أن حفلة كركلا التي قدمت فيها هذه المقطوعة أقيمت في 12 أبريل 1975 عشية اندلاع الحرب اللبنانية (1975–1990)، وبعد انتهاء الحفلة الثانية في اليوم التالي، أصيبت الراقصة أميرة ماجد برصاصة في عمودها الفقري جراء الاشتباكات التي دارت يومها، وقد أقعدتها مدى الحياة، فكانت من أولى ضحايا الحرب.

وقبل أن ينشد "بغيبتك نزل الشتي" للشاعر طلال حيدر، روى وقائع لقائه الأول مع حيدر في باريس برفقة الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش، وكان هذا اللقاء باكورة علاقة فنية "جميلة جدا" ثمرتها مجموعة كبيرة من القصائد التي لحنها له.

وعزف نجله رامي "روكييم لبيروت" التي حصدت تصفيق الجمهور، وهي مقطوعة موسيقية جنائزية تروي قصة بيروت الحرب والسلام، والدمار والإعمار، والمأساة والأمل، والشغب والشغف، وفيها تنوع يعكس مزاج العاصمة اللبنانية.

وروى ظروف تلحينه أغنية "عصفورة" للشاعر المصري صلاح جاهين، محييا شقيقته التي قدمت له ديوانه بعد حفلة قدمها في القاهرة، ورحلت قبل ستة أشهر. ومن خلال هذه الأغنية، وجه خليفة تحية إلى الفنان المصري الراحل سيد درويش قائلا عنه "لقد علمنا الكثير في الأغنية الشعبية وحاولت أن آخذ منه هذا العبق في الإيقاع والنغمة".

وطعم برنامجه ببعض أغنياته القديمة التي وصفها بـ"الكلاسيكيات"، وكان أولها "ريتا". ودمج "سلام عليك" و"أحن إلى خبز أمي"، وقال "كنت أتمنى أن تكون أمي حاضرة لكنها رحلت قبل القصيدة وقبل الأغنية".

وتفاعل الحضور مع مارسيل وردد معه أغانيه المحببة بصوت عال، حيث تحول الجمهور إلى جوقة حين غنى "منتصب القامة". وبعدها قدم "نشيد الجسر" ووجه تحية إلى مؤلفه الشاعر خليل حاوي "إذ أنه حين شاهد أول جندي إسرائيلي في بيروت أطلق النار على نفسه".

وقالت جمال العشي "هذا حفل فيه الكثير من الرقي أداء وتنظيما تجلى باختيار مارسيل خليفة لافتتاح مهرجانات بعلبك. استمتعنا بهذه الليلة التي أشرقت فيها شمس بعلبك ليلا".

وأضافت زميلتها سهى الشامي "ابنه رامي أتحفنا أيضا بقطعة موسيقية رائعة. فعلا مارسيل خليفة أعاد إلى مدينة بعلبك بريقها".

وتابعت الشامي التي قالت إنها تعيش في كندا "مارسيل هو تاريخ وطني ونحن في الخارج لا تنسينا غربتنا إلا هذه الأصوات مثل فيروز ووديع ومارسيل".

وأكدت رئيسة المهرجان نايلة دو فريج أن "الفنان مارسيل خليفة كان نجما في بعلبك فهو رمز لتاريخ لبنان ومقاومته".

وتستمر مهرجانات بعلبك حتى الثالث من أغسطس المقبل مع عروض أخرى من بينها حفلة "عبق الأندلس" مع المغنية جاهدة وهبة.

تلال مدافن دلمون على قائمة اليونسكو

باكو - أعلنت منظمة اليونسكو، السبت، أنها أدرجت موقع تلال مدافن دلمون الواقعة في البحرين على قائمة التراث العالمي.

وقالت المنظمة في بيان نشر على موقعها الإلكتروني إن مدافن دلمون تتألف من "21 موقعا أثريا تقع في الجزء الغربي من الجزيرة".

وأشار البيان إلى أن ستة من هذه المواقع "مقابر تتألف من عشرات إلى عدة آلاف من المدافن، إذ يبلغ إجمالي عددها 11774 قبرا تتخذ شكل أبراج أسطوانية منخفضة".

وبحسب اليونسكو، فإن المدافن تقف "شاهدا على ازدهار حضارة دلمون في وقت مبكر خلال الألفية الثانية قبل الميلاد، حين اكتسبت البحرين أهمية اقتصادية كمركز تجاري، الأمر الذي أتاح للسكان حينئذ تطوير تقاليد دفن معقدة لجميع السكان".

ونقلت وكالة أنباء البحرين عن رئيسة هيئة البحرين للثقافة والآثار الشيخة مي بنت محمد آل خليفة قولها إن دخول الموقع على قائمة التراث العالمي "يعكس أهمية هذا المعلم كشاهد تاريخي على فترة مهمة من تاريخ البحرين وشبه الجزيرة العربية والخليج بشكل عام، وهو ما أعطاه قيمة عالمية ساهمت بشكل كبير في دخوله إلى قائمة التراث العالمي".

معماريان يحولان صخرة إلى فيلا صديقة للبيئة

موناكو - استعان المهندسان المعماريان جان-بيير لوت وباتريك ريموند، في مسعى لتحقيق أكبر استفادة من الطاقة وترشيد التكاليف، بعوازل من الفلين وألواح شمسية ومنشار كبير لنحت فيلا فاخرة "صديقة للبيئة" داخل صخرة ضخمة في موناكو.

وشُيدت فيلا "تروجلودي" داخل جرف صخري كانت تعلوه قرية حصينة تعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد وتبلغ مساحتها 220 مترا تقريبا وتتألف من ستة طوابق وثلاث غرف نوم وثلاثة حمامات ومسبح. ويعني اسم "تروجلودي" ساكن الكهوف بالفرنسية، ويحمل بالإنكليزية معنى شخص ينتمي إلى حقبة ما قبل التاريخ.

وأشار لوت إلى أن الفكرة حضرته سريعا عندما كان يعاين المكان مصحوبا بتحدي توفير المساحات والإضاءة، مضيفا "على عكس المنازل التقليدية، حيث تقام الحوائط وتبنى الأرضيات وحيث يتم العمل بإضافة عناصر جديدة، هنا على العكس أنت تحفر في الأرض وتبحث عن مساحات وتنحت المادة".

وتضم البناية وحدة مصغرة لمعالجة المياه وألواحا شمسية لتوليد الكهرباء ونظاما طبيعيا للتدفئة بهدف التقليل من انبعاثات الكربون.

والفيلا التي استغرق بناؤها نحو 20 شهرا معروضة للبيع دون الإعلان عن سعر رسمي لكن يتوقع أن تسجل ما يتراوح بين 33 و44 مليون دولار.

وأصبحت التصميمات المعمارية التي تعتمد على المساحات الخضراء والطبيعة مفهوما جديدا وإن كان لكل منها خصائصه الفريدة.

طرحت الفنانة اللبنانية كارول سماحة أحدث أغانيها، والتي تحمل اسم «إن شاء الله» عبر مجموعة من التطبيقات الغنائية، وموقع الفيديوهات يوتيوب، والأغنية من كلمات الشاعر تامر حسين، وألحان إسلام ذكي، وتوزيع عادل حقي.

أميركي يحضر حفلة شواء خلال تجهيز عائلته لمراسم دفنه

واشنطن - قررت عائلتان أميركيتان مقاضاة شرطة شيكاغو ومستشفى في المدينة بتهمة الإهمال بعد الخلط بين هوية شخصين من أفرادهما.

فقد اتصل أطباء من مستشفى "ميرسي هوسبيتال" في شيكاغو بشقيقات ألفونسو بينيت لإبلاغهن بأن شقيقهما لا يملك أي أمل بالتعافي فقبلن بوقف الرعاية الطبية ليتبين أن الأمر يتعلق بشخص آخر يدعى إليشا بريتمان.

وتقدمت عائلتا بينيت وبريتمان خلال الأسبوع الحالي بشكوى ضد الشرطة والمستشفى بتهمة الإهمال.

وعندما كانت شقيقات بينيت يحضرن لمراسم دفنه فوجئن بحضوره إلى حفلة شواء لدى صديقة له.

وقالت يولاندا هارفي، إحدى الشقيقات، خلال مؤتمر صحافي أعلنت فيه العائلتان التقدم بشكوى "اتصلت بنا وقالت: إنه هنا! إنه حي".

وتم التعرف على هوية الرجل المتوفى بفضل بصماته ويدعى إليشا بريتمان وتبلغ سنه التاسعة والستين.

وأضافت العائلتان في بيان "لدينا أسئلة كثيرة".

احتشد الناس حول تمثال للرسامة المكسيكية فريدا كاهلو انتصب في ساحة زوكالو بالعاصمة المكسيكية مكسيكو سيتي، احتفالا بذكرى مولدها الـ122

نحّات سلوفيني ينتقد ترامب بتمثال ساخر من زوجته

ليوبليانا (سلوفينيا) - جرى الكشف عن تمثال خشبي بالحجم الطبيعي لسيدة الولايات المتحدة الأولى ميلانيا ترامب قرب مسقط رأسها سيفنيكا بجنوب شرق سلوفينيا.

ونحت التمثال الفنان المحلي أليس زوبيفتس بتكليف من الفنان الأميركي المقيم في برلين براد داوني. ويتزامن الكشف عن التمثال، الذي ربما يكون ساخرا، مع معرض لداوني في العاصمة السلوفينية يوبليانا عن جذور ميلانيا في هذا البلد الصغير.

وجرى نحت التمثال من شجرة زيزفون حية يشكل الجزء السفلي منها قاعدة يقف عليها التمثال داخل أحد الحقول قرب نهر سافا في قرية روزنو.

ووصف بعض المنتقدين التمثال بأنه أشبه بالفزاعة التي تستخدم في الحقول لإخافة الطيور. والتمثال عبارة عن شكل محفور غير مميز الملامح، لكن باقي الجسد يظهر الثوب الأزرق الذي ارتدته ميلانيا أثناء حفل تنصيب زوجها دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة.

وقال داوني إنه أراد تسليط الضوء على مكانة ميلانيا بوصفها مهاجرة تزوجت رئيسا تعهد بالحد من الهجرة.

صباح العرب

عدلي صادق

نجوم ومهووسون

أوقع ممثل المسلسلات التركية بوراك أوزجفيت، فوضى عارمة في أحد مراكز التسوق في بيروت. فكأنما شُح الفرسان العرب، في الأحلام الأنثوية الشابة، قد أعلى من شأن التركي ورفع أسهمه عند صبايا كُثر، منذ أن قدمته الدراما المدبلجة، باسم عُمر في "الحب المستحيل" على نحو ما قرأنا ولم نشاهد. ومعلوم أن ظاهرة التعلق بنجوم الفن والرياضة، قد تنامت مع شيوع وسائل التواصل، التي يتتبع من خلالها المعجبون، تفصيلات حياة النجوم نعيما وعذابا. لكن الأمر في الرياضة يختلف، لأن مهارات النجم وقدراته الحقيقة تكون مشهودة، فيتشكل له جمهور من المعجبين والمعجبات الأكثر يقينا بأسباب الإعجاب. غير أن الأمر في الدراما وفي الموسيقى ليس سوى تمثيل وأداء، ما خلا الجوانب الجمالية المتعلقة بمن يؤدون الأدوار التمثيلية أو يغنون!

في حادثة بيروت قبل يومين، استدعى المركز التجاري، بوراك أوزفجيت، وجعل منه إعلانا بشريا لتنشيط المبيعات، فتعين على كل بنت، ترغب في التقاط صورة مع الممثل، أن تقدم فاتورة شراء لا تقل قيمتها عن خمسين دولارا. كان المركز التجاري يعرف أن جمهور المهووسات كبير، ولم يخطئ التقدير، إذ حضر حشد غفير منهن، لم تستطع التدابير التنظيمية ضبطه. هنا تصبح الظاهرة في حاجة إلى طبيب نفسي يفسرها بما يتجاوز تعليلها بالفراغ العاطفي!

صحيح أن الإعجاب بالفنانين وبنجوم لعبة كرة القدم، ظاهرة عالمية، وهي مقبولة في حدود المنطق. لكنها عندما تتفاقم، تصبح حالة مرضيّة لدى المُعجب أو المعجبة، تنم عن رغبة بعيدة المنال، وسط الزحام، في إحراز صداقة مع النجم أو النجمة. ففي واقعة بوراك البيروتية كمثال، ستكون الأعراض المرضية أفدح، لو أن الممثل، عند التقاط الصورة بشفاعة الفاتورة، تبادل جملة أو جملتين مع البنت المهووسة، فتتوهم بعدئذ، أن لها حكاية مع بوراك. وفي حال أن يكون الهوس بممثلة، يحدث الشيء نفسه. وأذكر أن صديقي أحمد الحباسي، سفير تونس السابق لدى السلطة الفلسطينية، استضاف ذات يوم مواطنته الممثلة هند صبري، التي زارت رام الله بعد أن اختارها برنامج الغذاء العالمي سفيرة عالمية ضد كوارث الجوع. فقد دعاني الحباسي لحضور دعوة غداء على شرفها، وبينما كنا جلوسا، فإذا بنا نسمع ضجيجا يشبه التظاهرة. خرجنا لنجد حشدا من الفتيات الفلسطينيات مكتملات الزينة وقد لبسن كل جديد، جئن للسلام على هند صبري!

يومها ظهر الجوع الحقيقي، الذي تتوخى فيه المعجبة الجائعة إشباع هوسها.